

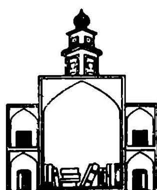
٣٢٣

خمس رسائل

عبدالله الجوادی الآملی



مؤسسة النشر الاسلامی التابعة لجماعة المدرسین
بقم المشرفة



٣٢٣

خمس رسائل

عبدالله الجوادى الآملى



الكتاب: خمس رسائل

المؤلف: عبدالله الجوادي الآملي

الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ بقم المشرفة

المطبوع: ٣٠٠٠ نسخة

التاريخ: شعبان ١٤٠٤ الموافق لـ ـ اردیبهشت ١٣٦٣

حول العناصر الرئيسية للسياسة الاسلامية

النَدوة الدَولِيَّة

ءَ [illegible] لدولة وَالسِيَاسَة في الاسلام

لندن

٣ [illegible] ال١٤٠٣ ٣-٦ اغسطس ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف السياسة

(١) ان السياسة صناعة يعرف بها تدبير الانسان بما له من الشؤون الفردية والاجتماعيـــة، و بما له من العقيدة و الخلق والعمل، وبما له مساس بالطبيعة، و بما له روابط خاصة مع أهله و قومه و من يشاركه في النوع مع ماله ربط خاص بمبدئه و مبدئ الكل و هو الله الخالق لكل شيء.

(٢) ان السياسة حكمة عمليه متفرعة عن الحكمة النظرية وتختلف باختلافها فمن كان رأيه ان الانسان موجود مادي صرف لأن كل موجود متحقق مادي، و ان ما ليس بمادي فليس بموجود و ان الانسان الموجود سيصير معدوما بحتا كما كان ليسا محضا، و أنه لا حياة وراء الحياة الطبيعية، و انه لاحساب ولا ميزان لأعماله الحسنة او السيئة بعد الموت. فالسياسة عنده هي كيفية تدبير الانسان و ادارة شؤونه بحيث يأكل و يتمتع و يترف يتزيني بالأزياء، و يتكاثر و يقول انى أكثر مالا وأعز نفرا، يتبجح بأنه أحسن أثاثا ورئيا، ولا يبالي من اين كسب المال و اين أنفقه، حلالا كان أو حراما. فعلى هذا تكون العناصر الرئيسية للسياسة مادية بحته. و اما من كان رأيه ان الانسان مؤلف من

نفس ناطقة لا تبيد ولا تموت، و بدن مادي و هو ــأي الانسانــ بماله حقيقة واحدة انما تنقل من دار الى دار، و انها لا تنعدم رأسا بل تتحول من حالة الى حال بما له من المعارف و الاخلاق و الاعمال وان من وراء حياته الدنيوية برزخا الى يوم يبعثون، وان هناك موقفا توفى فيه كل نفس ما كسبت، و ان أمامه موطنا يتلو فيه كل نفس ما أسلفت وان قدامه ميعادا علمت نفس فيه ما قدمت و أخرت.

فالسياسة عنده صناعة تهذيب الانسان وتصحيح روابطه الفرديه و الاجتماعية، بحيث يقوم بالقسط و يأمربالعدل،و يؤثر غيره على نفسه و ان كان به خصاصة و يقول:

«لا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»

و يترنم بأنه (قد افلح من تزكى) كما كان الاول يتصور بانه (قد افلح اليوم من استعلى). فعلى هذا الرأي الثاني تكون العناصر الرئيسية للسياسة مؤلفة من الامور المادية و المعنوية كما سيوافيك تفصيلها.

(٣) وحيث أن محورالكلام هوتعيين العناصرالاصلية للسياسة الاسلامية، والاسلام دين الهي يرى الانسان متحولا من النشأة الاولى الى الاخرة ليرى أعماله و يجزي بها، و يرى أن له مبدئا او جده. و معادا يصير هو اليه و يلقاه ويحاسب عنده. فالعناصر الاصلية للسياسة عنده مؤلفة من العلل الطبيعية و من العلل غير الطبيعية، وفي ضوء هذا التميز بين المذهبين المادي و الالهي نقول: ان العناصر الرئيسية للسياسة الاسلامية اربعة:

الاول: هو العنصر المادي: وهو الانسان بما انه نوع يعيش مع ابناء نوعه، و له خصائص فردية، و خواص اجتماعية.

والثاني: هو العنصر الصوري: وهو الدين الالهي بما له من الحِكَم والاحكام وهو كرامة الهية يتصوربها الانسان، و يصيربه كريما

في فضائله وفواضله وكريما في عقائده وأخلاقهوأعماله،وكريما في روابطه الفردية والاجتماعية، وتتبلور سياسته في كرامته الشاملة.

الثالث: هو العنصر الفاعلي: و هو الله رب الانسان و رب كل شيء، الحري بأن يديره و يربيه و يسوسه ويهديه الى صراطه، ولاسائس سواه ولا رب غيره.

الرابع: هو العنصر الغائي: و هو الكمال المحقق و البهاء الصرف الذي لاكمال فوقه ولا بهاء وراءه: الجدير بأن يكون غاية للانسان الكادح اليه، ونهاية له ينتهي بلقائه و يستقر لديه، و هو الله الذي اليه تصير الامور فهو تعالى: الاخر كما أنه تعالى هو الاول.

فتحصل ان المسوس هو الانسان بجميع شؤونه التي يعيش بها مع اوليائه و أعدائه وفي ادواره واطواره، و ان سياسته و تدبيره هو كرامته و تكريمه لأن يتجلى الكرم في حياته السامية، وان سائسه هو خالقه وربه الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم، وأن هدفه العالي هو لقائه سائسه وزيارته ربه وان تكون له قدم صدق عنده ومقعد صدق لديه.

فمن عرف حقيقة الانسان و واقعية الاسلام، و عرف خالقه الباري و معاده الذي ينتهي اليه امره فقد عرف السياسة الاسلامية، واعرف الناس بالسياسة الاسلامية أعرفهم بتلك الحقائق المتقدمة، و من جهل هاتيك الحقائق البارعة فقد جهل السياسة الاسلامية جهلا تاما لأن ذوات الاسباب لاتعرف الا بأسبابها. فمن جهل السبب فقد جهل بالمسبب حتما كما ان من عرف السبب فقد عرف المسبب يقينا. و تمام الكلام و ان كان متوقفا على تنميق المقال في تلك العناصر الاول الا ان البحث المهم هنا هو في العنصر الصوري. أما العنصر المادي و هو الانسان المؤلف من نفس مجردة و بدن مادي فله موطن آخر. كما ان

اثبات عنصري الفاعلي و الغائي لهما موقف اجل واعلا تكلفه الفلسفة الالهية الاسلامية بأبسط وجه.

و حيث ان القران تبيان لكل شيء، وهو يهدي للتي هي اقوم لانه نور و برهان و بصائر وشفاء لما في الصدور من الجهل والريب و ان رسول الله (ص) مبين للناس ما نزّل اليهم، و ان من كان على وزن نفس رسول الله (ص) و كان منه بمنزلة هارون من موسى (ع) و من كان له أذن و اعية تعي جميع ما ألقاه رسول الله (ص) و أملاه و أفاضه وأفاده من خطبه وخطاباته وكتبه (ص) و رسائله (ص) و سيرته (ص) و سنته، وكذا اهل بيته وعترته الكرام الذين هم حياة العلم و موت الجهل، والذين هم عطفوا الهوى على الهدى حينما عطف القوم الاخرون الهدى على الهوى فهذه الامور ينابيع الدين و مصادر التبيين، ومسانيد التشريع فبذلك كله يستند في توضيح الساسية الاسلامية من بعدها الصوري و هو الدين المتبلور في كرامة الانسان بما أنه انسان بحيث تكون الجامعة الانسانية المسلمة هو الاسلام الممثل.

و حيث انالانسان موجود واع له تفكر وتخلق وعمل فهو لا يعمل شيئا الا بعد ان يراه حسنا بحاله، ولا يراه حسنا الا بعد التفكير. فحياته حياة فكرية لا يعيش بدونها، كما انه محتاج الى غير واحد من الامور ليس في وسعه وحده تكفلها بل لابد من ان يعيش مع غيره من ابناء نوعه حتى يتكفلوا معا تأمين حوائجهم بان يبذل كل واحد شيئا للاخر و يأخذ شيئامنه بالمعاوضة اونحوها،وهذالايتم بدون ضابط وقانون يعيشيون في ضوئه و كما ان كل واحد منهم يجر النار الى قرصه و لذا احتاجوا الى قانون حافظ لمنافعهم و جامع لشملهم كذلكلا يمكن ان يجعل وضع ذلك القانون بأيديهم والاوقع التشاجرايضالان كل واحدمنهم يضع قانوناً ينفعه او ينفع اهله وقومه و ان ضر غيره. ولما كان اختلافهم فى العمل

الخارجي قد اوجب الافتقار الى قانون يجمع شتاتهم كذلك اختلافهم في العمل الذهني والنفسي و هو الفكر والخلق و الـدواعي النفسانية وما الى ذلك من الضغائن و الاحقاد او الاراء و الاهواء يوجب الاحتياج الى قانون معصوم عن الزيغ و الطغوى بحيث لا ترى فيه عوجا ولا امتا.

وحيث ان القانون المعصوم عن الخطا والجهل صامت لاينطق بل انما هو سواد على بياض يمكن ان يفسر بما تهواه انفس الطغاة، و ان يترجم بما يثير الضغائن و الاحقـاد، و يتخذ هزوا ولعبا يلعب به من يعطف الهدى على الهوى، و يتسهزىء به من يحرف الكلم عن مواضعه فلابد من انسان كامل كافل لذاك القانون المصون عن كل نقص وشين، و قائم بامره بحيث يفسره كما هو في نفسه، و يعلمه الناس و يبلغه اليهم، و يدعو هم اليه، و يسير فيهم بنفس ذاك القانون، و يذب عن حريمه، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يمس كرامته خوف ولا حزن بل يسعى في حفظه بقلبه وقالبه، و يضحي بنفسه تجاهه لأن في حفظ ذاك القانون الراقي تحفظ الانسانية و تصير مدنيتها فاضلة لايسمع فيها شعار الجاهلية الجهلاء — «انصر اخاك ظالما أو مظلوما» [١] بل يسمع فيه صوت العدالة الانسانية «كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا» نهج البلاغة ص ٤٢١ و فوق ذلك كله قول الله تعالى:

«ولا تكن للخائنين خصيما»(النساء: ١٠٥)
«ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار»(هود: ١١٣)
«ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»(المائدة: ٢)

و ذلك الانسان الكامل الحافظ لحدود القانون المفسر له علما المنفذ له

---

(١) ...ولكن فسره رسول الله (ص) بقوله: ولينصر الرجل اخاه ظالما او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر و ان كان مظلوما فلينصره -الجامع لصحيح مسلم الجزء الثامن ص(١٩) باب نصر الاخ ظالما او مظلوما-

عملا هو الامام السائس للناس على ميزانه بحيث لا يحيف ولا يجور فيه، ولا يفسره بالأهوأ، و لايعمل فيه بالاراء الخاصة، بل يقدسه كل التقديس، و يحفظه كل الحفظ عن التحريف والضياع.

فهذه العناصر الرئيسة لصورة السياسة و مادتها المشار اليها اجمالا ولابد في تفصيلها من تشريح الحياة الانسانية وما لها من العلل وما عليها من العوارض والصواعق، ومن تبيين محتوى ذاك القانون الرافع لجميع حوائجها، ومن تحليل رابطة الامة و الامام، و من كيفية هداية ذلك الامام و ولايته و تدبيره للمجتمع الانساني، و من الحقوق المتقابلة

ثم ان خصيصة السياسة الاسلامية التي هي الصورة الكاملة للانسانية سعيها البليغ في ان تعرف الانسان حقيقته و تبينها له، لا بان تكتفي بقولها:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه»

وقولها:

«اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه»

بل تشهده على نفسه و تنبهه و تحيى ارتكازه النائم و توقظه و تستدل على ان له نفسا لا تنعدم، و ان اعماله لا تزول و ان بين اعمالها و ذاتها ارتباطا خاصا لاينفصم. و انه ان احسن فقد احسن لنفسه و ان اساء فلها - اى ان العمل مختص بعامله حسنا كان او سيئاً، و ان كل انسان بما كسب رهين. (الاقتصاد للشيخ الطوسي ص ١٤)

والحاصل ان السياسة الاسلامية ليست بان تدبر الانسان الموجود وتدبره كائنا ما كان، وفي ضوء أية تربية نشأ و ارتقى، بل بأن تعلمه الكتاب التكويني والتدويني، وتعلمه كتاب نفسه وتقول له في الدنيا اقرأ صحيفة ذاتك وتدبر فيها، وأجد التأمل في حقيقتك حتى تعلم من أنت ومن أين انت، وفي اين انت. والى اين انت. كماتقول له

في الاخرة:

«اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» (الاسراء: ١٤)

فهذه هي السياسة الحقيقية التي تسوس الانسانية وتدبرها وترزقها حياة طيبة لا مجال فيها لشوك الظلم، ولا التعدي، ولا نيران العصبية ولا وقود القومية الجاهلية، ولاسعير الطغيان، ولاأي داء من أدواء البشرية، بل تضع عنها اصرها والاغلال التي كانت عليها، وتحل لها الطيبات وتحرم عليها الخبائث، وتخرجها من الظلمات الى النور و تهديها الى صراط العزيز الحميد، وتحررها من عبودية الشهوة كما تعتقها عن رقية القسوة، و تعدلها بالعدل الجميل، وتقول:

«ان عبد الشهوة أذل من عبد الرق» (نهج البلاغة)

و تنادى:

«ان الله يأمر بالعدل و الاحسان و ايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى»

وتقول:

«قل امر ربي بالقسط»

و تحطم التكاثر والتباهي بالكثرة و التفاخر بها فرديا كان كما فى قوله تعالى:

«فخرج على قومه في زينته» (القصص: ٧٩)

اوجمعيا كان كما في قوله تعالى:

«تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ان تكون أمة هي اربى من أمة، انما يبلوكم الله به» (النحل: ٩٢)

و تهدم المعيار الجاهلى و تبين وهنه وفساده كما قال رسول الله (ص) لعلي (ع):

«ان الله تبارك و تعالى قد أذهب بالاسلام نخوة الجاهلية و تفاخرها

بآبائها، ألا ان الناس من ادم وآدم من تراب و اكرمهم عندالله اتقيٰهم».

(من لايحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٦٢)

و تؤسس المعيار الالهي و تبين سداده ودوامه كما قال رسول الله(ص):

«لافقر اشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف عن محارم الله، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عبادة مثل التفكير»

(من لايحضره الفقيه ج٤ص ٢٧٠)

و تنادي بأن النجاة في التحرر من اوزار الميول المهلكة و اثقال الاهواء المردية، وفى الانعتاق من أعباء الغرائز التى تكون على شفا جرف هار تنهار في نارجهنم كما قال رسول الله (ص): نجى المخفّون (ج٤ص٢٦٣)

و تصرح بان صرح الاستقلال انما هوعلى اساس الاستغناء عن غير الله تعالى يا صاح اقراء ما قاله رسوله الله و اعجب كيف يكون السياسة الاسلامية متبلورة في الكرامة، و يا لها من كرامة، حيث قال(ص):

«لأن ادخل يدي في فم التنين الى المرفق أحب الى من ان أسئل من لم يكن ثم كان»

(من لايحضره ج٤ص ٢٧٠)

كما كان سبطه علي بن الحسين السجاد(ع) يقول:

«ان طلب المحتاج الى المحتاج سفه من رأيه، وضلة من عقله، فكم قد رأيت يا الهى من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا و حاولوا الارتفاع فاتضعوا...» (الصحيفة السجادية دعاء ٢٨)

وكذايقول؛(ع):

«سبحان ربي كيف يسئل محتاج محتاجا، وأنى يرغب معدم الى معدم...»

(الصحيفة السجادية دعاء ١٣)

وهكذا يؤسس بنيانه على التقوى الذي هو الكرامة التي لاسياسة

دونها كما لا كرامة في سياسة خالية من المعيار الالهي حيث يقول (ع) اذانظر الى اصحاب الدنيا:

«اللهم اعصمني من ان اظن بذي عدم خساسة، أو اظن بصاحب ثروة فضلا فان الشريف من شرفته طاعتك، والعزيز من اعزته عبادتك، فصل على محمد و آل محمد و متّعنا بثروة لا تنفد، وايدنا بعز لا يفقد، واسرحنا في ملك الابد» (الصحيفة السجادية دعاء ٣٥)

فانظر ايها الانسان الجائع الى طعامك المعنوي و تبصر، انه لايسد جوعك الا الكرامة التي هي السائسة التي تسوسك و تديرك لتصير كريما، لا يظلم و لا ينظلم، ولا يخون ولا ياتمن الخائن، لا يفسق ولا يركن الى الفاسق، لايقول بالباطل لأن الباطل كان زهوقا ولا يسكت عن الحق لان الساكت عن الحق شيطان اخرس وتدبر القران الذى هو متن السياسة كيف تدرس الكرامة الآبيه عن افراط الضيم و تفريط الذل، لان اول ما نزل منه هو ما يعلن بالكرم، و يدعو اليه حيث يقول عز من قائل:

«اقرء وربك الاكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم».

(العلق: ٣ – ٥)

اشعارا بان مبدأ التعليم هو الله الاكرم فحينئذ يكون التعليم تكريما، والعلم كرامة، و المتعلم و هو الانسان متكرما فلا يحوم حوله وهن ولا هون ولا ذلة ولا مسكنة ولا صغار و لا دناءة اذ لا مجال لشيء من ذلك في مجال الكرامة —و هكذا آخر ما نزل منه هو يورث الكرامة ويجلب اليها، و يرغب الانسان نحوها، و يحضه عليها حيث يقول سبحانه و تعالى:

«اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» (البقره: ٢٨١)

لانّ التقوى في لسان الوحي الكريم هو المعيار للكرامة وحسب

وان درجات الكرامة تتبع درجات التقوى فمن كان تقيا كان كريما، ومن كان اتقى كان اكرم، ولا قيمة للانسان الا بالكرم. و لذا قال سبحانه و تعالى:

«ولقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً».

(الاسراء: ٧٠)

فمن لا تقوى له لا كرامة له، ومن لا كرامة له لا انسانية له، فلذا قال مولانا علي بن الحسين(ع) في دعائه:

«والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة، و أسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرفوا فى مننه فلم يحمدوه وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه، ولوكانوا كذلك لخرجوا من حدود الانسانية الى حد البهيمية، فكانوا كما وصفهم في محكم كتابه ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا»

(الصحيفة السجادية دعاء: ١)

والكرامة هي المتجلية فى طاعة الله فحسب متحررا من اغلال الاهواء الداخلية و منعتقا من سلاسل الميول الخارجية حيث يقول رسول الله(ص):

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (من لا يحضره الفقيه ج٤ ص ٢٧٣)

و حيث ان الفصل الاخير للانسانية هو الكرم، و ان الكرم بتقوى الله فحسب فيتعين ان يكون هو المعيار السائس الذى يسوس الانسان، و يدور الانسان معه حيثما دار، فلا عبرة بالقومية، ولا باللغة، ولا باللون، ولا بأى وصف خارجى اجنبى عن الانسانية، كما قال رسول الله(ص):

«لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى»

(خطبة حجة الوداع ١)

رغما لانف من يجعل المعيار القومية او نحوها فلذا نبشوا القبور

وحفروا الاثار، و تفاخروا بعظام بالية غافلين عن كون التفاخر بالهمم العالية والسر فيه ان التكاثر قد ألهاهم حتى زاروا القبور، وتباهوا باحجار ضخام، واثار فخام لديهم قد نسفها الاسلام نسفا، و أبادها وجعلها هباء منثورا.

ولا ريب في ان الانسان عطشان للسياسة التي تسوسه، فان وجد الكرامة السائسة فقد ارتوى ريا بالغا لا ظمأ بعده اذ ليس وراء الكرامة شيء، و ان لم يجدها فقد ابتلي بسراب اللون أو القومية أو الثروة أو الخصوصية المكانية أو غير ذلك مما هو خارج عن حريم انسانيته، و لامساس لشيء من ذلك بحقيقته التي هو بها انسان، كما ابتلي الصهاينة بهذا الداء العَيّاء والمرض العُضَال حيث ينتهون في بيداء القومية البائدة، و يتحيرون في الارض الاسرائيلية البائرة و يهرشون في وادي اليهودية الهاذية الهاذرة ولقد نطق الوحي الكريم بذلك حيث يقول:

«و من اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك و منهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب و هم يعلمون» (آل عمران: ٧٥)

فقد كانوا يزعمون كما انهم اليوم على زعمهم (حسبما افاده سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائى قدس الله نفسه الزكية في تفسيره القيم ـ الميزان ـ) أنهم هم المخصوصون بالكرامة الالهية لا تعدوهم الى غيرهم. بما أن الله سبحانه جعل فيهم نبوة و كتابا و ملكا فلهم السيادة و التقدم على غير هم و استنتجوا من ذلك ان الحقوق المشرعة عندهم اللازمة المراعاة عليهم كحرمة اخذ الربا و اكل مال الغير، وهضم حقوق الناس انما هي بينهم معاشر أهل الكتاب فالمحرم هو اكل مال الاسرائيلي على مثله، والمحظور هو هضم حقوق يهودي على اهل ملته. و بالجملة انما السبيل على اهل الكتاب لأهل الكتاب، و أما غير اهل الكتاب فلا سبيل له

على أهل الكتاب، فلهم ان يحكموا في غير هم ماشاؤا، و يفعلوا في من دونهم ما أرادوا. و هذا يؤدي الى معاملتهم لغيرهم معاملة الحيوان الأعجم كائنا من كان...(١)

ولعله لهذاولغيره من دسائس الحيل قال سبحانه وتعالى:

«ولا تزال تطلع على خائنة منهم» (المائدة:١٣)

و حيث ان الكرامة التي تسير اليها الانسانية، و تصل اليها و تتصور بها، حقيقة نفسية نفيسة فليست اعتباراتناله يد الجعل والوضع، ايجابا تارة وسلبا أخرى. وحيث ان الحقائق الغيبية لها مباد و اسباب خاصة تجب بها وتمتنع دونها فللكرامة صراط مستقيم يوصل اليها من سلكه، ولا يمكن الوصول اليها بدونه، فلها سبيل خاص يهدي سالكه اليها، و لايمكن نيلها بأي سبيل اخر. و من هنا يتضح الفرق بين السياسة الاسلامية و غيرها من السياسات المادية التي لا تعرف الكرامة: اذ الاهداف هناك تبرر الوسائل كائنة ما كانت (نحو هلاك الحرث والنسل) ولذا يسومون الضعاف سوء العذاب و يذبحون ابناء هم و يستحيون نساء هم، واذا ما بطشوا بطشوا جبارين ولا يعرفون الا اهدافهم المشؤمة. بخلاف السياسة الاسلامية التي لا تُجَوّز الانتصار بالجور، ولا تسمح بالظلم ولا تجعله ذريعة الى الفتح والغلبة كما قال علي(ع):

«أتامروني ان اطلب النصر بالجور» (٢)

ومنشأه هو قول الله تعالى:

«قل أفغير الله تأمرونى أعبـد ايها الجاهلون» (الزمر: ٦٤)

---

(١)... الميزان ج٣ ص(٢٨٦)

(٢)... نهج البلاغة الخطبة:(١٢٥)

والى هذا الاصل المهم اشار مولانا السجاد(ع) بقوله:

«يامن لاتغير حكمته الوسائل»

لان الحكمة هي الصفة الخاصة التي تقتضى ايصال كل موجود الى كمـالـه المقدرله، ولايتغير بالذرائع والوسائل بان لا تقتضي الايصال الى الكمال، أو تقتضي الايصال اليه من غير سبيله. نعم قد يترك المهم لفوز الاهم و لكنه مضبوط يعرفه العقل، و لاينكره الشرع. كما ان له ميزانا خاصا لايمكن ان يتعداه، فكم فرق بينه و بين مامرّ من تبرير الهدف وسائله الموصلة اليه كائنة ما كانت ولو بسفك الدماء البريئة:

«اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون»

(النمل: ٣٤)

و لذا تري السياسة المادية الطاغية تبرر الوسائل أهدافها المسمومة قبل الانتصار، ولا تتورع عن افتراسها وتكالبها ونهبها وسبيها واحراقها وما الى ذلك بعد الغلبة و الفتح. و اما السياسة الاسلامية الكريمة فتمتنع عن ذلك كله حدوثا و تنهي عنه بقاء و لذا قال علي بن ابيطالب (ع) لجيشه:

«لا تقتلوا مدبرا، ولا تصيبوا معورا، ولاتجهزوا على جريح»

(نهج البلاغة: الكتاب ١٤)

ودعا ربه بقوله:

«... ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي، و سددنا للحق، وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصمنا من الفتنة»

(نهج البلاغه الخطبة ١٧١)

فاذا تبين اجمالا أن السياسة الانسانية تكمن في كرامتها، و أنها تدور معها حيثما دارت، ولا تحيد عنها، فيلزم البحث عن مقتضى الكرامة و شؤونها المهمة و لوازمها و آثارها فيمايلي:

ان السياسة الاسلامية
تنفي السلطة على الانسان عن غير الله

ان الكرامة تقتضي ان لا يعبد الانسان ولا يطيع الا خالقه الذي هو خالق كل شيء، ولا يخضع الا له، ولا يحتاج الا اليه، ولا يسئل الا اياه، ولا يتوكل الا عليه ولا يثق الا به، ولا يسلك الا سبيله، و بالتالي لا يموت ولا يحيى الا له. كما امر الله تعالى أكرم خليقته و اشرف بريته (ص) بذلك حيث قال:

«قل ان صلاتي ونسكي و محياي ومماتي لله رب العالمين» (الانعام: ١٦٢)

ثم أمر الناس باتخاذه (ص) اسوة فقال عزمن قائل:

«لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة» (الاحزاب: ٢١)

فليس لغير الله تعالى سلطة على الانسان كما بينه تعالى بقوله:

«ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب و الحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون * ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة و النبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون» (آل عمران: ٧٩—٨٠)

و بقوله تعالى:

«اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق، ان كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب * ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد» (المائدة:١١٦—١١٧)

فليس لاحد أن يدعي السلطة على الناس. كما ان الكرامة الانسانية تأبى الخضوع لغير الله فلا اله الا الله ولا رب سواه.

و اما طاعة الانبياء العظام، والمرسلين الكرام، و الائمة البررة ففي الحقيقة اطاعة الله لان الامام لاشأن له الا الخلافة عن الرسول، والرسول بما انه رسول لا شأن له الا ابلاغ ما يتلقي من الوحي بلا زيادة ولا نقيصة لانه (ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) فليس له أن ينطق بما يهوى، او يحكم بين الناس بما يرى، بل يحكم بينهم بما أراه الله حيث قال:

«لتحكم بين الناس بما أراك الله» (النساء:١٠٥)

«و أن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهوأهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك» (المائدة:٤٩)

«فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى» (ص:٢٦)

وحيث ان الحكم لابد و ان يكون بالحق و ان الحق لايكون الا من الله فحسب كما قال تعالى:

«لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين» (يونس:٩٤)

فالحكم لا يكون الا بما انزل الله، و اما الحكم الذي لا يكون بالحق (أي بما انزل الله) فهو جور وجاهلية —شرقية كانت تلك الجاهلية الجائرة ام غربية— حيث قال الله تعالى:

«افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون»
(المائدة: ٥٠)

وكما ان لا شيء بعد الحق الا الضلال اذ:

«فماذا بعد الحق الا الضلال» (يونس: ٣٢)

فكذلك ماذا بعد الحكم بالحق الا الجاهلية –فتحصل ان الرسول(ص) و كل من كان اماما معصوما فهو مع الحق، كما ان الحق معه يدور معه حيثما دار، و لكن الحق من الله فكم فرق بين موجود يكون مع الحق و بين مبدئه المتعال الذي يكون منشأ الحق و منه الحق. فعلى هذا التحليل تكون اطاعة الولي المعصوم هي اطاعة الله لُبّاً كما اشار اليه قوله تعالى:

«وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذنه» (النساء: ٦٤)

حيث يدل على ان اطاعة الرسول انما هي باذن الله، وحيث أن:

«والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» (احزاب: ٤)

فحكم الله تعالى باطاعة الرسول مسبوق بتعليمه الحق اياه، و امره بابلاغ ذلك الحق الى الناس ثم امر الناس باطاعة ذاك الرسول.

و حاصله ان اطاعة الرسول – بما انه رسول– هو تكريم للرسالة، وأن الرسالة –بما هي رسالة– لاشان لها الا اظهار الحق من الله سواء كان في التشريع بالايجاب والتحريم، أو في التكوين بالاحياء والاماتة –مثلا– لانه مظهر فعله تعالى على التوحيد الافعالي، يده بمنزلة يده تعالى كما أشار اليه بقوله:

«ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم» (الفتح: ١٠)

على غرار قوله تعالى:

«وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى» (الانفال: ١٧)

فحينئذ تنحصر الطاعة في أمر الله تعالى ونهيه، فما وافق حكمه تعالى يطاع، و ما خالفه يطرح –كائنا ما كان– كما قال رسول الله(ص):

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (١)

و حاشا الرسول (ص) و الامام المعصوم (ع) ان ينطق بما يخالف الحق او يأمر بالباطل او يعمل بما يهواه، فتبين ان النبي (ص) و ان كان

«اولى بالمؤمنين من انفسهم» (الاحزاب:٦)

الا ان تلك الولاية هي من مظاهر ولاية الله تعالى فهو (ص) مظهر السلطة الالهية لا انه سلطان مستقل بنفسه ومما يؤيد أن النبوة و الرسالة —بما لهما من الشؤون المهمة— مظهر لقولِ الله تعالى و فعله، و مجلى لقهره ولطفه، و مرآة لجماله تعالى وجلاله تعالى —قوله تعالى:

«انه لقول رسول كريم * و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الاقاويل * لاخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين» (الحاقة: ٤٠—٤٨)

حيث يدل على أن شيئا من اقاويله التي يبلغها لا تكون من عنده وتقولا على الله وافتراء عليه، والا لكان ما كان من الاخذ باليمين، و قطع الوتين مع عدم الحجز و المنع من احد لانه تعالى هو القاهر فوق عباده ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه» (٢)

و هكذا سيرته (ص) و سنته العملية التي تكون حجة الهية للناس سيرة مرضية الهية حسبما اشير اليه وحيث ان جميع شؤونه (ص) مظاهر شؤون الله الذي كل يوم هو في شأن فمن كذّب شيئا في اقواله (ص) او افعاله (ص) فانما كذب الله تعالى في قوله و فعله حيث قال تعالى:

«قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك و لكن الظالمين

---

(١)... نهج البلاغة صبحي صالح ص: (٥٠): من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٢

(٢)... الرعد: ٤١ — مضافا الى انه قد يكون مورد التنازع هو نفس اولى الامر.

بايات الله يجحدون». (الانعام:٣٣)

لدلالته على ان تكذيبه (ص) ليس تكذيبا لشخصه وردالمقالته من حيث هو شخص خاص وانسان مخصوص، بل هو جحد وانكار لايات الله تعالى لأن رسول الله (ص) بقوله وفعله وقلبه وقالبه اية الهية، فتكذيبه (ص) تكذيب الله، كما أن تصديقه تصديق الله تعالى. و مما يرمز الى ذلك من ان جميع تلك الشؤون الدينية انما هي بالاصالة لله تعالى، و انما هي لغير الله من جهة كونه اية له ومظهرا محضا له قوله تعالى:

«يا ايها الذين امنوا أطيعوا الله و اطيعوا الرسول واولى الامرمنكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الاخر، ذلك خير و احسن تاويلا» (النساء:٥٩)

حيث انه تعالى ثلّث الامر اولا، و ثناه ثانيا، و وحده ثالثا. لأنه في اول قوله تعالى أوجب اطاعة الله و اطاعة الرسول و اولي الامر، و في ثاني قوله تعالى جعل الحَكَم و المرجع الذى يرجعون اليه عند التنازع امرين: احدهما نفسه تعالى والثانى رسوله (ص)، ولم يذكر لاولى الامر اسم لان جميع شؤون اولي الامرانما هي مبرزات شأن الرسول، ومظاهر سنته وليس لغيره (ص) شأن مستقل(١) و فى ثالث قوله تعالى و هو ذيل الاية الكريمة جعل المعيار والميزان في ذلك الطوع وهذاالرجوع امر واحدلا ثانى له ولاشريك له: و هو الايمان بأن الله تعالى هو الاول الذي منه يصدر كل شيء، و الاخر الذى اليه ينتهي كل شيء فليس لغيره تعالى شأن مستقل. و هذا هو التوحيد وعياً وارادة فتدبر.

فتحصل ان السياسة الاسلامية التى تدور مدار كرامة الانسان تقتضى أن لاسلطنة لاحد على احد. فليس لاحد ان يدعيها، وليس

---

(١)... مضافا الى انه قديكون موردالتنازع هونفس اولى الامر.

لاحـد ان يتحملها،بل هى لله تعالى فحسب.ففى أى مورد حكم الله تعالى بالاتباع وجب اتباعه طوعا ورغبة، و في أي مورد نهي الله تعالي عنه وجب الانتهاء عنه. وقدامرالله تعالى باتباعِ رسوله حيث قال:

«ما آتٰيكم الرسول فخذوه ومانهيكم عنه فانتهوا» (الحشر:٧)

وقالِ تعالى ايضا:

«خذواماآتيناكم بقوة» (البقرة:٦٣)

اي بقوة القلوب وقوة الابدان فيجب اخذ ما اتاه الرسول بقوة القلب و القالب معاً

ان السياسة الاسلامية
تحوم حول الامة الواعية والامام العادل الحق

قد تقدمت الاشارة الى ان الحياة الانسانية الاجتماعية لا تتحقق بدون النظام و التشكيل، و هو قد يكون بالشورى وقد يكون بالامامة ـ بمعنى أن الحاكم الذى يرجع اليه فى حل المشاكل و بيده أزمة أمور المملكة وتنفيذها، وحفظ ثغورها، وجباية أموالها والذب عنها، ودعوة الناس الى النفر والحرب، و الصراع او السلم، و المعاهدة و المهادنة، و ما الى ذلك هل هو شخص واحد جامع لجميع الشرائط، أم الاشخاص عديدون يتشاورون و يتبادلون و جهات النظر فيؤخذ بالمجمع عليه او المشهور بينهم — لانهم اما يتفقون على أمر فهو المجمع عليه ، او يختلفون فيه بالاكثر و الاقل فهو المشهور لديهم— و لكل من المسلكين فوائد و مزايا و لكن الاولى هو الاول مهما أمكن لماجرت عليه سيرة الانبياء حيث أنه لم تعهد نبوة استشارية، ولا رسالة بالشورى، بل ان تعدد الانبياء فى عصر فاما ان كان يختص كل واحد منهم بقوم وقطر من الارض أو كان بعض منهم تابعا لاخر نحو تبعية لوط لابراهيم(ع)

«فامن له لوط» (العنكبوت: ٢٦)

أو نحو تبعية هارون (ع) لموسى (ع) و ان كان شريكا في امره، و لكن لم يكن مساو يا له بل كان وزيرا و عضدالموسى (ع) و هكذا جرت سمة الامامة للائمة عليهم السلام حيث انه لم تعهد امامة استشارية، ولا خلافة و امامة بالشورى بل ان تعدد الائمة في عصر كانت امامة بعضهم بالفعل دون بعض، و ان امكن ان تكون ولايتهم التكوينية و ما لهم من المقامات النفسية (التى لا تنالها يد الجعل والنصب الاعتبارى كما لا تصل اليها يد النزع والغصب) بالفعل.

واما المشورة وان وردفى مدحها انه:

«ما خاب من استشار»

وانه

«من استبد برأيه هلك»

و في صلاح الزوجين الذين يخاف شقاقهما دعوة الى بعث الحكمين ولكن فــي الفصال والطلاق ورد:

«فان ارادفصالا عن تراض منهماوتشاورفلا جناح عليهما» (البقرة:٢٣٣)

وهكذاوردفي مدح سيرة المؤمنين الواجدين لعدة شرايط:

«أمرهم شورى بينهم» (الشورى:٣٨)

وهكذاامرالله رسوله(ص)بالمشاورة حيث قال تعالى:

«وشاورهم في الامر» (آل عمران:١٥٩)

و لكن لا يدل شيء من ذلك على لزوم كون القيادة بالمشورة و الزعامة بالشورى. اماالادلة الدالة على حسن الاستشارة فليست على حد يعارض ما يدل على نظام الامامة و ان الناس يحتاجون الى امام يديرهم لان لسان تلك الادلة هو مدح المشورة الذى لا كلام فيه دون تعيين كيفية الحكومة، و اما ما يدل على ان امر المؤمنين بالشورى ففيه: اولا ـــ انه يختص بما كان ذلك الامر هو امرهم يعني اذا كان تعيينه بايديهم، واما اذا كان هو أمر الله لا امرهم فلا مجال للشورى فيه. وحيث ان

السياسة الاسلامية –كما تقدم– يقتضي ان لا يكون لاحد على احد سلطة الا من قبل الله تعالى و تعيينه، فتعيين كيفية الحكومة والسلطنة بيد الله تعالى فهو امر الله لا امر الناس حتي يشاور بعضهم بعضا و يستشيروا، ولو سلم فانما الاستشارة فى تعيين القائد لا ان تكون القيادة بالشورى (و كم فرق بينهما) و ما وقع في صدر الاسلام كان من قبيل المشاروة في تعيين الزعيم لا انه كانت الزعامة بالشورى. و الى هذا الامر الدقيق اشار مولانا علي بن ابي طالب (ع) بقوله:

(... و انما الشورى للمهاجرين و الانصار، فان اجتمعوا على رجل و سموه اماما كان في ذلك لله رضى، فان خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه الى ما خرج منه، فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين و ولاه الله ما تولى) (نهج البلاغة الكتاب ٦)

حيث بين (ع) ان امرهم انما هو تعيين الامام بالمشاورة لا ان الامامة بالشورى بان تكون هناك ائمة يتشاورون، و ان تكون القيادة بالشورى.

نعم للامام ان يستشير قومه و يشاورهم و لكن التصميم بيده والعزم بارادته، والحزم بقلبه، فلذا قال الله تعالى:

«وشاورهم في الامر،فاذاعزمت فتوكل على الله»

حيث جعل العزم النهائي، والتصميم الغائي بيده. و من هذا الباب قال علي (ع) لابن عباس:

(لك ان تشير علي وأرى، فان عصيتك فاطعني)

(نهج البلاغة صبحي الصالح: الكلمات القصار: ص ٥٣١: د.)

واصل ذلك قوله تعالى:

«وما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً ان تكون لهم الخيرة من أمرهم» (الاحزاب: ٣٦)

حيث يدل على ان أمر الرسالة وتصميم الرسول ليس بالشورى، فليس

لغيره حق في النظر النهائي، والتصميم الغائي، وهكذا من هو بمنزلة الرسول، وهو الامام العدل الحق.

فتحصل ان الشورى انما هو في تعيين القائد و انتخابه لا في القيادة الا ان تتعذر الامامة و لم يتيسر لشخص معين، و ادعى غير واحد القيادة ولم يمكن تعيين احدهم فحينئذ لا علاج الا بأن تكون القيادة بالشورى حسما للتشاح، وفصلا للتنازع (نعوذبالله منه).

بقي ههنا امر ان: احدهما لزوم كون الامة واعية فى انتخاب امامها و ثانيها لزوم كون الامام جامعا لشرائط الامامة. و كلاهما في غاية الاهمية في السياسة الاسلامية.

اما الامر الاول فيلزم ان تكون الامة من الوعي بدرجة تكفيها في معرفة شرائط الامامة و في اجتماعها فيمن يدعي الامامة، او يريدون تعيينه لها. و هذا الاصل هو الموجب لان تكون لراي الجمهور قيمة، والا فلا قيمة لراي من لايعرف الامامة و شؤونها وشرائطها ولا لرأى الجمهور الجاهل بشأنها وانما القيمة لرأي من يعلم الحق و يعرفه. كما قال عزمن قائل:

«و يرى الذين أوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هوالحق» (سبأ:٦)

حيث انه تعالى جعل معيار التشخيص و التحقيق رأي العلماء و من اتاه الله العلم، والا فلا وقع له. وهكذا استدل رسول الله (ص) و احتج على قومه بقوله:

«فقدلبثت فيكم عُمُرَاً من قبله أفلا تعقلون» (يونس:١٦)

يعني انهم لو تفكروا و تعقلوا لعرفوا انه رسول الله، و ان ما جاء به هو وحي انزله الله، فيؤمنون به (ص)، ويخضعون لامره خضوعا لامر الله تعالى، و اما الذين لايعرفون الامامة و شرائطها، ولا يعلمون الحكومة و شؤونها: فلاكرامة لهم ــ كما تقدم ــ و لذا قال الحكيم في كتابه الكريم:

«... فاستخف قومه فأطاعوه» (الزخرف: ٥٤)

يعني ان فرعون وجد قومه خفاف العقول خالين من المعرفة و التحقيق وقد عمل هو شخصيا على تركيز الجهل وعدم المعرفة لديهم بحرمانهم من الوعي و التعليم ثم طلب منهم الطاعة فاطاعوه اماما، والجهل داء لادواء له لانه لافقر اشد من الجهل كما انه لامال اعود من العقل فياليت الشعوب و الجماهير نبهت الحكومات و وعتها حتى ينقطع شر الطغاة و الفراعنة:

«فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» (الانعام: ٤٥)

وحيث ان القران عين الكرامة و لا يمس كرامته شيء من الاهمال و كان العمل به موجبا لان تصير الجامعة الانسانية كريمة كما تقدم فقد عين واجب الامة في انتخاب امامها بأنه لابد وان تكون الامة واعية و عارفة و ذكية كي لا تتحمل الضيم. و قال الله تعالى:

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم و يتبع كل شيطان مريد * كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير.»

(الحج: ٣-٤)

يعني ان الكلام في الله تعالى لابد و ان يستند الى علم عقلي او نقلي معتبر فمن يجادل فيه بغير علم فهو جاهل، و يكون انتخابه وتعيينه من يحكم عليه بغير وعي و معرفة، فلذا يتبع كل امام و زعيم و قائد كائنا من كان شرقيا أو غربيا، ملحدا او منافقا، خائنا او عميلا للاجنبي، فيتبع كل شيطان متمرد على حكم الوحي و العقل. فهذه الأمة الخفيفة الوعي.. يمتلكها كل شيطان مارد، و تنهب معادنها و ذخائرها الأيادي الخائنة، فتذهب هذه الامة الجاهلة ضحية جهلها وحرمانها من كرامتها التي يدعوها اليها الاسلام و يأمرها بها.

و اما الامر الثاني فيلزم ان يكون الامام مع كونه عادلا باطاعة مولاه

في جميع ما امره به وندبه اليه بالاتيان، و في جميع ما نهاه عنه و زجره عنه بالامتناع و الانتهاء عنه بترك الاهواء والميول (١) صائنا لنفسه مستقلا في رأيه و مالكا لوعيه وحرا في ارادته حتى لايطمع فيه أهله، ولاغير اهله، ولا نفذ الى قلبه من كان من اهله او أجنبيا عنه و لا يمكر به الداخلي ولا الخارجي ولا يستفزه القريب و الغريب و لا يستخفه الصديق و العدو حتى يليق بزعامة الامة وقيادة الملة (التي يعمل فيها التقي بخلاف غيرها من الانظمة الفاجرة التي يتمتع فيها الشقي)(نهج البلاغه خطبة٠٤) ولقد عين القرآن الكريم وظيفة الامام المتبوع بانه لابد وان يكون عالماً بالله، و هاديا الى سبيله، و سائرا في صراطه حتى لا يضل الناس و لا يمنعهم عن خيرهم المقدر لهم حيث قال الله تعالى:

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله، له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق» (الحج:٨ــ٩)

يعني ان المجادل في الله لو لم يكن جداله مستندا الى برهان عقلي، او وحي سماوي بلا واسطة او هداية مستفادة من الوحي مع الواسطة يكون ضالا، فاذا ادعى الامامة و المتبوعية و الحال هذه فلا شأن له الاالضلال الموجب لخزي الدنيا و عذاب الحريق في الاخرة - فكما ان منطوق الاية الثالثة من سورة الحج ينادي بلزوم الوعي في الأمة والجمهور كذلك يعلن لزوم القداسة في الامام حتى يكون اماما عادلا، و هاديا الى صراط العزيز الحميد كما يلزم ان تكون الامة عارفة و الجمهور عالما حتى تكون امة مرحومة تنال خيرها المقدر لها وكما ان خفة الامة و جهلها كانت تستوجب اتباعها لكل شيطان مريد و لان يسيطر

(١)...في صحيح مسلم عن رسول الله (ص) حرم الله الجنة على الوالي الغاش لرعيته ــ الجزء الاول ص:(٨٨)

عليها كل فرعون حيث ان لكل موسى فرعون كذلك فان خفة الامام و عدم صيانته النفسية و عدم حريته الارادية توجب لان يغفل عمن يمكر به فلذا قال الحكيم في كتابه الكريم:

«فاصبر ان وعدالله حق ولايستخفنک الذين لايوقنون» (الروم: ٦٠)

وحيث ان المتبوع الجائر ان اتيح له ان يقول (ما علمت لكم من اله غيري) و ان يقول (انا ربكم الاعلى) لا يتحاشى عنه مع استخفاف التابعين، فان لم يمكن له ادعاء الالوهية فهو يقنع بادعاء الظلية و يقول (أنا ظل الله) و ما الى ذلك مما لا يقوله الا الخفيف ولا يقبله الاالمستخف فكلاهما في النار بقوله تعالى:

«واتبعناهم في هذه الدنيالعنة و يوم القيمة هم من المقبوحين»

(القصص: ٤٢)

«يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار و بئس الورد المورود» (هود: ٩٨)

والسر في ذلك كله هو ان كل اناس يلحقون بامامهم يوم القيمة كما قال عز من قائل: **«يوم ندعوكل أناس بامامهم»** (الاسراء: ٧١)

وحيث ان الامة الجاهلية تدور مدار العصبية والشيطان كما قال علي بن ابي طالب (ع) في وصف الشيطان بانه:

«امام المتعصبين وسلف المستكبرين» (١)

فلذا تحشر الامة الجاهلة معه في جهنم كما في قوله تعالى:

«لأملأن جهنم منكم اجمعين» (الاعراف: ١٨)

ان السياسة الاسلامية تعتقد ان الامة امانة، وان الامام امينها

قد انصرح ان النظام الاسلامي يستقر على ركنين احدهما الامة الواعية، و ثانيهما الامام العادل الحق. فاللازم هنا التصريح بان مقتضى الكرامة

---

(١)... نهج البلاغة الخطبة القاصعة: (١٩٢)

السائسة هو ان تكون الامة بقضها و قضيضها، و نفسها و نفيسها، امانة الهية، و ان يكون الامام امين هذه الامة لا يخونها اصلا، بل يعلمهم الكتاب والحكمة و يزكيهم و يهديهم الى صراط العزيز الحميد و يشاورهم فاذا عزم فليتوكل على الله و يبين لهم ماجرى لهم وعليهم ويحفظ كيانهم و يطرد عنهم الفقر الفكري و المالي، و يذب عن حريمهم، و يسد ثغورهم، وما الى ذلك من شؤون القيادة كل ذلك بايديهم وانفسهم ونفائسهم و ابدانهم واموالهم لان ارتباط الامة و الامام ارتباط الاعضاء و القلب كما استفاده هشام من جعفر بن محمد الصادق(ع) واحتج به علــى عمرو بن عبيد المنكر للامامة المعهودة و القيادة الخاصة (١) — والدليل على كون الامة امانة بيد الامام ما قاله موسى (ع) لقوم فرعون:

«ان ادّوا اليّ عباد الله انى لكم رسول أمين» (الدخان: ١٨)

يعني يجب عليكم ان تودوا هذه الامة (التي لا رب لها الا الله) اليّ لأنيّ رسول أمين في أصل الرسالة والابلاغ، و أمين في حفظ هذه الامانة الالهية:

«و قال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين * حقيق علي أن لا أقول على الله الا الحق، قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل» (الاعراف: ١٠٤- ١٠٥)

يعني يلزم ان تكون امة بني اسرائيل تحت تدبير موسى (ع) و تربيته (ع) و يكون هو(ع) كفيلا لهم و حافظا اياهم حسبما اشير اليه، و كما ان الامامة عهد الهي لاينال الظالمين ولا يمس كرامته الظالمون كذلك الامة أمانة الهية لا تؤدي الا الى اهلها وهو الامام العدل الحق و كما ان النصيحة لأئمة المسلمين من التكاليف المهمة التي لا يغل عليها قلب امرء

(١)... اصول الكافي: كتاب الحجة

مسلم كذلك خيانة الامة أعظم الخيانة، وغش الائمة افظع الغش، كما قال علي بن ابي طالب (ع):

«ومن استهان بالأمانة، ورتع في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه الذل و الخزي في الدنيا، و هو في الاخرة اذل وأخزى، و ان أعظم الخيانة، خيانة الامة، و افظع الغش غش الائمة»

(نهج البلاغة كتاب:٢٦)

وحيث ان الامة بدمها وعرضها و مالها امانة بيد الامام فلو خان المنصوب من قبله في شيء من ذلك فقد ارتطم باعظم الخيانة بالنسبة الى الامة وارتكب افضع الغش بالنسبة الى الامام، فلو رضي الامام بذلك فقد ابتلي بذلك ايضا حيث انه انما يجمع القوم الرضا و السخط مضافا الى ان العامل منصوب من قبل الامام و يُعَدّ فعله فعلا له، واطاعة مثل هذا الخائن من فواقر الظهر كما قال رسول الله (ص) لعلي (ع):

«أربعة من قواصم الظهر: امام يعصي الله عزوجل ويطاع امره... الخ»(١)

و ذلك لان الخيانة و الغلول و ان كانا من الكبائر الموبقة لكل أحد الا انهما للامام الوالى لامر الامة أشد و أدهى و آمَر و لذا قال الله تعالى:

«وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» (آل عمران:١٦١)

والامام الخائن فتنة لمن افتتن به، مضل لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته لأنه من الذين يحملون أثقالهم و اثقالا مع اثقالهم فهو مع كونه رهنا بخطيئة لان كل نفس بما كسبت رهينة كذلك حمّال خطايا غيره لأنه أغواهم و أضلّهم، و من

---

(١)...من لايحضره الفقيه ج٤ ص:(٢٦٤)

سن سنة سيئة فعليه و زر من عمل بها مع ان عامل تلك السيئة ايضا رهن لما فعلى السان وزران، وعلى العامل وزر واحد.

والحاصل ان الامة بجميع شؤونها أمانة الهية بيد الامام، و لذا يكون الامام مأمورا بمعرفتها و حفظها و اصلاحها كما كان رسول الله (ص) كذلك حيث قال الله تعالى له:

«فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم و استغفر لهم، و شاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين»

(آل عمران: ١٥٤)

لان مرونة الامام و انعطافه الى الامة و حنينه نحوها يوجب انجذابها اليه ويمنع انفضاضها وتفرقها عنه، بل لا تهجر هذه الامة امامها في الضراء كما يكون معه فى السراء، ولاتحيد عنه في العسر كما تكون معه في اليسر، ولا تنفض من حوله حال الغلاء و المجاعة و المخمصة كما تطوف حوله حال الرخص و الخصب، رغما لانف من زعم أن الفقر الاقتصادي و المخمصة و نحو ذلك يوجب انفضاض الأمة من حول امامها. فلذا قال الله تعالى:

«وهم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولله خزائن السموات و الارض ولكن المنافقين لا يفقهون»- (المنافقون:٧)

والسر في ذلك هو الاصل الذي تدور معه السياسة الاسلامية، و هو أصالة الكرامة التي توجب تحمل اعباء الفقر الاقتصادي، و تمنع عن تحمل التحقير والتوهين و خشونة الزعيم و غلطته فالذي يجمع شتات الامة هو رافة الامام كما قال:

«لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم و لا تحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين» (الحجر:٨٨)

لان الامام و ان كان منهيا عن الالتفات الى من جمع مالا و عدده و الهاه التكاثر، ولكنه مأمور بخفض الجناح لمن اتبعه من المؤمنين. و لذا وصف الله نبيه(ص) بالرأفة والرحمة حيث قال الله تعالى:

«لقد جاء كم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم» (التوبة:١٢٨)

ومن آثار رأفته المباركة ورحمته الكريمة هو تأسفه الشديد على حرمان بعض الامة من قبول ماجاء به كما قال الله تعالى:

«فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا»

(الكهف:٦)

وقال الله تعالى مسليا لرسوله (ص)

«فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» (فاطر:٨)

وحيث ان مقتضى نظام الامامة و الامة ان يكون الامام رؤفا بأمته ورحيا بها فقد أوصى امام الامة علي بن ابي طالب (ع) مالك الاشتر حين ولاه مصر بذلك و قال:

« ... و اشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، و اللطف بهم، و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا، تغتنم أكلهم فانهم صفنان اما أخ لك في الدين أو نظير لك فى الخلق...» (١)

و من فوائد رأفة الامام الامين بأمته التي هى امانة عنده هو ان الامة لا تنفضّ من حوله فى الشدائد بل فى مطلق ما يلزم حضورها و اشتراكها كما قال الله تعالى:

«انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله و اذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه. انّ الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله و

---

(١) ...نهج البلاغة كتاب:(٥٣)

رسوله، فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله ان الله غفور رحيم» (النور: ٦٤)

حيث وصف الامة المؤمنة حقا بالاجتماع مع امامها و عدم ذهابها الى حوائجها الشخصية الا بعد الاذن، و من ذلك حديث حنظلة غسيل الملائكة المعروف بين اصحاب السير. والسر في ذلك هو الفرق بين الناس و بين الامة، لأن الناس لاجامع لشتاتهم ولا عامل لوحدتهم دون الامة فان لاعضائها هدفا واحدا يأتمون من أجله بامامهم حتى يصلوا اليه وبما انهم يؤمون مقصدا و احدا لذلك قيل لهم —الامة— فاذا كان امام الامة رؤفا بها فهي ايضا تحن اليه وتشتاقه لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها كما افاده رسول الله (ص)(١)، ولعله لذلك كله صار سيد المرسلين حبيب الله يحب الله و يحبه الله وهو من افضل... مصاديق قوله تعالى:

«فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» (المائدة: ٥٤)

و كان اتباعه (ص) هو طي سبيل المحبة و موجبا لان تصيرالامة التي تؤمه و تأتم به (ص) محبوبة لله تعالى كما قال الله تعالى:

«قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» (آل عمران: ٣١)

فعلى ائمة المسلمين ان يتأسوا برسول الله (ص) الذى كان اسوة المحبة و قدوة الرأفة و ممثل الرحمة بالنسبة لأى موجود كان في سبيل الله كما نقل مالك في الموطأ باب جامع ماجاء في امر المدينة ص(٦٤٤) عن هشام بن عروة عن أبيه: (أن رسول الله(ص) طلع له احد فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه)(٢) لانه (ص) ممن يشاهد كل موجود

---

(١)...من لايحضره الفقيه ج٤ ص:(٢٧٣) (٢)...وكذا في صحيح مسلم ج٤ ص:(١٣٤)

بما انه اية و مُسَبّح لله سبحانه و يفقه تسبيحه فاذا بلغ الامام حد الامانة و الرأفة و الرحمة و المحبة للأمة يصير ممن يستجاب دعاوه كما قال رسول الله(ص):

«اربعة لا ترد لهم دعوة: امام عادل (١) فلا يدعو بخير الا ويستجيب الله تعالى له»

و لمكان الاهتمام برأفة الامام بالأمة ورد ما نقله مالك في الموطا باب ما جاء في حسن الخلق أن معاذ بن جبل قال:

« اخر ما اوصاني به رسول الله (ص) حين وضعت رجلي في الغرز أن قال: أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل » (ص ٦٥٠)

نعم ان صاحب الخلق العظيم لا يوصى الا بحسن الخلق.

والحاصل انه لما كان الحق لايجري لاحد الاجرى عليه، ولا يجري عليه الاجرى له لذا يجب على كل واحد من الامة والامام العمل بما يجب عليه للغير من حقوق، كما له ان يطالب الغير بأداء ما عليه من الواجبات وهذا من اعظم ما افترضه الله سبحانه، كما قال علي بن ابي طالب(ع):

« و اعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية و حق الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاماً لا لفتهم و عزا لدينهم، فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية. فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه، وادى الوالي اليها حقها، عز الحق بينهم، و قامت مناهج الدين، و اعتدلت معالم العدل، وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع فى بقاء الدولة و يئست مطامع الاعداء و اذا غلبت الرعية واليها، او اجحف الوالي

---

(١)...من لا يحضره الفقيه ج٤ ص:(٢٥٥)

برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور، و كثر الادغال في الدين،وتركت محاج السنن،فعمل بالهوى، وعطلت الاحكام، و كثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذل الابرار، و تعز الاشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد. فعليكم بالتناصح في ذلك ، وحسن التعاون عليه)(نهج البلاغه : خطبه ٢١٦)

الى اخر ما افاده امير البيان و لقد اغنانا بيان اميرالمؤمنين علي بن ابى طالب عن بيان لزوم رعاية الحقوق المتبادلة بين الامام والامة. و ياله من بيان و حق له (ع) ان يقول:

« انا لامراء الكلام، و فينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه»(١)

ولا وقع للمصباح عند الصباح.

نعم ان الذي كان يحب الله و رسوله، وكان الله يحبه و يحبه الرسول لايوصي الوالي والرعية الا بمايورث المحبة الالهية وهو القيام بالقسط في الحقوق المتقابلة.

---

(١)...نهج البلاغة الخطبة:(٢٣٣)

ان السياسة الاسلامية
تعتقد ان الحكومة انما هي للصالحين من عباد الله

فاذا اتضح أن نهج الحكومة و شكل النظام السياسى في الاسلام انما هو نظام الامام و الامة و اتضح ان لكل واحد منهما حقا يتبع، يلزم الاشارة الى ان العناصر الانسانية فى هذه الحكومة لابد و ان يكونوا عبادالله صالحين كما قد عين القران الكريم خطوطها السياسية بقوله تعالى:

«و نريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين * و نمكن لهم فى الارض و نرى فرعون و هامان و جنود هما منهم ما كانوا يحذرون» (القصص: ٥—٦)

والمنة هي النعمة العظمى، و المنحة الكبرى التي يعسر حملها ولقد جعل القران لبعض النعم المهمة خصيصة لا توجد فى غيرها كالرسالة التي عبر عنها بقوله تعالى:

«ولقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا» (١)

وكالامامة كما فى الاية السالفة الذكر، وكذا فى الهداية الى الحق كما قال:

---

(١)... آل عمران آية: (١٦٤)

«لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هديكم للايمان» (١)

فنعمة الامامة منحة عظيمة يعز فيها الحق واهله، و يذل فيها الباطل واهله، ويحيي فيها العدل و يموت فيها الظلم، و يحيي فيها التوحيد و يموت فيها الشرك ، و يعيش فيها المستضعف المضطهد و يفني فيها المستكبر المترف كما قال الله تعالى:

«و قال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا او لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي و خاف وعيد» (ابراهيم:١٣—١٤)

و لقد صرح سبحانه بان صرح السياسة الاسلامية مبني على الكرامة البالغة وهي الخشية من الله تعالى التي لاينالها الا العلماء:

«انما يخشى الله من عباده العلماء» (٢)

لانها خشية مقام الرب تعالى و خوف وعيده سبحانه. فلو لم تكن هذه الفضيلة فى الولاة لما صاروا حكاما الهين ولما امكن لهم ان يطردوا الطغاة، ولما قدروا على ان يروا فرعون كل عصر وهامان كل دورة ما كانوا يحذرون فاذا خافوا مقام ربهم، وخافوا وعيده، و نهواانفسهم عن الهوى، ولم يؤ ثرواالحياة الدنيا نجز وعدالحق سبحانه لهم، وتنجزوعيده سبحانه على اعدائهم لان رسول الله (ص) قال:

« من خاف الله عزوجل خاف منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه من كل شيء » (من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٥٨)

و من اروع مصاديقه ما قال سبحانه فى عزة المستضعفين من بني اسرائيل

---

(١)... الحجرات: (١٧) ولاينافيه قول السجاد(ع) ان اعطيت لن تشب عطائك بمن —دعاء: (٤٥)— فتدبر—

(٢)... فاطر:٢٨

و ذلة الطغاة الحاكمة عليهم:

«فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا و كانوا عنها غافلين * و اورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض و مغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا و دمرنا ما كان يصنع فرعون و قومه و ما كانوا يعرشون» (الاعراف: ١٣٦—١٣٧)

ولا ريب في ان صلاح العباد، وخوفهم مقام ربهم، وخوفهم وعيده تعالى ليس هو بالاكتفاء بالعبادة من الصلوة والصوم ونحو ذلك مما يتوهم انها كافية في امتثال ما امرالله به، وفي حصول التهذيب، بل انما هو بامتثال جميع ما امرالله تعالى عباده الصالحين به من الجهادين الاكبر والاصغر، والهجرتين الهجرة الكبرى وهي الهجرة من اي رجس ورجز

«والرجز فاهجر» (المدثر: ٥)

والهجرة الصغرى وهي الهجرة من ارض الشرك و الظلم، ثم تحصيل العُدّة والاهبة لارغام انوف الطغاة و تطهير الارض من رجسهم و تخليص الضعاف و المستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا من ايدي ذوي الاوتاد كما قال سبحانه مشيرا الى وظائف ائمة المسلمين و الحكام الالهين على الارض:

«اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير * الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع وصلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا و لينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز * الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة و اتوا الزكوة و امروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الامور» (الحج: ٣٩—٤١)

فبين سبحانه ان هولاء اهل الجهاد و المجاهدة، واهل العبادة و التهذيب و الاصلاح لانفسهم —باقامة الصلوة و ايتاء الزكوة— و لغيرهم بالامر

بالمعروف والنهي عن المنكر بعدما ثاروا على الطغاة و طردوهم و نجّوا بيوتا اذن الله ان ترفع من ايدي من اراد هدمها و تخريبها— وهولاء هم الذين يقولون:

«ربنا افرغ علينا صبرا و ثبت اقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين» (البقره:٢٥٠)

و بالتالي هولاء هم اهل الكرامة الذين اذا قتلوا في سبيل الله بعد ما قاتلوا و جاهدوا يدخلون الجنة و يلحقون بالمكرمين من عباده سبحانه كما قال:

«قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين». (يس:٢٦—٢٧)

لانه جاهد بكلمة عدل عند أئمة الجور.

و حيث ان الكرامة تأبى الذل كما تتحاشى الضيم لان كل واحد منهما نقص يتجنبه الكريم فلذا امروا بالهجرة و رفض الذل و الهوان كما قال الله تعالى:

«ان الـذين توفيٰهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا * الاالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا» (النساء:٩٧—٩٨)

فانه سبحانه لا يرضى لعباده الذل ولايمنع الضيمَ الذليلُ(١)

و من المقدر الالهى المقرر فى الاسلام هو انه لو صبرت الامة الاسلامية على الطاعة و صبرت عن المعصية و عند المصيبة، و صابرت فى الباسا والضراء عند لقاء الاعداء، ورابطت مع امامها القائم بالقسط

---

(١)...نهج البلاغة الخطبة:(٢٦)

ترث الارض وتحكم فيها حكما الهيا لا حيف فيه ولا جور لقوله تعالى:

«قال موسى لقومه استعينوا بالله و اصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عبادة و العاقبة للمتقين» (الاعراف:١٢٨)

لان الكرامة السائسة المناسبة لارث الارض هوماذكر.

و لما كانت الحياة هي حقيقة تنشأ منها المعرفة والحركة فمن لا وعي ولا معرفة له بما يصلحه و يفسده، اولا ارادة ولا حركة له بها يخرج من ظلمة الجاهلية الى نور الاسلام فلا حياة له. اذ الحي هو الدراك الفصال فلذا قال سبحانه:

«ياايها الذين امنوا استجيبوا لله و للرسول اذا دعا كم لما يحييكم و اعلموا ان الله يحول بين المرء و قلبه وانه اليه تحشرون» (الانفال:٢٤)

و مما يلزم التنبيه له هو ان جميع ما جاء به الوحي الكريم موجب للحياة الا ان بين احكامه واوامره امتيازاً يفضل بعضها عن البعض الاخر و من ذلك : الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن حرم الله، والذب عن كيان الاسلام حيث انه تعالى بعد ما امر في سورة الانفال طي عدة ايات خاصة تحث على الجهاد و تبعث صوب الدفاع و تهدي الى الذب عن الكيان الديني. قال:

«استجيبوالله وللرسول اذادعاكم لمايحييكم»

مشيرا الى ان حياة الامة رهن جهادها، ومعيشتها مرهونة بدفاعها و دوامها و بقاوها في ضوء ذبها عن كيانها الاسلامي. فكما ان القصاص و ان كان قتلا و اماتة في الظاهر و لكنه عامل لحياة الامة. و موجب لبقائها. حيث قال الله تعالى:

«ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب» (البقرة:١٧٩)

كذلك القتال في سبيل الله وان كان مصحوبا بالموت و مشفوعا بالشهادة في الظاهر ولكنه عامل لحياة الامة و موجب لدوامها. فمن لا

نفر له الى المعركة، ولا ثبات قدم له عند لقاء العدو، لاحياة له. كما ان من يفر من الزحف، و يجبن من العدو، و يرضى بان يكون مع الخوالف كالمترف فلا حياة له فهل الكرامة الا هذه السياسة التي ترفض ذل الاستعباد و تأنف عن هو ان الاستعمار و تأبى الضيم والاستغلال علمها الاسلام حين ما يعلم الناس الكتاب و الحكمة و يزكيهم — فتعال يا صاح و اقرأ قوله تعالى:

«ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله و رسوله ما على المحسنين من سبيل و الله غفور رحيم * ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما احملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون»

(التوبة: ٩١—٩٢)

فتدبر فيه حتى يتبين لك كيف اثرت الكرامة السائسة في نفوس ابية و انوف حمية حيث تفيض اعينهم من الدمع حين لم يوفقوا لان يراق دماوهم بالقتل في سبيل الله. فهل هذه الاكرامة تطلب الاستقلال الاسلامي، وتهرب عن الاستعباد والاستثمار كائنا ما كان:

«قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون» (انعام : ٩٢)

لان مقالهم هو الله فقط و يذرون المبطلين لا عبين و ترى ايها الباحث الدقيق روح الكرامة قد نفخ في برامج المسلمين اناء الليل و اطراف النهار حيث انه يجب على كل بالغ عاقل ان يقيم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل بالظهرين والمغربين، وكذا صلوة الصبح المعبر عنها بقران الفجر (الاسراء:٧٨) و يجب عليه ان يقرء فى كل صلوة فاتحة الكتاب مرتين اذ لا صلوة الا بفاتحة الكتاب، و من اياتها قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) ثم فسر الصراط المستقيم بانه صراط الذين انعم الله عليهم — واما من هو المنعم عليه و ما هو سيرته و سريرته و سنته و

طريقته فقد بينه الله في مواضع عديدة من كتابه الكريم. و من تلك المواضع قوله تعالى:

«قال ربّ بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين»

(القصص:١٧)

يعني ان مقال موسى الكليم (ع) الذي نهض يكافح الطاغي ذا الاوتاد هو ان قال لربه ان شكر نعمة النبوة (و حمد منحة الرسالة، والثناء على موهبة الامامة التي انعمتها عليّ) ان لا اكون ظهيرا للمجرمين — فهذه هي الكرامة المتبلورة في القهر على المجرمين المقررة في برنامج المسلم في صلواته — فصلوة كل مسلم دراسة النهضة على الطغيان، والثورة على الظلم، و الجهاد ضد الضيم و بالتالي دراسة الوعي و الحرية والحركة والثورة على كل من بخل و استغنى، وكذب الحسنى، و لا ينال هذه الكرامة الا المطهرون عن ادناس الجاهلية، المنزهون عن معالمها واما من ابتلي بها فتضرب عليه الذلة و المسكنة لما اشرب في قلبه حب عجل الدنيا و لذا تهاجمه كلاب الاستعمار فتقطعه اربا اربا و تمثل به مثلة شنيعة ولا تغني الكثرة الظاهره عنه كما قال رسول الله (ص) لثوبان:

«كيف انت يا ثوبان اذا تداعت عليكم الامم كما تداعى الاكلة على قصعتها؟ فقال: بأبي أنت و امي يا رسول الله أمن قلة بنا قال بل أنتم يومئذ كثير و لكن يلق في قلوبكم الوهن. قال و ما الوهن يا رسول الله قال: حبكم الدنيا و كراهيتكم القتال»

(البداية والنهاية لابي الفداء ج١ ص٥٤)

فتدبر ايها الباحث المتفكر في قول رسول الله (ص) حيث قرر أن عامل الانهزام هو الوهن، وان الوهن هو حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، ثم انظر فلسطين و القدس العزيزة الاسيرة بايدي الطغاة اللئام مع الكثرة البالغة للمسلمين في اقطار الارض حتي يتضح لك ان لا

سياسة الا الكرامة التي تأبي الذل و الضيّم ولا كرامة الا في الجهاد و المجاهدة في سبيله تعالي حتى يكون الدين كله لله، و تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، و يكون الدين كله لله تعالى و واصباكمانه يكون لله تعالي خالصا، ولا جهاد ولا نهضة الا بالوعي و الحزم و العزم و الجزم لان اصل المرء لبه، ونعم ما قال جعفر بن محمد الصادق (ع): «ماضعف بدن عماقو يت عليه النية»

(من لا يحضره الفقيه ج٤ ص ٢٨٦)

لقد اوصى مولانا علي بن ابي طالب (ع) اهل مصر حين ولى مالكاً عليهم بان قال فى رسالته المكتوبة اليهم:

«الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت، والى امصاركم قدافتتحت، و الى ممالككم تزوى، والى بلادكم تغزى؟ انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف وتبوُوا بالذل، و يكون نصيبكم الاخَسّ. وان أخا الحرب الارق، ومن نام لم ينم عنه والسلام» (١)

وقال(ع) لجيشه:

«لا تذوقواالنوم الا غرارا اومضمضته»

فاين تذهبون يا طالبي الكرامة؟ و أين يتاه بكم ياساسة؟ تدبروا قول الكريم السائس الذي لم يعهد مثله بعد رسول الله (ص) حيث يوصي ابنه الحسن بن على (ع) بقوله...

«... وأكرم نفسك عن كل دنية و ان ساقتك الى الرغائب، فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبدغيرك وقدجعلك الله حراو ما خَيرُ خيرٍ لاينال الا بشر و يسر لاينال الا بعسر) (٢)

---

(١) نهج البلاغه صبحى الصالح كتاب ٦٢

(٢) ...نهج البلاغة الكتاب: (٣١)

ولقد كتب عليه السلام الى معاوية وقال:

«... و متى كنتم يا معاوية ساسة الرعية و ولاة أمر الامة، بغير قدم سابق ولا شرف باسق، و نعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء، و أحذرك ان تكون متماديا في غرة الأمنية، مختلف العلانية و السريرة»(١)

حيث يقول (ع) ان النَكْراء ليست سياسة، و ان الماكر المخادع ليس سائسا و ان النفاق و اختلاف السر والعلن لا يلائم السياسة الدائرة مدار الكرامة المختصة بعباد الله الصالحين الذين بها يتسحقون الحكومة على الارض و ميراثها و يشتاقون لاكرم الموت (٢) و هو القتل في سبيل الله لانهم الذين لم يختلف سرهم عن علنهم، ولا فعلهم عن قولهم، و من كان كذلك فقد أدّى الامانة، وأخلص العباده (٣) ومن كان مخلصا في عبادته لله تعالى يورثها الله الارض، ويجعله اماما يحكم عليها.

«ان الارض لله يورثها من يشاء»

لقدشاء ان يورثهامن اخلص لله في عبادته الجامعة.

---

(١)... نهج البلاغة كتاب:(١٠)

(٢)... الخطبة:(١٢٣)

(٣)... كتاب:(٢٤)

ان السياسة الاسلامية تقتضي ان تحسن الى كل احد، الا من سعى في الارض فسادا

فقد تبين ان السياسة الاسلامية تدور مع الكرامة حينا دارت، والكرامة توجب الاحسان الى كل واحد الامن سعى في الارض ليهلك الحرث والنسل فان لسيئته جزاء مثلها. فالاصل الاولي في السياسة الاسلامية مبني على الاحسان كما انه مبني على العدل حيث ان عليا(ع) اوصى مالك بن الحارث الاشتر حين ولاه مصر بقوله:

«ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين، اونظير لك في الخلق» (١)

فامر بلزوم رعاية العدل، و عدم التجاوز عنه بالنسبة الى اي انسان — مسلما كان او غير مسلم – و منشاء ذلك كله قوله تعالى:

«لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون». (الممتحنه : ٨ – ٩)

---

(١)... نهج البلاغة كتاب: (٥٣)

حيث خص النهي عن التولي والارتباط بمن قاتل المسلمين و اذاهم اما من لم يقاتلهم و لم يؤذهم، و لم يصدهم عن سبيل الله، و لم يبغها عوجا فلا نهي عن البر والاحسان والاقساط اليهم، بل هو امر محمود ليروا عدل الاسلام واحسانه، و يعيشوا في ضوء قسطه و بره.

نعم لكل شيء في الاسلام حد و من تعداه فله حد مبين في الفقه، ولا تعطيل في الحدود، ولا شفاعة ولا تأخير فيها لان ذلك هو مقتضى النظام الالهي و على المسؤلين أن يجدّوا في تنفيذه لانهم هم الحافظون لحدود الله والا لما اتيحت لهم فرصة السياسة، اذ لا كرامة في تعطيل الحدود وجعلها بئرا معطلة، كما انه لامجال للتساهل في الذب عن الكيان الاسلامي لان التواني و التهاون والتراخي و الجمود و السكون عن الحق و ما الى ذلك هي من سيئات القوة الدافعة، وعجزها و تفريطها الذى لا يجتمع شيء منها مع الكرم السائس، وان صححه الخيال تارة وسَدّدَه الوهم اخرى. و حسب الانسان المبتلى بذلك انه احتياط و حزم حسن - يرى الجبناء ان الجبن حزم - وتلك خديعة النفس اللئيمة، و هو يحسب انه يحسن صنعا ولكنه ليس في الحقيقة كذلك. والاصل في ذلك كله قوله تعالى لموسى و هارون الذاهبين الى طاغي العصر:

«ولا تنيافي ذكري» (طه: ٤٢)

اذ التواني في ذكر الله يوهن العزم. و من المعلوم ان لا ثمرة للعزم الواهي الا الانهزام، و لذا قال علي بن ابي طالب (ع):

«ماعَليّ من قتال من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان»

(الخطبة: ٢٤)

لان هولاء ودوالو يدهن والي المسلمين فيدهنون كماقال الله تعالى لرسوله:

«ودوالوتدهن فيدهنون»

(سورة القلم: ٩)

والسر في ذلك ان المداهنة شفير وادي الذل والهزيمة، وان المقاومة سُلّم صرح العزة والغلبة – فتحصل ان الكرامة التي هي السياسة تقتضي الاحسان الى كل احد الامن خالف الحق، وطلب البغي وسعى في الارض ليهلك الحرث والنسل فحينذاك يجب على الامام والأمة ان ينهضوا و ينتصروا عالمين بان الله كتب الغلبة له تعالى ولرسله، وقال علي (ع):

«من احد سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل»

(نهج البلاغة الكلمات القصار ص ٥٠١)

و مما لابد من التنبيه له هو ان السياسة الاسلامية لا تفعل باطلا ولا تصححه ولا تغمض عنه لانها تدور مدارالحق. والحق كما قال الله تعالى:

«قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد» (سبأ: ٤٩)

لايُجَوّز الباطل سواء كان ذاسابقة ام كان باطلا جديدا.

ان السياسة الاسلامية
تقتضى الاستقلال والحرية والكفاية، وحصر الاتكال على الله

ان الكرامة التي تنوط بها السياسة تقتضي ان لايحتاج الانسان الى محتاج اخر مثله. و ان لايذل له بل يستقل بحوله و قوته مستعينا بالله تعالى ولقد مثل القران الكريم هذه الكرامة المصحوبة بالحرية والكفاية بقوله تعالى:

«محمدرسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ترٰيهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورٰيه، ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطئه فٰازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزارع ليغيظ بهم الكفار، وعدالله الذين امنوا وعملواالصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما». (الفتح: ٢٩)

ان هذه الاية الكريمة؛ بعد ما بينت توحيد الامة الاسلامية في العبادة و العقيدة وانه ليس في عقيدتهم الاالخضوع لله و ان الركوع و السجود له تعالى كان دابا وسيرة مستمرة لهم ولذا لايخافون في الله لومة لائم ولا يداهنون الكفار المنحرفين عن صراط التوحيد بل يكونون اشداء عليهم كما يكونون رحماء بين انفسهم لان الجامع بينهم هو عقيدة القلب فحسب ، أفادت انهم مستقلون احرار اغنياء عن الاغيار و يتعجب منهم

من يشاهد كفايتهم ويغيظ بهم من لايرضى باستقلالهم وحريتهم حيث قال:

«مثلهم كزرع اخرج... الخ»

اى انهم أهل النمو والحركة والرشد و التسامي لا أهل الخمول والسكون والذبول والانحطاط ثم انهم بعد ما كانوا أهل التحرك و التحرر يكونون أهل الوعي و الاستنباط و التبديل والاحتراف والصناعة و ما الى ذلك حيث انهم يعرفون ذخائر هم ومواد هم الأولية و يبدلونها بما هو صالح للاغتذاء، و يصرفونه في التغذية بالمعنى الوسيع الجامع لجميع شؤونها بلا احتياج في شيء من ذلك الى وزير من خارج او نحو ذلك ،**بل يستقلون في** الوزارة و الاعانة، وكذا في التغليظ و التحكيم كالبنيان المرصوص اذ لو لم يكن لهم ساق غليظ لما امكن لهم ان يقوموا عليه، لان الشجرة التي اجتثت من فوق الارض لا قرار لها، **وهكذا الزرع الذى لاساق غليظ له — بان يكون غلظه بسبب اصله الثابت الموجب لغلظة الساق وضخامته—** لا قرار له فكيف يمكن للزرع ان يستقر على مثل ذاك الساق وهكذا الامة الاسلامية ما لم تكن كشجرة طيبة اصلها ثابت كيف يمكن الاستقرار عليها، وكيف يمكن **ان توتى ثمرها واكلها كل حين، اذ لايأذن الله** بذلك لمن لا اصل له ابى الله ان يجرى الامور الا باسبابها— و أهم سبب يوجب الاستقلال هو الاتكال على الله تعالى لقوله تعالى:

«اليس الله بكاف عبده، و يخوفونك بالذين من دونه و من يضلل الله فما له من هاد» (الزمر:٣٦)

حيث يدل على ان الله تعالى وحده كاف وان الاعتماد على الله الذي هو معتمد عباده موجب للكفاية، وعلى ان تهديد الكفار و ارعاب المنافقين، وتخويف الذين **في قلوبهم مرض**، و انذار المرجفين، لاجدوى منه اذلله جنود السموات والارض فلا ينبغي ان يخاف الا من الله كما لا ينبغي

ان يتوكل الا على الله تعالى:

«قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون». (الزمر:٣٨)

ثم ان الاستقلال والحرية وما الى ذلك ماهومن خصائص الكرامة التي تسوس الأمة الاسلامية ليس بالاماني كما قال علي (ع):

«اياك والاتكال على الأماني فانها بضايع النوكى وتثبيط عن الاخرة» **(من لايحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٧٥)**

بل لابد له من سبب خاص يجب به و يمتنع بدونه و ذاك السبب هو ان يتصدى لكل شأن من شؤون النظام الاسلامي من هو كامل في امرين: احدهما الاطلاع والمعرفة و التخصص بالنسبة الى ذلك الشأن، و ثانيهما التعهد الديني، و التقوى الالهي بحيث لا يخون في شأنه، و لايختلس منه، ولا يسامح فيه فمن كان فاقدا لاحدهما لم يصح له تصدي ذلك الشأن فضلا عمن كان فاقدهما معا. والاصل ــ في ان كمال النظام في ان المتصدي لاي شأن كان لابد وان يجمع وصفي العلم والعدل وكمالي التخصص والتقوى ــ هوما اشاراليه سبحانه في كتابه الكريم من بيان شأنين: احدهما في غاية الاهمية والتعقيد، والاخر في غاية البساطة و الابتذال.

الاول: تولي وزارة الاقتصاد في اصعب عصر والتصدي للامور المالية في احرج وضع.

الثاني: هورعي عدة اغنام وسقيها.

اما الاول فقوله تعالى حاكيا عن يوسف الصديق (ع) بعد خروجه من السجن و ابتلاء مصر بالقحط و الغلاء و المجاعة و نقص الزرع:

«اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم». (يوسف:٥٥)

يعنى ان يوسف (ع) ادعى صلاحه للوزارة و ادارة الامور المالية فى اعسر وضع لانه كان حفيظا امينا لا يفرط ولا يخون. و عليا بذلك الشأن

الخاص مع تقدم الحفظ و التقوى المالي في هذا الموضع على العلم فيلزم ان يكون الوزير متقيا فى شأنه وعالما به فلا التقوى بدون المعرفة بذاك الفن كاف ولا الاطلاع الفني بدون التقوى مجدٍ بل لابد للوزير من الجمع بين التخصص والتقوى.

واما الثاني فقوله تعالى حاكيا عن احدى بنتي شعيب (ع) في استيجار موسى (ع):

«يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين» (القصص:٢٦)

يعني ان خير العمال والمتصدين لاي امر هو القوي على انجازه والعارف به ولشؤونه، والامين عليه، فخير الرعاة والسقاة هو الراعي القوي الامين والساعي الخبير الثقة.

والحاصل ان منطق القرآن الكريم هو لزوم المعرفة والامانة في كل من يتصدى لامر عالٍ اودانٍ، معقد او بسيط، وزراة كان او رعيا للاغنام و سقيا للدوابّ ونحو ذلك.فاذا اعطي في نظامٍ كل ذي حق حقه، و تصدى لكل شأن من يليق به تعهدا وتخصصا فذاك النظام هو الحري بالاستقلال والحرية.

ثم ان من اهم موارد لزوم الاستقلال هو الاقتصاد المالي و النظام الاقتصادي لان المال قوام الامة و قيامها ولا اقتدار لمن لا قوام له، ولا حول لمن لا قيام له قال الله تعالى:

«ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما» (النساء:٥)

حيث وصف الله تعالى المال بكونه قياما. فمن لا مال له لاقوام له، ولعله لهذا السبب يقال لفاقد المال (الفقير) لان الفقير هو من انكسر عظم ظهره وفقراته و من المعلوم ان من انكسر عظم فقرات ظهره لاقوام له ولا قيام له فبينهما تلازم يعني ان من انكسر فقرات ظهره فهو فقير لا قيام له، و من لا قوام له و لا قيام له فهو فقير. وحيث ان المال قوام، ومن لا مال

له لا قوام له فهو فقير كذلك يقال لمن لامال له انه فقير. فالامة الفاقدة للنظام الاقتصادي الصحيح فهي ممن لاقوام له فلا تستطيع الثورة على الطغاة، و من لاقيام له فهو فقير فهذه الامة العاجزة عن القيام المالى فقيرة فحينئذ ليس في وسعها ان تقوم لله و تتعظ بما وعظها الله تعالى حيث قاله في قرآنه الكريم:

«انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى» (سباء:٤٦)

اذ المراد من القيام هنا ليس هو القيام الصوري العمودي، بل المراد منه المقاومة تجاه الظالمين و من الواضح ان المقاومة انما تجدي مع النظام الاقتصادى الرائع، و بدونه لا قيام و لا مقاومة ولا صبر ولا مصابرة ولا مرابطة. و لقد اشار اليه رسول الله (ص) في قوله:

«اللهم بارك لنا فى الخبز، ولا تفرق بيننا وبين الخبز (و بينه) فلولا الخبز ماصلينا ولا صمنا، ولا ادينا فرائض ربنا»

(الكافي ج ٥ كتاب المعيشة باب الاستعانة بالدنيا على الاخرة)

و ليس ذلك بالنسبة الى شخصه (ص) او الكمّلين من صحبه بل بالنسبة الى الشعب.

والسر في ذلك كله هو ان فاقد المال فقير بمعناه المقرر له آنفا، والفقير غير قادر على القيام فضلا عن الاقامة و هو اي القيام للدين و اقامته انما يتم في النظام الاقتصادي السالم، وهو بالانتاج والتوزيع و كل ذلك فن معقد لايتصدى له الا الخبير الثقة فمن لاخبرة له او لا وثوق به لن يجدي شيئا:

«اينما يوجهه لايأت بشيء» (النحل:٧٦)

فحينئذ يصير كلاً على غيره وقد قال رسول الله (ص):

«ملعون من القي كله على الناس»

(الكافي باب الاستعانة بالدنيا على الاخرة)

فعه تصير الامة التي القت كلها على الامم الاخرى ملعونة محرومة من العناية الالهية كما قال(ص):

«لاخير في من لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه، ويقضى به دينه ويصل به رحمه» (الكافي ـ الباب السابق)

لان جمع المال المتكاثر به وان كان مذموما الا ان جمعه بمقدار يصان به العرض و يقضي به الدين، و يوصل به الرحم، و ما الى ذلك من الحوائج ممدوح.

كما قال علي بن ابي طالب(ع) في دعائه:

«اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالاقتار»

(نهج البلاغة صبحي الصالح ص٣٤٧ الخطبة ٢٢٥)

وللاهتمام بالنظام الاقتصادي الحرقال علي(ع):

«من وجد ماء وترابا ثم افتقر فابعده الله»

(الوسائل كتاب التجارة باب ٩)

حيث انه (ع) هدد العاطل، وتوعد الكسلان، و رهب الفارغ، مع التمكن من الانتاج من الغرس و الزرع و نحو ذلك فلا يباح للامة الاسلامية الكسل والفشل والضجر والعجز في المشى فى مناكب الارض و استخراج ما في بطونها مما اودعه الله فيها. قال علي (ع):

«ان الاشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فانتجا بينهما الفقر»

(الكافي كتاب المعيشة باب كراهية الكسل)

وهكذا قال(ع):

«ان الله يحب المحترف الامين» (الكافي باب الصناعات)

و لعله اشارة الى لزوم اجتماع وصفي العلم و الامانة في الصانع لان الحرفة صناعة لابد فيها من مهارة و تخصص، و مع انضمام وصف الامانة الى ذلك يتم الامر كما تقدم.

وحيث ان النظام الاقتصادي انما يصح اذا كان جامعا بين الحرف الزراعية والحرف الصناعية الدارجة اليوم ندب السياسة الاسلامية من بعدها الاقتصادي اليها ايضا قال الثمالي مررت مع ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع) في سوق النحاس فقلت جعلت فداك هذا النحاس أي شيء أصله؟ فقال (ع):

«فضة الا ان الارض افسدتها فمن قدر على ان يخرج الفساد منها انتفع بها» (الكافي: كتاب المعيشة: باب النوادر)

فهو(ع) قد رغب الناس في التعريف على تلك المعادن، وكيفية امتزاجها، وكيفية تلخيصها، و حضهم على الاصطناع والاحتراف الخاص بذلك، كما انه (ع) حذر الناس من جمع المال وادخاره وعدم صرفه فى الانتاج والتصنيع قال (ع):

«ما يخلف الرجل بعده شيئا اشد عليه من المال الصامت. قال قلت له كيف يصنع؟ قال (ع) يضعه في الحائط و البستان والدار»

(من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٠٤)(١)

اذا المال انما هو موضوع لان تتبادل فيه الاجناس لا لان يدخر في مكان واحد، و بيد شخص او اشخاص مخصوصين قال الله تعالى :

«لكيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم» (الحشر:٧)

فعليه يلزم ان يصرف المال في التصنيع والانتاج اولا، وفي التوزيع بين الناس لأنهم سواسية كاسنان المشط ثانيا حتى يحتمي من الاكتناز و يصان من التكاثر ويجتنب الفاقة الى غير الامة الاسلامية في مواد المعيشة، ويحترز عن سيئات هذه الفاقة. اذ الاحتياج الى امة غير اسلامية سواء كان في النظام الاقتصادي او العلمي اوالعسكري او غير ذلك

---

(١)... وفي شرح (المجلسى الأول)قده ج ٦ ص: (٤٦٩) نقله بتفاوت ما.

يوجب توليهم و الركون اليهم وقد نهي الله سبحانه عن ذلك كله، و حذر الامة الاسلامية منه والسر في هذا الامر هو ان الافتقار الي دولة غير اسلامية يوجب سد الخلة ورفع الحاجة بهم ومعلوم ان سد الخلة ولم الشعث ورفع الفاقة من الامة الاسلامية احسان اليهم، والاحسان يوجب انجذاب قلوب المحتاجين الى من احسن اليهم كما قال رسول الله:

«جبلت القلوب على حب من احسن اليها، و بغض من أساء اليها».

(من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٧٣)

و محبة الكفار الطغاة ركون اليهم، وتول لهم، و حنين نحوهم. وقد قال سبحانه و تعالى:

«ولا تركنواالى الذين ظلموا فتمسكم النار و مالكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون» (هود:١١٦)

«يا ايهاالذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض و من يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين» (المائدة:٥٧—٥٨)

حيث انه تعالى حذر الامة الاسلامية من الركون اليهم، و الركون هو الميل القليل والحنين اليسير – اضف – الى ان القلب مجبول على حب من أحسن اليه – ان هؤلاء الكفار لايرضون بمجرد الركون و الحب القلبي، بل يسعون لأن يصيروا اولياء على المسلمين و يجعلوهم تحت ولايتهم و يملكوا رقابهم و يستبدوهم كما هو المعروف من شيمهم المشؤومة و سيرتهم السيئة— والاسلام لا يرضى بذلك هيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك و رسوله والائمة من ولده، لان الحق يعلو ولا

يعلى عليه، والاسلام يوجب السيادة و ينزه المسلمين عن عبودية غير الله كما قال رسول الله (ص) حيث ان ابا جهل و جماعة من اشراف قريش مشوا الى ابي طالب و شكوا اليه النبي (ص) و قالوا قد سفه احلامنا و شتم الالهة فدعاه ابوطالب و قال له: ما لأهلك يشكونك؟ فقال النبي (ص) ادعوهم الى كلمتين خفيفتين يسودون على العرب بهما و يؤدي الخراج اليهم بهما العجم فقال ابوجهل وغيره ما هما فقال (ص): (تشهدون ان لا اله الا الله وأني رسول الله) فقال ابوجهل (اتجعل الالهة الها واحدا) (التبيان للطوسي ج٨ ص٤٩٧) فهل ترى ايها الباحث في السياسة الاسلامية ان الاسلام يرضى بان يكون هؤلاء الكفرة اولياء للمسلمين و ساداتهم مضافا الى ان المراودة معهم اذا كانت مراودة الفقير و الغني، ومرابطة الرق والحر، ومعاملة المقهور والسلطان توجب تخلق المسلمين بأخلاق هؤلاء الكفار، و انخراطهم في سلكهم كما هو الشاهد بين الامم الضعيفة والقوية مع ان القرآن الكريم ينادي ببراءة الله ورسوله من المشركين ما لم يتوبوا لانهم ان يظهروا على المسلمين **لايرقبوا فيهم الا ولاذمة يرضونهم بافواههم و تابى قلوبهم و اولئك هم المعتدون**. ولذا امر المسلمين بقتالهم حيث قال سبحانه:

«و ان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون» (التوبة: ١٢)

فتحصل ان الكرامة السائسة تأبى افتقار المسلمين الى غير هم في شيء من شؤونهم الدنيوية بل توجب ان يكونوا مستقلين في ذلك كله واحرارا. و ان من اهم تلك الشؤون هو النظام الاقتصادي الصحيح الطارد للفقر الذي هو كما قال علي (ع):

«منقصة للدين مدهشة للعقل، داعية للمقت»

(نهج البلاغة صبحي الصالح الكلمات القصار ص ٥٣١)

وقال ايضا:

«الفقر الموت الاكبر»

وانها (اي السياسة التي تدور مدار الكرامة) تقتضي الاحسان والادب الصالح الا ما خرج بالنص. قال مولانا جعفر بن محمد الصادق(ع):

«وان جالسك يهودى فاحسن مجالسته»

(من لا يحضر الفقيه ج٤ ص٢٨٩)

ان السياسة الاسلامية
توجب اتحاد المسلمين وتآخيهم وتمنع من تفرقهم

ان الكرامة تمنع عن الميل الى الهوى المردي، و تحذر عن الجهل المهلك و عن اي سبب يوجب الاختلاف و التفرق بين المسلمين و جعلهم أيادي سبأ متفرقين لان ذلك كله من الدناءة التي لا تجوزها الكرامة السائسه و لذاترى الثقلين الذين خلفهما رسول الله (ص) في امته لن يضلوا ما تمسكوا بهما وهو كتاب الله و عترته الطاهرة، يدعو ان الامة الاسلامية الى الوحدة، و ينهيانها عن الاختلاف و التفرقة قال الله سبحانه:

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (آل عمران: ١٠٣)

«اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه» (الشورى: ١٣)

«ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» (الانعام: ١٥٣)

«ولا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جائهم البينات و أولئك لهم عذاب عظيم» (آل عمران: ١٠٥)

حيث يدل على ان التفرق في الدين، و الحياد عن الصراط المستقيم الذي

لا تخلف فيه و لا اختلاف، كبيرة موبقة سيا حال القتال مع اعداء المسلمين حيث قال سبحانه:

«اذالقيتم الذين كفروازحفافلا تولوهم الادبار» (الانفال:١٥)

«ياايها الذين آمنوااذالقيتم فئة فاثبتوا» (الانفال:٤٨)

حيث نهى عن الاستدبار و الانفضاض من حول امامهم الذي لاتحركه العواصف كرار غير فرار و هو رسول الله (ص) و من هو بمنزلته. و بالجملة فان الاختلاف والتفرق يوجبان الوهن والفشل المستلزم للانهزام والانظلام و تسلط الكفار كما قال سبحانه:

«و اطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين» (الانفال:٤٦)

لان النزاع هو خلع القوة و نزع القدرة من الجانبين، هذا يصرف همه و قدرته في نزع القدرة عن ذاك وذاك يهم و يسعى في ازالة القدرة عن هذا. فلذا اتفقا على نزع القدرة، والا تفاق غالب ومؤثر فلذا تنزع القدرة عن الطرفين فيبدو فيهما الفشل و اذا بداالفشل ذهبت الريح والعزة فاذا ذهبت العزة جاءت الاستكانة و الذل (اعاذ الله الاسلام و المسلمين منها) اذ لاريب في ان الكفار ان ظهروا على المسلمين لم يبقوا شيئا من كيانهم كما قال الله سبحانه:

«ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء و يبسطوا اليكم ايديهم و السنتهم بالسوء و ودوا لو تكفرون» (الممتحنة:٢)

فحينئذيصيب المسلمين الملق والخضوع. وقدقال رسول الله(ص):

«من مدح سلطانا جائرا و تخفف و تضعضع له طمعافيه كان قرينه في النار»

وقال ايضا: «من ولى جائراعلى جوره كان قرين هامان في جهنم»

(من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٦)

و ذلك لان الذليل يضطر الى الملق و المدح و التولي والخضوع للكفار و لكن هذا الامر الاضطراري اختياري في الواقع لان الامتناع بالاختيار لاينافي الاختيار.

والحاصل ان العزة التي لله ولرسوله و للمؤمنين منوطة باتحادهم وتأخيهم و كونهم يدا واحدة على من سواهم، والاتحتم لهم الفشل و تعين لهم ذهاب الريح و نفاذ روح العزة و كتبت عليهم الذلة و المسكنة بعد ما و عدهم الله العزة و النصرة.

وليعلم أن مناط الوحدة هو العقيدة كما ان مدار السياسة الاسلامية عليها حسبما تقدم سالفا بيان اصالة العقيدة دون اللغة و القومية و المكان وغير ذلك.

و ليعلم ايضا ان موطن العقيدة هو القلب الذي زمامه بيد مقلب القلوب لاغير و لذا قال علي (ع):

«عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم، وحل العقود ونقض الهمم»

(نهج البلاغة صبحي صالح ص ٥١١)

وحيث ان القلب بيده تعالى فما لم يصر سالما لم يتيسر له ان ينزع منه الغل و الحقد و الضغينة و ما الى ذلك من أدواء الصدور ولهذه الخصيصة قال الله سبحانه لرسوله:

«وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم» (الانفال: ٦٦)

يعني ان القلب لكونه خارجا عن منطقة الطبيعة و المادة لا يمتلكه شيء من الذخائر المادية حتى يعتقد به الحق و يتحد به مع القلب الاخر، بل انما امره بيد الله سبحانه و هو ينظر الى القلوب والسير لا الى الصور(١)

(١)... قال النبي (ص) ان الله لا ينظر الى صوركم و اموالكم و لكن انما ينظر الى اعمالكم وقلوبكم = سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب القناعة.

فاذا وجد القلب سالما عن المرض نوره بالوحدة والالفة واذا وجده مريضا يسارع في الكفار يقول: اخشى واخاف ان تصيبني دائرة، و اخاف ان الاسلام ينهزم، وان الكفر ينتصر و يغلب - أمسك الله فيضه عنه، و وكله الى نفسه، ومن وكله الله الى نفسه فلا عماد له، ولا ملاذ له، لانه لن تجد من دونه ملتحدا. قال رسول الله (ص) قال جل جلاله:

«أيما عبد اطاعني لم أكله الى غيري، وايما عبد عصاني وكلته الى نفسه ثم لم أبال في اى واد هلك» (من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٨٩)

وكذا قال الله تعالى:

«اذا عصاني من خلقي من يعرفني سلطت عليه من خلقي من لا يعرفني» (المصدر السابق)

و بالجملة فالعزة حليفة الوحدة، كما ان الذلة قرينة الفرقة. فمن اتحد عزّ و من تفرق ذل. و قد قال علي بن ابي طالب (ع):

«فان يد الله مع الجماعة، و اياكم و الفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه» (نهج البلاغة الخطبة ١٢٧)

وقال ايضا:

(ولا تباغضوا فانها الحالقة) (١) و حيث ان الوحدة عزة والعزة كرامة والكرامة بالتقوى، فمن كان اتقى كان أكرم و اعز، و من كان أعز كان ادعى الى الوحدة و التاخي كما كان علي (ع) كذلك وهو يقول:

«وليس رجل - فاعلم - احرص على جماعة امة محمد (ص) و الفتها مني أبتغي بذلك حسن الثواب و كرم المآب» (نهج البلاغة الكتاب ٧٨)

ثم ان الوحدة الموجبة للانتصار و العزة ليست بمعنى الادهان ولا

---

(١)... نهج البلاغة الخطبة: (٨٦)

الايمان في حكم الله تعالى بل هي بمعنى عدم الميل الى الهوى و كل مايوجب التفرق عن الاسلام لا ما يوجب الاتحاد و تأكيده و تقويته و منه يظهر لزوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بشرائطه المقررة في الفقه، لانه الموجب لعز الاسلام، و بعزته يعز المسلمون، و بنجاته ينجو المؤمنون. روي البخاري في صحيحه ج ٢ص٦عن رسول الله(ص) انه يقول:

«كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته، الامام راع و مسئول عن رعيته والرجل راع في اهله و هو مسئول عن رعيته، و المرأة راعية في بيت زوجها و مسئولة عن رعيتها، و الخادم راع في مال سيده و مسئول عن رعيته»

(و هذه المسئولية العامة هي التي تحفظ الوحدة الاسلامية و تحرسها من الضياع ولقد مثلها رسول الله بأروع تمثيل حيث قال(ص):

«مثل القائم في حدود الله و الواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها و كان الذين في اسفلها اذ استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لوانا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فان تركوهم و ما ارادوا هلكوا جميعا و ان اخذوا على ايديهم نجوا و نجوا جميعا) (مناهل العرفان ج ١ ص ٢٩٩ عن البخارى)

تأمل جيدا في هذا المثل واعقله لان الامثال مضروبة للناس و لكن لا يعقلها الا العالمون وتدبر فيه حتى يتضح لك ان المسلمين هم ركاب سفينة مهددة بالخرق والغرق فان اخذت الامم الاسلامية أيادي حكوماتها و منعتها من خرق السفينة الاسلام بتولي الطغاة المسئولين الذين لايبقون ولا يذرون نجى الاسلام والمسلمون معا، و ان نامت الامم - و من نام لم ينم عنه - و سبتت عقولها - (نعوذ بالله من سبات العقل) و تركت الحكومات و شأنها ولم تأخذ على ايديها واهملتها حتى باعت الاسلام و المسلمين بثمن بخس هلكوا جميعا.

و بالجملة: فان كرامة الامة الاسلامية في ضوء وحدتها و تأخيها ولاتحصل الوحدة والاخوة الا بصيانة بعضها البعض الاخر في الشؤون الدينية والاجتماعية وغيرها. قال رسول الله(ص):

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»

وقال(ص):

«مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»

وقال(ص) ايضا:

«المسلمون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله، وان اشتكى رأسه اشتكى كله»

(صحيح مسلم الجزء الثامن ص٢٠ باب تراحم المؤمنين)

ولامرية في انه لولا تعاضد الاعضاء و تعاونها لما بريء العضو المريض، ولما زال داؤه، واذا لم يبرأالمريض ولم يزل داؤه لم يجد الراحة و لم يحصل على الامان والصحة. اي النعمتين المجهولتين.

و من هذا الباب ما أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى...، و نهى عن التعاون على الاثم و العدوان كما في سورة المائدة آية ٢ــ لان التعاون على التقوى يورث الاتحاد و الاخوة، واما التعاون على الاثم فيوجب التفرقة و النفرة المنافية للايمان. اذا الايمان يقتضي الاخوة في الله كما قال الله سبحانه:

« انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم» (الحجرات: ١٠)

ولنختم المقال بكلمة خاتم الانبياء الذي أوتي جوامع الكلم وهي من غرر كلماته(ص) التي لم يسبق اليها وهي قوله(ص): (الان حمي الوطيس) (من لايحضره الفقيه ج ٤ ص٢٧٢) و(تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٦).

قالها (ص) في حنين ، اي اشتد الحرب و قام على ساق.

والوطيس موقد النار شبه التنور والمراد به ان الشجاعة تنفع الان. و يجب على كل أحد ان يبذل جهده حينئذ ولو وقع بعض الفتور او الاحتياط وقعت المغلوبية و فيها خسران الدنيا والاخرة. و حينما يكون التنور حارا يجب انتهاز الفرصة بالاختباز لانه لو برد لما امكن ذلك.

و اعلموا ايها المسلمون ان الثورة الاسلامية في ايران بزعامة قائدها المرجع الديني الامام الخميني(ايده الله لما يحب و يرضى)و طيس حار مشتعل بالوعي والحرية و الاستقلال و الحركة و الكفاح و القتال والجهاد و المجاهدة لان الشعب الايراني المسلم قد هاجر الهجرتين اللتين اشار اليهما رسول الله في قوله:

«ان الهجرة خصلتان احديهما ان تهجر الشر والاخرى ان تهاجر الى الله و رسوله» (البداية والنهاية لابي الفداء ج١ص٢٠٢)

و سارع الى المغفرة من ربه و سابق الى الخيرات بتحمل اعباء الاضطهاد و النهب والقتل والسبي وتخريب البيوت و هدم الشوارع و المخازن و المزارع والمصانع و المدارس والمستشفيات ونحوها و كل ذلك لله وفي سبيل الله و على ملة رسول الله (ص) قطعا لايادي الامبريالية و الصهيونية و كل باغ وطاغ طلباً للاصلاح في الجامعة الانسانية بان لا تعبدالاربها الذي هو رب العالمين، ولا تشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله.

فهذاالوطيس حاربحرارة الايمان والشهادة:

«فانتهزوا الفرص و اغتنموها، و تنفسوا قبل ان يضيق الخناق واختبزوا خبز الحرية و الاستقلال و العدل و المساواة و كونوا للظالم خصما وللمظلوم عونا و عضوا علي النواجد و عاودوا الكر، واستحيوا من الفر فانه عار في الاعقاب و نار يوم الحساب، وطيبوا عن انفسكم نفسا، و امشوا الى الموت مشيا نجماً، فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق و انتم الاعلون،

والله معكم ولن يتركم اعمالكم»

(اقتباس من خطب نهج البلاغه)

و اعلموا عباد الله ان الله سبحانه لن يَتِر عمل قوم أخلصوا له في الاضطهاد و الشهادة اذ العمل الالهي مشفوع بالنتيجة و ليس موتوراعنها، لان الباطل موتور و يذهب جفاء و اما الحق فيمكث في الارض، و لذا نهى الله سبحانه عن الوهن، وعن الدعوة الى السلم و الحال هذه: اي اذا اشتد وطيس الحرب بابدان قطعت في سبيله اربا اربا، ورئوس اطيح بها في طريقه و بمصائب اخر لا يقدر البيان و البنان على شرحها فلا مجال للسلم، بل الامر منحصر في الشهادة او الانتصار. قال سبحانه:

«ولا تهنوا و تدعوا الى السلم وانتم الاعلون و الله معكم ولن يتركم اعمالكم» (محمد(ص):٣٥)

اي لا تهنوا و لا تدعوا الى المسالمة واعلموا انكم انتم الاعلون لان الله القاهر فوق عباده معكم، ولن يقطع اعمالكم الصالحة عن الانتاج، ولن يتركم عن ثمرات مجاهداتكم ولا يجعلها وترا فردا بل يجعلها شفعا و زوجا بالانتاج. لان العمل المنتج شفع، والعمل العقيم وتر، و حاشا الله سبحانه ان يعد عباده الذين اشترى منهم انفسهم وأموالهم بالنصر و يقول لهم (ان تنصرواالله ينصركم و يثبت اقدامكم) و يقول (ولينصرن الله من ينصره) و يقول (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي) و يقول (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) و يقول (كلما اوقدوا ناراًللحرب اطفأها الله).. ثم لايفي به سبحانه الذي لا يخلف وعده ولا يقطع رجاء من رجاه، ولا امل من أمّله سبحان الذي لا يعجزه شيء في السموات والارض...

و نسأل الله تعالى منازل الشهداء، و معايشة السعداء، و مرافقة

الانبياء(١) (اللهم اليك افضت القلوب، و مدت الاعناق، وشخصت الابصار، ونقلت الاقدام و انضيت الابدان. اللهم قد صرح مكنون الشنان،و جاشت مراجل الاضغان. اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا وكثرة عدونا و تشتت اهوائنا(٢)...)

(اللهم حصن ثغور المسلمين بعزتك و ايد حماتها بقوتك و اسبغ عطاياهم من جدتك (٣) وحيث ان الحمدلله بلغ منزلا وشاؤاقاصيا جعله الله فاتحة كتابه و خاتمة دعوى اهل الجنة فقال (واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) فلذا نحمده تعالى حمدا يضيء لنا به ظلمات البرزخ و يسهل علينا به سبيل البعث، و يشرف به منازلنا عند مواقف الاشهاد حمدا يرتفع منا الى اعلى عليين في كتاب مرقوم يشهده المقربون حمدا تقر به عيوننا اذا برقت الابصار وتبيض به وجوهنا اذا اسودت الوجوه حمدا نعتق به من اليم نار الله الى كريم جوار الله حمدا نزاحم به ملائكته المقربين و نضاهي به انبياءه المرسلين في دار المقامة التي لا تزول، ومحل كرامته التي لاتحول. حمدا لا منتهي لحده ولا حساب لعدده. حمدا يكون وصلة الى طاعته و عفوه و سببا الى رضوانه، وذريعة الى مغفرته. حمدا نسعد به في السعداء من اوليائه، و نصير به في نظم الشهداء بسيوف اعدائه. انه ولي حميد.

تمّ والحمدلله رب العالمين بيدالمحتاج الى ربه الجواد عبدالله الجوادي الطبرى الأملي تم عيدالفطر في بلدة قم المحمية. صانها الله و جميع البلاد الاسلامية من الحدثان، واظهر الله الاسلام على الدين كله آمين.

غرة شوال المكرم١٤٠٣هـ.ق ١٣٦٢/٤/٢١هـ.ش

---

(١)... نهج البلاغة الخطبة: (٢٣)

(٢)... الخطبة: ١٥ في كتبه وداعيته(ع)

(٣)... الصحيفة السجادية دعاء: (٢٧)

نظام القضاء فى الاسلام

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، و صلّى الله على جميع الأنبياء و المرسلين سيمّا محمّد و آله الطّاهرين .

و بعد : فيقول ، العبد المفتقر الى الله ، عبدالله الجوادى الطبرى الآملى : تمّر علينا فى الآيات القرآنية الكريمة ، آيات عديدة تعالج (نظام القضاء) معالجة شاملة لابّد من الوقوف عليها و الأمعان فيها ، و دراسة هذه الآيات و استخلاص النتايج المتوخّاة منها تتّم فى فصول ؛ هى :

١ ـ ضرورة القضاء و انّه لا يمكن ان يعيش الانسان بدونه .

٢ ـ معيار القضاء .

٣ ـ ادب القاضى و ما يعتبر فيه من الاوصاف و ما له من الحقوق و ما عليه من الوظائف الخاصة .

٤ ـ وظيفة المتخاصمين فى تعين الرجوع الى الموازين التّى عينها الوحى لا غيرها ، و المنع من الأعراض عنها و الأعتراض على ما صدر من منبع القضاء .

٥ ـ ما له مساس بالقضاء كالشهادة و ما على الّشاهد من التكاليف .

و تندرج فى هذه الامور مباحث هامة لابّد من الكلام حولها و استفادة النظرة القرآنية فيها. فألى الفصول الآتية :

الفصل الاول
ضرورة القضاء

الانسان مخلوق اجتماعى لا يقدر ان ينفصل عن الآخرين انفصالا كليّاً فى زاو ية الخمول و الانفراد ، كما لا يمكنه ان يتحد مع غيره من كل جوانب الا تحاد ، لما يحمله كلّ شخص من الافكار الخاصّة والصفات التّى تختص به و الاعمال التّى يميل اليها بطبعه و ينفرد بها و لا يشاركه فيها غيره كلاً او بعضاً.

و اذا لم يتمكّن الانسان من الانفراد و الاخلاد الى الوحدة المطلقة و لا الاتحاد الصرف مع الآخرين ، فلابد ان تظهر الخلافات بين الافراد و الجماعات و يقع النزاع فيما بينهم وتحدث المشاجرات حول المصالح الخاصّة و غيرها «كل يجر النار الى قرصه».

فلو لم يكن هناك ضوابط يرجع اليها النآس و ملاكات بها يتميز الحقّ عن الباطل، لا ختل النّظام و انهدمت الجامعة الانسانية و ساد الفوضى بين الناس. و فى النّصوص القرآنية الكريمة دلائل على ما قلنا:

امّا الاوّل : و هو كون الانسان اجتماعيّاً.

فيدل عليه قوله تعالى:

«يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكرٍ و انثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا» الآية.(١)

---

(١) سورة الحجرات آية١٣

اذ لو لم يكن الانسان اجتماعيّاً بالطّبع و كان يمكنه ان يعيش وحده لما احتاج الى تكوّن الشعوب و القبائل ، لانّه لم يحتج الى التعارف المتوقّف على الرّوابط الاجتماعيّة المفروض انتفاؤها.

و امّا الثّاني : و هو كون التنازع ضروريّاً ـ فيدل عليه قوله تعالى:

«ولوشاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك و لذلك خلقهم».(١) و قوله تعالى:

«و على الله قصد السبيل و منها جائر و لو شاء لهديكم اجمعين».(٢)

فلا يصحّ جعلهم امّة واحدة يأتمّون كلهّم بامام واحد لا يحيدون عنه اصلاً ، لأنّ ذلك إلجاء منافٍ للتّكليف ، بل مناف للتكامل ايضا، بل هذا الالجاء مناف للحكمة ايضاً، لانّ الاختلاف فى الجملة امر نافع كاختلاف كفتي الميزان، و به يتحقّق القسط و يتجنّب عن الحيف.

و هذا اختلاف مقدّس ممدوح، اذ المذموم منه هو خصوص ما كان بعد تبيّن الرّشد من الغيّ و اتضّاح الحقّ.

و لقد اشار الى هذين القسمين من الاختلاف قوله تعالى:

«كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و انزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه و ما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاء تهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم».(٣)

---

(١) سورة هود آية ١١٨

(٢) سورة النحل آية ٩

(٣) سورة البقرة آية ٢١٣

فانّ المستفاد من صدر الآية انّ الانسان البدائى كان ساذجاً فى عقائده ، سليم الفطرة بعيداً عن الزيغ و الهوى، و ان كان يختلف مع بنى نوعه فى بعض شئونه الحياتيّة، و الاختلاف فى مثل هذه الامور لابدّ منه فى مسيرة حياته، لانّه خلق معدّاً للكمال و هذا دخيل فى مراحل تكامله.

و لا جل تعديل هذا الاختلاف و بيان ما هو الحقّ عند التّنازع قد انزل الله تعالى الكتاب المصحوب بالحقّ، يدور معه حيثما دار.

و عند تبيّن الحقّ و اتّضاحه انقسموا الى قسمين فبعضهم آمن و اتبع ما جاء به الكتاب و بعضهم لم يؤمن بغياً و عدواناً.

هذا هو الاختلاف فى العقيدة، و هو الاختلاف المذموم، لانّه بعد تبيّن الحقّ، و هو البغى و الطغيان.

و امّا الّثالث: و هو لزوم تعيين الضابط لحّل الاختلاف ـ فيدل عليه قوله تعالى:

«بل كذبوا بالحق لما جائهم فهم فى امر مريج».(١)

فانّه عزّ شأنه ذمّهم باختلال امرهم وانهّم وقعوا فى هرج و مرج بتكذيبهم الحقّ، فيلزم عليهم الّرجوع الى الحقّ والتّجنب عن ايجاد المرج و المحافظة على النّظم الصحيح.

لقد اهتمّ الاسلام فى دفع هذا الاختلاف بالتعليم و التربية والتّهذيب و التصفية، واكّد الحثّ على الاعتصام بحبل الله المتين و عدم التنازع الموجب للفشل، و اوجد الاخاء و التألف بين المؤمنين وجعلهم رحماء بينهم وان كانوا اشداء على الكفّار.

و وصفهم بانّهم امام الباطل كانّهم بنيان مرصوص، و انّ بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، ودعاهم الى الدخول

---

(١) سورة ق آية ٥

فى السلم كافّة وان لا يشذوا عن ربقة الاسلام ولو بشبر **«اذ الّشاذ من الناس للشّيطان كما انّ الشاذ من الغنم للذئب»** و مدح الّذين يستغفرون الله تعالى لهم و لاخوانهم الّذين سبقوهم بالايمان و عرفّهم بانّهم يدعونه تعالى بان لا يجعل فى قلوبهم غلاّ للّذين آمنوا...

الى غير ذلك من الاوصاف السامية الموجبة لدفع الاختلاف المانعة لتكونه فى الجوانح او بروزه فى الجوارح، حيث ادّبهم بانّ الله يعلم ما يخفون فى انفسهم و ما يبدونه بجوارحهم.

و فى رفع هذا الاختلاف ـ بالتّحاكم الى الله و رسوله و الرد اليه وتحكيمه فيما شجر بينهم وعدم العدول عنه الى غيره و ان حكمه هوالمرجع القضائى الوحيد لفصل الخصومات وحلّ الخلافات و ان ليس لاحدٍ الخيرة فيما قضى الله و رسوله ـ صوناً للنظام، و حفظاً للوحدة.

لانّ القضاء هو الضّامن لتطبيق النظام العادل و المانع من الاضطراب فى الامور، و الموجب لاستقرار كلّ شىء فى مقره الخاص و رجوع كلّ حق الى صاحبه و نيل كلّ ذى حقّ حقه.

من هنا سميّت القضيّة «قضيّة» لانّ المحمول ما لم يتبيّن وضعه و حكمه بالنّسبة الى الموضوع و لم يتعيّن حكمه بالقياس الى المحمول سلباً او اثباتاً، يكون الانسان متردّدا غير مطمئن الى شىء، يُقَدِم رجلاً و يوخر اخرى الى ان يتبيّن الّرشد من الغى و يمتاز الصحيح من السقيم.

و يحكم العقل بامر خاصّ و يقضى بحكم مخصوص.

فتحصل الطّمانينة النّفسية و تزول عنه الشكوك ، فيتصف حينئذ ذلك الامر بلحاظ اجزائه المتصورّة بالقضيّة، كما انّه تتصف تلك الصورة النفسانية بلحاظ مقدّماتها التصوريّة بالتصديق.

* * *

الفصل الثاني
ميزان القضاء

قد تبيّن فى الفصل السابق انّ القضاء ضرورى فى حفظ النظام والحدمن الجموح، و نعطف العنان فى هذا الفصل الى البحث عن المعيار فيه و معرفة ميزانه، فنقول:

يحتمل بادئ الأمر استقلال العقل الأنسانى فى ذلك، و ان مداره هو ما ناله البشر المتفكّر برأيه من دون الرّجوع الى الرسالات السماو يّة بل من دون الحاجة الى ذلك رأساً.

و لكن التعمق فى دليل ضرورة القضاء و تحتّمه يرشد الى عدم كفاية العقل الانسانى فى ذلك و انّه قاصر عن تعيين ميزان القضاء و تحديد مداره، لانّ الانسان ـكما تقدّمـ ليس موافقاً فى كلّ آرائه و نظرياته مع غيره من بنى نوعه، فكلّ شخص يرى نفسه مصيباً فيما يرتئيه و غيره مخطئاً فيمايذهب اليه، و يتخيّل انّ رأيه هو الصائب النافع للناس، و رأى غيره هو القاصر الضار لهم.

فينشأ النقاش الفكرى و النزاع العلمى و الاخذ و الرد.

هذا بالاضافة الى انّه جبلّ الكلّ على النفع الى النفس و القوم و العشيرة و اعتبار انّهم أولى من غيرهم به، و هذا يؤثّر كل الا ثر فى كيفيّة وضع القانون و تطبيقه.

والنتيجة:

انّ العامل للاختلاف الموجب لضرورة القضاء لا يمكن ان يكون

رافعاً للاختلاف و عاملاً لحلّ الخصومات.

و من هنا نستنتج انّ العقل الانسانى غير كاف لتوفير السعادة فى المجتمع البشرى بالاستقلال، بل هو سراج ينير الطريق و يهدى سالكه الى الهدف المنشود و نعنى به الطريق الّذى دلّ عليه الوحى الالهى.

و اذا كان العقل البشرى ـلقصور باعه العلمى و احتفافه بدواع زائفة نفسانيةـ غير كاف لتعيين ميزان القضاء، فينبغى البحث عمّا هو المعيار الكامل للحكم بين الناس، و يتمّ ذلك بالنظر فى امرين:

احدهما قصور الفكر البشرى و عدم توصّله الى بيان المعيار القضائي، و الآخر هو نبوغ الوحى الالهى و صلوحه لتبيين النظام القضائى، لانّه مستمد من الغيب و خارق لنواميس الطّبيعة كما سيظهر ذلك. ان شاء الله.

امّا الامر الاوّل ـ فيدل عليه قوله تعالى:

«رسلاً مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و كان الله عزيزاً حكيماً».(١)

حيث دلّ على انّ العقل وحده غير كاف لنيل الكمال و الهداية الى السبيل الاقوم، اذ لو كان ذلك كافيا لصحّ الاحتجاج بهبة العقل و الاستناد الى ارشاده، فلو ارتكب الناس اثماً و فعلوا باطلاً كانت حجّة الله عليهم قائمة بانّ العقل الّذى اوتوه قد نهاهم عنه، فَلِم لم يتبعوه و لِمَ خالفوه، ولصحّ حينئذ تعذيبهم على ماارتكبوا من الّذنوب و ما اجترحوه من السّيئات.

و لكنّ القرآن الكريم لا يصحح التعذيب قبل الارسال و لا يجوزّه، فقد قال تعالى:

---

(١) سورة النّساء آية ١٦٥

«وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا».(١)

و قال عزّ شأنه:

«ولوانا اهلكنا هم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى».(٢)

دلّ هذا على انّه ليس من سنن الله تعذيب العباد قبل ارسال الرسل و لا الأذلال و الأخزاء و الأهلاك بالعذاب قبل بعث الانبياء ، و الاّ لاحتج هؤلاء عليه تعالى بان ذلك كان قبل اتمام الحجّة.

هذا و ان لم يكن مرتبطاً بباب القضاء خاصّة و لكنّه لدلالته على انّ العقل وحده لا يوفّر السعادة الانسانيّة يشمل المقام ايضاً.

و ممّا يدلّ على قصور باع الفكر البشرى و انّه ليس محيطاً بجميع المصالح و المفاسد حتّى فى اقرب الامور اليه قوله تعالى عند بيان توزيع الارث و تعيين النصاب الخاص لكلّ واحد من الورآث:

«لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا».(٣)

و كذا قوله تعالى عند بيان لزوم الايمان بالوحى و عدم جواز التولّى عنه:

«فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم و حاق بهم ما كانوا به يستهزون».(٤)

حيث يدلّ على انّ ما عند البشر من العلم لا يضمن توفير السعادة له و الا لم يكن الأكتفاء به مذموما، و ليس ذلك الاّ انّه قاصر عن التوصل

---

(١) سورة الاسراء آية ١٥

(٢) سورة طه آية ١٣٤

(٣) سورة النساء آية ١١

(٤) سورة غافر آية ٨٣

الى ما يحتاج اليه، فالأقتصار عليه و الأعراض عمّا جاء به الأنبياء امر مذموم.

و ممّا يدلّ على انّ الأنسان لا يقدر على اقامة القسط و تعيين ميزان القضاء العادل بما اوتى من العقل قوله تعالى:

«لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و انزلنا الحديد فيه باس شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب ان الله قوى عزيز».(۱)

فانّه يدلّ على انّ الغاية المترتبة على ارسال الرّسل مع البيّنات و انزال الكتاب معهم، هو قيام الناس بالقسط، فلو كان الأنسان قادرا بعقله على احراز القسط بدون الوحى لما احتيج اليه.

و السر فى انّ الأنسان غير قادر على تعيين المعيار للقضاء هو:

انّ الأنسان موجود له عوالم و درجات او دركات، ينتقل من عالم الى عالم و من مرتبة الى اخرى، و هو موجود دائمى لا يفنى و ان كان ينتقل من دار الى دار، فعليه لابد من تكامله بامر لا يزول و لا يفنى و لا يضر بدنياه و لا اخراه.

و من المعلوم ان تعيين ما هذا شأنه يحتاج الى العلم المحيط بحقائق الانسانية و ما به يترقى الى الدرجات العلى او يهوى الى الدّركات السفلى.

و اين هذا من الانسان الّذى قد اوتى من العلم قليلاً و لا يدرك كثيراً ممّا ينفعه او يضره؟

و **امّا الامر الّثانى** ـ و هو صلوح الوحى الالهى لبيان النظام القضائى لا غيره ـ فيدلّ عليه غير واحد من الآيات القرآنية.

---

(۱) سورة الحديد آية ۲۵

منها: قوله تعالى:

«ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون».(١)

وقوله:

«ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون».(٢)

وقوله:

«ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون».(٣)

و سيتضّح الميز بين الكفر و غيره من السيئات الطّارئة حال القضاء.

ومنها: قوله تعالى:

«افحكم الجاهلية يبغون و من احسن من الله حكما لقوم يوقنون».(٤)

فقد دلّ على انّ الحكم لابدّ و ان يكون حكم الله المعين بالوحى او حكم الجاهلية، هذا يشمل كلّ حكم و قانون يتبعه الناس، سواء توسّم ذلك القانون بالمدنيّه ام لم يتوسم، و سواء تقبله كلّ الناس او بعضهم رفضوه.

و السرفيه، انّه ليس بعد الحقّ الاّ الضّلال، و اتباع ما ليس من الله تعالى يوجب البعد عن الصراط المستقيم المفضى الى دار السلام، فانّ الطريق اثنان، لا ثالث لهما مهما سميّت الطرق، طريق الله عزّ شأنه الهادى الى سواء السبيل و طريق الطاغوت الهاوى فى المهوى السحيق.

ومنها: قوله تعالى:

«وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤

(٢) سورة المائدة آية ٤٥

(٣) سورة المائدة آية ٤٧

(٤) سورة المائدة آية ٥٠

توكلت و اليه انيب».(١)

تدلّ الآية على انّ المرجع الوحيد لحلّ الخلافات هو حكم الله لا غير سواءٌ كان ذلك في الحقوق و الاموال او في غيرها.

ومنها: قوله تعالى:

«فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواء هم عما جاءك من الحق».(٢)

فجعل مدار الحكم هو ما انزله الله لا غيره.

الى غير ذلك من الآيات الحاصرة لميزان القضاء في الوحي الالهي الدالة على انّ ما عداه جاهلية و طاغوت، و ان غير دين الله لا يقبل، و ان غير سبيل المؤمنين لا يهدى الى الرّضوان و دارالسّلام بل يسوق الى السخط و دارالبوار جهنّم يصلونها و بئس القرار، لانّه ليس سبيلاً هادياً الى سواء القصد، و لذا خاطب عزّ و علا، المنحرفين عن الوحي، المعرضين عن الرّسول بقوله:

«فاين تذهبون ■ ان هو الا ذكر للعالمين».(٣)

و من هنا يظهر المراد من العلم الّذى قد حثّ الله تعالى على الاّ يقولوا ما لا يعلمون و لا يكذّبوا ما لا يعلمون، و اكدّ على انّ تصديقهم و تكذيبهم لابد انْ يكون عن علم و اثباتهم و نفيهم عن بصيرة، فقال تقريعاً للمكذبين بغير علم:

«بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله».(٤)

وقال تعالى:

---

(١) سورة الشّورى آية ١٠

(٢) سورة المائدة آية ٤٨

(٣) سورة التكوير آية ٢٦

(٤) سورة الاعراف آية ٣٦

«الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق».(١)

و قد دلّت هذه الآية على الاقتصار على خصوص القول عن علم و التصديق عن بصيرة كما فى قوله عزّ من قائل:

«و لا تقف ما ليس لك به علم ان السمع و البصر و الفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا».(٢)

يراد من العلم فى هذه الموارد و نظائرها مما يرجع الى ما له مساس بالسعادة و الحياة الطيّبة، ما يكون مطابقا لما انزل الله تعالى على رسوله، فانّه هو المصون عن آفة الجهل و النسيان والطغيان، و هو الّذى يصلح ان يكون مناطاً و مداراً و حيداً للقضاء.

و امّا العقل فهو مستقل فى الاصول الدينية، و بارشاده يمكن معرفة الله تعالى و التصديق به و نفى الصفات الزائدة عنه، و هكذا معرفة الرّسول و لزوم عصمته و برائته عن الذنب والخطاء فى التبليغ، و معرفة اصل المعاد و عود الانسان بروحه و بدنه للمحاسبة، و لكنّ العقل مع هذا قاصر عن درك كثير من الشئون الراجعة الى هذه الاصول الهامة، كما انّه قاصر عن درك المصالح و المفاسد الخفيّة فى الاشياء و الافعال و السنن و الآداب.

فلذا يحتاج دائماً الى تسديد الوحى فيما يدركه و يحتاج الى تعليمه فيما لا يناله بالاستقلال. قال تعالى:

«و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون».(٣)

---

(١) سورة الاعراف آية ١٦٩

(٢) سورة الاسراء آية ٣٦

(٣) سورة البقرة آية ١٥١

ونتيجة هذا الكلام:

انّ معيار القضاء هو الميزان الذّى انزله الله بالوحى و وضعه للنّاس ليقوموا بالقسط و العدل فيما بينهم.

الفصل الثالث
ادب القاضى

قد تبيّن انّ القضاء ضرورى لحفظ المجتمع الانسانى و انّ ميزانه هو الوحى لا غير، و فى هذا الفصل نريد ان نتحدث عن تحقّقه الخارجى و كيف يمكن ان يوجد بالشكل المطلوب الّذى يتمكّن ان يطبق العدل الالهى المستمدمن الوحى السماوى:

يمكن نشر العدل فى المجتمع الانسانى بقاض عالم بالميزان الالهى للقضاء و مؤمن به عامل بمقتضاه، و لو لم يكن العلم و الايمان و العمل لم يبق للميزان وحده اثر هام، لانّه يكون كالسراج فى يد الاعمى لا ينتفع هو به و لا ينفع غيره، و هو غير مأمون من العثرة و عندها ينكسر السراج او ينطفى، فلا محيص من كون القاضى المباشر للقضاء عالماً عادلاً.

و الانسان تحكم عليه ثلاث قوى هامّة تتبع منها سعادته او شقاوته، هذه الّثلاث هى:

عقله الّذى به يدرك الأمور. و شهوته الّتى بها يجذب الأشياء و يريدها لنفسه. و غضبه الّذى به يدفع عنه ما يكرهه.

و لابد من العلم و العدل فى هذه القوى الثلاث، حتّى لا يجور القاضى فى الحكم و لا يتعدى عن طريق الحقّ، و ذلك:

بان یکون عقله متوجّها الی نیل ما جاء به الانبیاء و تعلیمه، لکی لا یتطرّقه الهوی، اذ لا طریق للرأی فی الدین، و من نظر برأیه هلك، و من ترك کتاب الله تعالی و قول نبیّه کفر، و من کان مفزعه فی المعضلات نفسه لا غیر ها ضلّ، و من اتکأ فی المبهمات علی رأیه فکانّما جعله امام نفسه.

و ان تکون شهوته عادلة، لا یحکم حبّاً لامر خاصّ او شخص معیّن، او طمعاً فی مال او جاه او مقام، و غیر ذلك ممّا یرجع الی مشتهیات النفس الباطلة.

و ان یکون غضبه معتدلاً لا یحکم بغضاً لامر، و لا اعتداءً علی شخص، او خوفاً من تهدید، او ارعاباً من تخویف، و غیر ذلك ممّا یعود الی شعب الغضب و البغض و امثالهما.

فمن اعتدل فی عقله بتعلیم الوحی الالهی و الایمان به، و اعتدل فی شهوته و غضبه بان کان حبّه و بغضه لله تعالی، فهو الصالح للقضاء بین الناس بالحقّ.

و لقد اعتنی القرآن الکریم فی تهذیب النفس ـسیّما حال القضاءـ بتعدیل القوی الثلاث المذکورة، نستعرض ما جاء فیه فیما یلی:

الاوّل : ما یدل علی تعدیل العقل، بلزوم تعلّم الوحی و التعمق فیما جاء به الانبیاء علیهم السلام، و ان من لم یحکم بما انزل الله فهو کافر، و قد سبق تفصیله فی الفصل الثانی فلا نعیده.

الثّانی : ما یدل علی تعدیل الحب، کما فی قوله تعالی:

«یا ایها الذین آمنوا کونوا قوامین بالقسط، شهداء لله ولو علی انفسکم اوالوالدین و الاقربین».(۱)

---

(۱) سورة النساء آیة۱۳۵

فقد امر تعالى المؤمن ان يكون قوّاما بالقسط و هو اعظم من القيام بالقسط جدّاً، و امر ان تكون شهادته لله ولو على نفسه اوالوالدين و الاقربين حتّى لا يكون حبه لنفسه او لا قاربه مانعاً عن اقامة القسط او الشهادة لله، فلو لزم الاقرار على نفسه، اقر عليها، ولو كان اقامة الحقّ يستدعى الشهادة على اقاربه الادنين لم يمتنع من الشهادة. و عند ذلك تكون شهوته عادلة و حبّه فى الله و هو مجذوب الى الله، فلا يَطْمع فى شيء لا يرضاه الله و لا يطمعه شيء يكرهه الله و لا يرغب فى باطل و لا يميل الى زائف، فلا يمكن السيطرة عليه من قبل شهوته و لا السلطة عليه من جهتها و لا الأستيلاء عليه من طريقها.

الثّالث: ما يدل على تعديل الغضب، كما فى قوله تعالى:

«يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا، اعدلوا هو اقرب للتقوى و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون».(١)

امر تعالى فى هذه الآية المؤمن ان يكون قوّاما لله شاهدا بالقسط و هى كالآية السابقة مشحونة بالعناية بالقسط و العدل، و نهى تعالى ايضاً المؤمن ان يحمله شنآن قوم و عداوتهم على الاعتداء و ترك العدل و سيطرة البغض على القضاء.

و عليه فلابد على القاضى ان يتأدّب بآداب الله تعالى، بان يكون غضبه لله وحده و لا يوجب بغضه لقوم الحكم الجائر، و اذا كان كذلك اعتدلت قوتة الغضبيّة فلا خوف له من غير الله و لا رهبة له من مخلوق، فلا يمكن السلطة عليه من ناحية الغضب و لا إثارة غيضه.

فاذا بلغ الانسان هذا المبلغ من السيطرة على النفس و اتصف بالعلم

---

(١) سورة المائدة آية ٨

و العدل و اعتدلت قواه العقلية و العملية،صحّ له حينذاك ان يتصدى القضاء و الجلوس فى مجلس لا يجلسه الاّ النبىّ او الوصىّ، لانّه و ان لم يكن نبيّاً و لا وصيّاً بالوصاية الخاصة ـ كما فى الائمّة المعصومين عليهم السلام ـ الاّ انّه وصى بالوصاية العامّة بمقتضى نصوص النصب.

و صح ايضا لهذا القاضى ان يحكم بعلمه، لانّ سائر الامارات حجة بالعلم و هو ـ اى العلم حجة بذاته ـ فاذا علم القاضى العادل الحقّ فله ان يحكم بما علم، لشمول الآيات الآمرة بالحكم بالعدل و نحوه له، بل لو قامت البيّنة على خلاف ما علم او حلف المنكر كذلك، فله ان يعرض عن الحكم و يرجعه الى قاضٍ آخر مثلاً، و لا يجوز له الحكم على خلاف علمه و ان وافق البيّنه او اليمين.

و لا يصحّ نقض حكمه والرد عليه، لانّه كالرد على الامام المعصوم الّذى يكون الرد عليه كالرد على الله تعالى، و هو على حدّ الكفر الفعلى والشرك العملى بالله، لا الكفر الاعتقادى، لانّ الكفر الاعتقادى يختص بما يرجع الى انكار احد الاصول الدينيّة بلا واسطة او معها عند الالتفات الى الرّجوع اليه.

ثمّ انّ من اهمّ آداب القاضى هو اتقاؤه عن الرشا فى الحكم، لانّه سحت و غلول و تعدّ.

قد نهى القرآن الكريم عنه بقوله:

«و لا تاكلوا اموالكم بالباطل وتدلوابها الى الحكام لتاكلوا فريقاً من اموال الناس بالاثم و انتم تعلمون».(۱)

نهى عن الأدلاء بالأموال الى الحكّام طمعا فى قضائهم بالجور.

و «الأدلاء» هو ارسال الدلوالى باطن البئر لاستخراج ما فى غورها

---

(۱) سورة البقرة آية ۱۸۸

من الماء، و النكتة فى استعمال هذه اللّفظة هنا انّ الرّشوة بمنزلة الدلو المرسل الى باطن القاضى لاستخراج ما فى سريرته الخبيثة من الحيف و الجور.

فلابد من طهارة الباطن و نزاهة الضمير حتّى لا ينعطف نحو المال و لا ينقبض بالقهر، و قد نهى القرآن عن هاتين الخصلتين بقوله:

«فلا تخشوا الناس و اخشون و لا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً».(١)

فانّ الاوّل ناظر الى النّهى عن الخوف الباطل تعديلاً للقوة الغضبيّة، و الثّانى ناظر الى النّهى عن الجذب الكاذب تعديلاً للقوة الشهو ية، مع الالتفات الى انّ الّدنيا باسرها متاع قليل، و القاضى الجائر لو أوتى الدنيا بحذافيرها تجاه ما يجور فى الحكم، لكان قد اشترى بحكم الله ثمنا قليلا، لانّ الزائل قليل مهما كان كثيرا فى ظاهر الامر.

و لا اختصاص للرشوة المنهىّ عنها بالعين بل تشمل المنفعة و الانتفاع ايضاً كما انّها قد تكون عملاً خاصّاً ينجزه الراشى، او قولاً يمدحه به و يثنى عليه، او فعلاً، كاظهار تعظيمه و تبجيله مثلاً، فهذه كلّها محرّمة، لصدق الرشوة عليها موضوعاً، او للالحاق بها حكماً.(٢)

و سنذكر فى (ادب المتخاصمين) انّ البذل و الاخذ كلاهما حرام.

و ممّا مضى ظهر: لزوم تحفظ القاضى عن ان يصير خصيما للخائن، و هو امّا بالجذب الباطل او الدّفع الكاذب، و يدل عليه قوله تعالى:

«انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله و لا تكن للخائنين خصيماً».(٣)

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤

(٢) الطباطبائى، العروة الوثقى ٣/

(٣) سورة النساء آية ١٠٥

فقد نهى القاضى ان يكون خصيماً للخائن مدافعاً عنه، اذ الخائن انّما يخون نفسه و لذلك لا يحبه الله تعالى، فعلى الحاكم ان يتحرّز عن الميل اليه و الذب عنه و طرد المظلوم و الوقوف الى جانب الظالم.

ونتيجة الكلام:

انّ المتجه فى نظام القضاء هو اتصاف القاضى بالعدالة الكبرى الحاصلة فى القوّة العقلية بالحكمة، و فى الشهوية بالسخاء و العفّة، و فى الغضبية بالشجاعة؛ فيصبح القضاء طاهرا عن لوث الجور و قذارة الباطل و رجس الزور، و بذلك ينال من الخير ما لا يُعادِ له الحسنات الاخرى.

و من سنن القضاء ان لا يبادر القاضى بالحكم قبل تمام التحقيق و سؤال الخصمين و اليه يشير قوله تعالى:

«ان هذا اخى له تسع و تسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها و عزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه و ان كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعضٍ الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم و ظن داود انما فتناه فاستغفر ربه و خر راكعا و اناب». (١)

فى هذه الآية اشارة الى ان الاولى ترك البدار الى وصف الخصم بالظلم و ان كان مع حفظ الفرض و الاشتراط، اى على فرض صحة ذاك السؤال.

و ليس فى الآية ما يدل على الحزازة بالقياس الى مقام النبوة، حيث ذكرت هذه القضيّة فى سورة (ص) بين مدحين لداود عليه السلام، فانّ

---

(١) سورة ص آية ٢٣-٢٤

قبلها قوله تعالى: «وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» و بعد ها قوله:
«ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق».

و من المعلوم: انّ النبىّ الّذى آتاه الله الحكمةَ و فصلَ الخطاب و جعله خليفة فى الارض و امره ان يحكم بين الناس بالحق، لا يبادر الى الحكم قبل تمام نصاب التحقيق البتّة، فلابّد و ان يكون ما صدر منه عليه السلام انما صدر بلسان التّعليق و الأشتراط، اى لو فرض صحّة ذلك السؤال لكان ظلما.

فعليه يلزم ان يتادّب القاضى بترك التسرع لما كان مثل هذا الحكم ايضاً، كما ان عليه ان يسوى بين الخصمين فى النظر و القول، و ان يعلم انّ لسانه بين جمرتين من النار و ان لسانه و راء قلبه فان كان له قال و ان كان عليه امسك.

ولو لم يتأدبّ القاضى بالادب الا لهى لما كان لقضائه مغزى و ان كان حقّاً اذ المعتبر فى نفوذ القضاء امران:

الحسن الفعلى: بان يكون القضاء مطابقاً للحق، و الحسن الفاعلى: بان يكون صادراً عن نفس زكيّة و قلب مطمئنّ بالايمان لا يخاف فى الله لومة لائم، اذ القضاة اربعة، ثلاثة فى النار و واحدة فى الجنّة(١) و هو الّذى قضى بالحقّ و هو يعلم انّه حقّ.

الفصل الرابع
ادب المتخاصمين

قد تبيّن انّ ميزان القضاء هو الوحى الالهى لا غير، و انّ المرجع

(١) الوسائل، باب ٤ من ابواب صفات القاضى.

الوحيد لفصل الخصومة هو العالم بالوحى و المؤمن به و المتصف بما جعله ملاكا للقضاء فيتعيّن الرّجوع اليه عند التخاصم و يكون الاعراض عنه بالرجوع الى غيره اعراضاً عن الحقّ و اتجاهاً نحو الباطل، و هو ضلال بعيد كما قال تعالى:

«الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت و قد امروا ان يكفروا به و يريد الشيطان ان يضلهم ضلالاً بعيداً».(١)

فليس للمؤمن ان يتحاكم الى من امر ان يكفر به، كما انّه ليس للطاغوت ايضاً ان ينصب نفسه للقضاء، و لا يبلغ الانسان درجة الايمان حتىّ يحكّم رسول الله و يختاره حكماً كما اختاره الله تعالى كذلك و يراجع فى خلافاته مع الآخرين اليه، ثمّ لا يجد فى نفسه حرجاً و لا ضيقاً ممّا حكم به الرسول، سواء كان له او عليه، اذالمؤمن هو الّذى يُسلِم امره الى الله تعالى:

«فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً».(٢)

جوّ الآية الكريمة يبيّن بوضوح وظيفة المتخاصمين عند الاختلاف و النزاع، و انها الرجوع الى الرّسول لا غير، و تحث على الانقياد المحض لحكمه عند ما يصدره حين التّحاكم اليه (صلى الله عليه و آله) اذ الايمان هو طمأنينة النفس و السكون، و هو لا يحصل الاّ بانقياد القلب و عمل الجوارح كليهما.

و قد وصف القرآن الكريم بالظلم من لا يتحاكم الى الله و رسوله الاّ

---

(١) سورة النساء آية ٦٠

(٢) سورة النساء آية ٦٥

اذا كان الحقّ له، كما وصف بالفلاح من اذا دعى الى الله و رسوله ليحكم بينه و بين خصمه اجاب و اطاع، فقال عزّ من قائل:

«و اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون و ان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افى قلوبهم مرض ام ارتابوا، ام يخافون ان يحيف الله عليهم و رسوله بل اولئك هم الظالمون».(١)

فقد افاد بالتحليل ان الاعراض عن محكمة الرسول انّما هو ناش عن الظلم.

وقال تعالى:

«انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا و اطعنا و اولئك هم المفلحون».(٢)

فقد افاد انّ الفلاح يقتضى الانقياد لله و رسوله، وسرّ ذلك ان المؤمن قد بايع الله و رسوله، و مقتضى البيعة انّه قد باع نفسه وجميع ما يملك من الاهل و المال لله و رسوله، فهو لا يملك نفسه و لا شيئاً ممّا يضاف اليه لانّه قد باعها لله و الرسول، فليس له ان يتصرف فى نفسه او ما يعود اليه الاّ برضى الله و رسوله، و لذا قال تعالى:

«و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالاً بعيداً».(٣)

و كما انّ المؤمن ليس له الخيرة فى التحاكم الى الله و رسوله لانّه متعيّن عليه، كذلك ليس له الخيرة فى امره بعد صدور حكمها عليه، فانّ عدم الأذعان الى حكمها عصيان و ضلال.

---

(١) سورة النور آية ٤٨-٥٠

(٢) سورة النور آية ٥١

(٣) سورة الاحزاب آية ٣٦

اضف الى ذلك : انّ الرسول قد بعث بالكتاب ليحكم بين الناس بالحقّ و هكذا الحكم هو المتعيّن عليه «صلى الله عليه و آله» فيتعيّن الرّجوع اليه و قبول قضائه، و الاّ لما كان لتعين الحكم بين الناس بالحق على الرّسول وجه، كما انّه لا يبقى وجه لتعين التحاكم الى الرّسول على النّاس مع عدم تعيّن الحكم بينهم عليه.

تنبيهان

الاوّل : ان الرجوع الى الطاغوت عصيان و اخذ المال بحكمه سحت و ان كان الماخوذ حلالاً.

هذا اذا كان المال المتنازع فيه عيناً، و امّا الدين ففى كونه كالعين اشكال، تفصيله يطلب من الكتب الفقهية.

الثاني : انّ القضاء انمّا هو لفصل الخصومه فقط و لا اثر له فى تغيير الواقع عمّا هو عليه، فمن ادعى باطلاً و اقام على دعواه شاهد زور، او انكر حقاً و حلف يميناً فاجرة و خفى ذلك على الحاكم فحكم على مقتضى البينّة الكاذبة او اليمين الفاجرة بخلاف الواقع... يلزم على كلّ من علم به الاتقاء عنه، لانّه قطعة من النار، و تفصيله فى الكتب الفقهية ايضا.

الفصل الخامس
ادب الشاهد

للقضاء سند خاصّ يستند اليه القاضى فى حكمه، فان كان متيناً كان القضاء صحيحاً مطابقاً للمواقع و الاّ فلا.

و كما قلنا فى القاضى انّه لابد ان يكون عالماً عادلاً، كذلك لابد ان يكون الشاهد عالماً عادلاً.

و الفرق بينهما انه يعتبر فى القاضى علمه بالقانون الالهى و فى الشاهد علمه بالموضوع مشاهدة، فيلزم عليه رعاية امور:

منها الحضور فى الحادثة لتحمل الشهادة عن معاينة، منها الحضور فى المحكمة لا دائما(۱) بلا تبديل و لا اعراض، اى ليس له ان يعرض عن الشهادة و يكتمها، لانّ الكاتم آثم قلبه(۲) او يبدلها لانّ الله تعالى بما يعملون خبير، كما دلّ عليه قوله تعالى:

«يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على انفسكم اوالوالدين و الاقربين ان يكن غنياً او فقيراً والله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا و ان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً».(۳)

قد تقدّم تحقيق التميز بين كون الانسان قائماً بالقسط و كونه قوّاماً به، كما تقدّم ايضاً البحث حول الشهادة على النفس و الأقرباء. و المتحصل من الآية الكريمة: عدم دخالة شيء من العوامل النفسية او القومية او الاقتصاديّة فى الشهادة، حتّى لا يوجب حبّ النفس او الوالدين او الاقربين. و كذا يجب ان لا توثر العوامل الاقتصادية من الغنى و الفقر فى كيفية اداء الشهادة او الاعراض عنها، و السر فى ذلك كلّه ان الله تعالى خبير بما يعمله العبد كائناً ما كان شهيد عليه، فمن علم ذلك يحفظ نفسه عن الزلة و الذلة.

و يستفاد من الآية ايضا عدم منع القرابة عن قبول الشهادة لبعض

---

(۱) من سورة البقرة آية ۲۸۲

(۲) من سورة البقرة آية ۲۸۳

(۳) سورة النساء آية ۱۳۵

الاقرباء او عليه حتّى الولد على الوالد، لتمامية دلالة الآية و عدم تمامية ما استدل به للمنع عن ذلك، و تفصيله يطلب من كتب الفقه.

الفصل السادس
ادب الحكم بين اهل الكتاب

المتحاكمان قد يكونان مسلمين و قد يكونان من اليهود او النصارى مثلاً و قد يكونان مختلفى الّدين.

فان كان المتحاكمان مسلمين يحكم القاضى بينهما بمقتضى الدين الاسلامى لا غير. و ان كانا يهوديين او نصرانيين مثلاً فالحاكم بالخيار بين ان يحكم بينهما بمقتضى الاسلام او يرجعهما الى المحاكم الخاصّة بملتّهما لتحكم بينهما بمقتضى تلك الملّة، كما يدلّ عليه قوله تعالى:

«فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم و ان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً و ان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين».(١)

صريح هذه الآية الكريمة هو التخيير بين الامرين، و لا ينا فيه ما هو الّظاهر فى تعيين الحكم بينهم بمقتضى الاسلام، لانّ النص مقدّم على الظاهر اولا، و لانّ التخيير بين الامرين هو ايضا ممّا يقتضيه الاسلام، فلا مجال لتوهّم كون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى:

«فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم».(٢)

اذ لا تنافى بين ما هو نصّ فى التخيير و ما هو ظاهر فى التعيين، بالاضافة الى ان التخيير ايضاً هو ممّا انزله الله تعالى.

(١و٢) سورة المائدة آية ٤٢ و ٤٨

ثمّ ان تفصيل الكلام فيما اذا كان المتحاكمان مختلفين فى الملة و فى جواز ان يحكم قاضى المسلمين بينهم بمقتضى شريعتهم، حسبما يترائى من قوله عليه السلام:

«لو ثنيت لى الوسادة لحكمت بين اهل الانجيل بانجيلهم...».

و فى غير ذلك من المباحث الفرعية موكول الى محلّه من كتب الفقه.

و لقد قوى بعض اصحابنا الامامية (١) تحتّم الحكم بينهما بمذهب الاسلام، لانّ رد هما الى احدى الملّتين موجب لاثارة الفتنة، و قد احتاط سيّدنا الاستاذ دام ظلّه فيما اذا زنى ذمّى بذميّة او لاط ذمىّ بذمىّ باجراء الحدّ عليه. (٢)

الخاتمة:

من نوادر احكام القضاء

١ ـ قد تقرّر فى الفقه: انّ للقضاء ميزانا لا يتعدّاه القاضى و هو البينة او اليمين. و منها القسامة عند اللّوث، او علم الحاكم، او الاقرار، حيث لا يمكن للقاضى الحكم الثبوتى او السلبى بما عدا ذلك.

نعم قد يتوسّل الى القرعة عند تزاحم الحقوق فقط، لا لبيان الحكم و كشفه بل للتقسيم و نحوه ممّا يشتبه فيه الموضوع الخارجى، و تفصيله فى الفقه.

و قد قيل: ان له اصلا فى القرآن الكريم لا يخلو التعرض له عن الفائدة، و ذلك هو قوله تعالى:

---

(١) السيورى، كنز العرفان: ٢/٣٧٨

(٢) تحرير الوسيلة: ٢/٤٦٤و٤٧٠و٥٠٦و٥٠٧

«وما كنت لديهم اذ يلقون اقلا مهم ايهم يكفل مريم و ما كنت لديهم اذ يختصمون».(١)

وقوله تعالى ايضا:

«فساهم فكان من المد حضين».(٢)

اى المغلوبين بالقرعة حيث ظهر سهمه من الالقاء فى البحر ليلتقمه الحوت او لغير ذلك.

ثمّ انّ ذلك لا مساس له بالقضاء، لا عمية القرعة من بابه، الاّ انّ لها مساسا به قد اوجب الايماء اليه هنا بهذا القدر.

٢ ـ قد يتخيّل الاختلاف بين حكمى داود و سليمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم.

فيحمل على اختلافهما فى الاجتهاد تارة و انّ الّذى اوحى الى سليمان كان ناسخاً لما حكم به داود تارة اخرى.

اقول:

امّا الاجتهاد عن رأى و تفكر حصولى فلا مجال له للنّبى بالنسبة الى الحكم الالهى، مضافاً الى قوله تعالى:

«ففهمناهاسليمان»

المشعر بكونه تفهيما الٰهيّا، كما انّ ما، اوتى داود عليه السلام كان من قبل الله عزّوجلّ، حيث آتاه الله الحكمة و فصل الخطاب الّذى قيل فيه ان منه كون البيّنة على المدعى و اليمين على المنكر.

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٤

(٢) سورة الصّافات آية ١٤١

و امّا النسخ فلعلّه لم يثبت به، لاحتمال كون كلا الحكمين حقا، الاّ انّ ما حكم به سليمان كان انفع و اعود بلحاظ المتحاكمين. فتدّبر.

تمّ بحمده تعالى

عبدالله الجوادي الآملي

القصاص فى القرآن

بسم الله الرّحمن الرّحيم

و به نستعين و صلّى الله على جميع الانبياء و المرسلين سيما محمّد و آله الطاهرين.

و بعد فيقول العبد المفتقر الى الله، عبدالله الجوادى الطبرى الآملى هذه وجيزة حول القصاص فى القرآن.

ان القرآن لكونه نورا و هداية للناس و فيه تبيان كلّ شئ يحتاج اليه الانسان فى سعادته، يبين جميع ماله دور فى الحيوة الطيبة و لا يترك شيئا من ذلك سدى؛ و ليس هو كتاب قانون جامد بحت يختص بيان ما يوجب النظم المادّى الساذج بلا تعرض لبعده المعنوى، و الا لما كان نورا تاما كاملاً.

و من ذلك التعرض لحكم الجناية على الغير عمدا بقتله او قطع عضوه او جرحه او نحوه، و هو بان يقتص من الجانى.

و استيفاء المقال هنايتم فى مقامين: احدهما فى قصاص النفس، و الاخر فى قصاص العضو قطعا او جرحا، اما المقام الاول ففيه فصول.

* * *

الفصل الاول
فى تفسير تعمد القتل

ان القتل العمدى يحصل بامور: احدها قصد قتل الغير بفعل ما ينتهى الى قتله سواءكان ذلك الفعل موجبا للقتل غالبا اولا، و ثانيها قصد الفعل الموجب للقتل غالبا، سواءقصد الفاعل به القتل اولا. و ثالثها الجمع بين الامرين، و هو قصد القتل بقصد ما يوجبه. و رابعها قصد الفعل الذى لا يكون بطبعه موجبا للقتل غالبا و لا قصده الفاعل ايضا، الا ان الذى وقع عليه الفعل كان مريضا او هر ما اثر ذلك الفعل و اوجب قتله مع كون الفاعل عالما به؛ و هذا القسم عند التحليل ينتهى الى القسم الثانى.

الفصل الثانى
فى الموقف الاجتماعى لتعمد القتل

ان القرآن يهتف بالخطر الهائل للقتل العمدى، حيث يقول:

«من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اوفساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا». الآية(١)

فتدل على ان قتل الذى لا يستحق القتل ـ لانه لم يقتل نفسا محترمة و لم يفسد فى الارض فسادا موجبا له ـ بمنزلة قتل جميع الناس، لانه سَنّ القتل و اغرى العداء العام و بث البغضاء و بعث الشحناء الشامل فى

---

(١) سورة المائدة آية ٣٢

الامة المنسجمة الواحدة، فيكون قتل بعضهم كقتل الكل و حيوته حيوتهم؛ فلذا يوضع القاتل فى واد من جهنم يوضع فيه من قتل جميع الناس (١) و التفاوت هو زيادة العقاب.

و لا اختصاص لهذا الموقف الهائل ببنى اسرائيل ـ حسبما جاء فى صدر الآيه ـ لا حتفافها بالقرينة اللفظية و اللبية الدالة على ان القتل العمدى فى نفسه خطير، بلا فرق فى ذلك بين الامم؛ و يؤ يده انه **«مرّ النبى صلى الله عليه و آله بقتيل فقال: من هذا؟ فلم يذكر له احد، فغضب ثم قال: والذى نفسى بيده لو اشترك فيه اهل السماء و الارض لاكبهّم الله فى النار»** (٢) فتحصّل: انّ القتل العمدى فى موقف خاص بحيث يكون قتل البعض كقتل الجميع، و ايضا بحيث لو اشترك اهل السماء و الارض فى قتل واحد عذّبوا جميعا فى النار؛ فيكشف ذلك من اهتمام الشرع بصيانة الدماء المحقونة و النفوس البريئة بتهديدين حادّين: احدهما كون قتل البعض بمنزلة قتل الكل، و ثانيهما تعذيب الكل عند اشتراكهم فى قتل البعض.

الفصل الثالث
فى النهى التحريمى عن تعمد القتل تكليفا

ان القرآن ينادى بحرمته و ينهى عنه بالخصوص حيث قال تعالى:

«و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و لا تقتلوا النفس التى حرمّ الله الا بالحق».(٣)

---

(١) الوسائل الباب ١ من ابواب القصاص فى النفس.

(٢) المستدرك الباب ٢ من ابواب القصاص فى النفس.

(٣) سورة الانعام آية ١٥١

فنهى عنه بالخصوص مع كونه من الفواحش، كما نهى عن مثله من الكبائر الموبقة فى السور المكية النازلة قبل الهجرة، كالشرك بالله، و عقوق الوالدين، و قتل الاولاد، و غيرها. ثم انه تعالى عدّ ذلك كله مما اوحى الى رسوله من الحكمة، فجمع فى تلك الآيات (١) بين الحكمتين: النظرية و العملية. و حيث انتهى الامر الى قتل الاولاد، فنشير الى السيرة المشئومة منه فى الجاهلية، حيث ان اهلها كانوا يقتلون اولادهم فى موارد ـ منها: قتل البنات ووأدها لتوهم السبى و العار «و اذا بشّر احدهم بالانثى ظّل وجهه مسودا فهو كظيم أيمسكه على هون ام يدسّه فى التراب» و جعله الله موجبا للسؤال و العقاب يوم القيامة بقوله تعالى:

«و اذا الموؤدة سئلت باىّ ذنب قتلت».(٢) و منها: قتل مطلق الاولاد خشية الاملاق، حيث نهى عنه القرآن بقوله تعالى:

«و لا تقتلوا اولادكم خشية املاق».(٣) و منها ايضاً قتل مطلق الاولاد قربانا للاصنام التى اتخذوها آلهة، و نهى عنه بقوله تعالى:

«و كذلك زيّن لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم» الآية.
و «قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم».(٤)

و قد عدّ القرآن من شرائط قبول بيعة النساء ان **«لا يزنين و لا يقتلن اولادهن»**(٥) باىّ نحو من القتل المحرم. فاقض العجب كيف كان القرآن نورا اضاء الظلام و هدى الجاهلية التى كانت تتقرب الى الاصنام بقتل الاولاد الى الاسلام، الذى به صاروا سادة الناس و قادة

---

(١) سورة الاسراء آية ٢٢ الى ٣٩
(٢) سورة التكوير آية ٨ و ٩
(٣) سورة الاسراء آية ٣١
(٤) سورة الانعام آية ١٣٧ و ١٤٠
(٥) سورة الممتحنة آية ١٢

الامم ان اهتدوا و لم يتعدوا حدود ما انزل الله!

الفصل الرابع
فى وجوب التوبة والكفارة على من تعمد القتل

ان اقتراف جريمة القتل لها عواقب هائلة ان لم تغفر بالتوبة و التكفير؛ و لذا قرر فى الشرع للمعاصى الموبقة التكفير الخاص عدا التوبة؛ و من تلك الكبائر المهلكة القتل العمدى، حيث انه يجب على من ارتكبه عدا التوبة الخالصة و الانابة الناصحة، الكفارة الفائقة، و هو الجمع بين تحرير رقبة مؤمنة و صيام شهرين متتابعين و اطعام ستين مسكينا؛ و القرآن و ان اكتفى بكفارة القتل الخطائى، الا ان ثانى الثقلين الذين و رثّهما رسول الله ناطق بها فى من تعمد القتل ـ كما فى الفقه ـ و بيّن هناك الميز بين كفارة القتل العمد و كفارة القتل الخطاء.

الفصل الخامس
فى العقاب العظيم الاخروى لمن تعمد القتل

ان القرآن يصرح بالعذاب الاليم لمن تعمد قتل المؤمن و لم يتطهر منه بالتوبة و التكفير و الاستيفاء بالانقياد للورثة، حيث قال تعالى:

«و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزائه جهنم خالدا فيها و غضب الله و لعنه و اعدله عذابا عظيما».(١) و لعل هذا التهديد الحادّ و الترهيب البالغ انما هو لقتل المؤمن لايمانه، لا لداع شخصى و عداء خصوصى؛ و

---

(١) سورة النساء آية ٩٣

المراد من الخلود هنا: اما الابدى منه و هوما اذا رجع الى ارتداد القاتل، و اما المكث الطويل ان لم يرجع اليه. و على اىّ تقدير تنجحه التوبة، لان اثرها الكلامى ـ و هوما يرجع الى العقاب الاخروى ـ متفق عليه؛ و ان كان فى اثرها الفقهى بالقياس الى خصوص بعض الآثار اختلاف فى الجملة.

الفصل السادس
فى تشريع اصل القصاص

ان القرآن يقرر لكل سيئة سيئة مثلها، و لكل اعتداء اعتداء مثله بالعموم؛ الا ان المقرر فى تعمد القتل هو القصاص، حيث يقول:
«و لكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب لعلكم تتقون».(١) و القصاص هو تتبع اثر الجانى باستيفاء مثله؛ و تشريعه ضامن للحياة، اذ فى ضوئه يتحرز الشخص عن قتل غيره حتى لا يقتل به قصاصا فتحفظ حيوته كما يحفظ حيوة غيره؛ ففيه حياة للناس؛ و هو المجعول بدواً فى تعمد القتل، فلادية هناك ـ كما فى غيره من شبه العمد و الخطاء المحض ـ نعم: لو توافق القاتل و ولى المقتول على مال اقل من الدية المقدرة فى غيره او ازيد او مساو يه و رضيابه امكن سقوط القود بذلك، كما يمكن سقوطه ايضا بالعفو المحض حسبما يأتى؛ فتحصل: ان القصاص عامل للحياة، مضافا الى ما يعتبر فيه من التساوى المانع عن التعدى بقتل جماعة بواحد.

* * *

(١) سورة البقرة آية ١٧٩

الفصل السابع
فى اعتبار التماثل فى القصاص

ان القرآن لكونه كتابا انزل بالحق ليقوم الناس بالقسط، قد قرر القصاص بحيث لا يتجاوز به عن العدل حيث قال:

«و كتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس». الآية(١) و الظاهر منها هو اعتبار التساوى فى قتل النفس، فلا يجوز الاسراف فيه بقتل ازيد من واحد بواحد، كما كان دأب الجاهليه؛ و لا اختصاص لهذا الحكم ببنى اسرائيل ـ كما مر فى الفصل الثانى ـ اذ الميزان فى القصاص هو ما قرره الشرع بالقسط، لا ما يقضيه الغريزة السبعية المهاجمة.

ثم انه لما كان مجرد تقابل النفس بالنفس يشمل ما اذا كان احد هما حُرّا و الأخر عبدا او احدهما ذكرا و الأخر انثى، بيّنه و قيّده بقوله:

«ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر و العبد بالعبد و الانثى بالانثى». الآية(٢) فتدل على اعتبار التماثل الخاص بين المقتول و من يقتل قصاصا.

و لا مجال لتوهم التنافى بين الآيتين بعد كون الاولى مطلقة محمولة على الثانية التى تكون مقيدة، حيث انه لا تعارض بين الاطلاق و التقييد، كما لا تنافى بين العموم و الخصوص. و الآية ساكتة عما لو قتل الذكر الانثى او قتلته الانثى، و لكن لذلك حكم مضبوط فى السنة، و الكلام الآن حول الآية الناطقة باعتبار التماثل فى الذكورة و الانوثة؛ و لا

---

(١) سورة المائدة آية ٤٥

(٢) سورة البقرة آية ١٧٨

وجه ايضا للقول بان الآية الاولى مختصة باهل الكتاب، و الثانية مرتبطة بامة الاسلام، بعد ما تقدم من عدم الاختصاص و ظهورها فى العموم، حسبما يؤيّده النصوص و الفتاوى.

الفصل الثامن
فى بيان من بيده القصاص

ان القرآن ينطق بان القصاص حق مجعول لولى من قتل عمد احيث يقول «... **و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا**».(١) فالقصاص سلطة خاصة يكون اعمالها او تركها الذى هو ايضا نوع اعمال بيد ولى المقتول ظلما؛ و ليس ميراثا تركه المقتول بل حق بدوى جعل لوليه، فليس لغيره سهم فيه، حتى المقتول بعد ما اصيب و قبل ان يقتل، فليس له العفو او المطالبة بالمال او الأعمال، اذ لا حق له اصلا. نعم: لقصاص العضو قطعا او جرحا حكم آخر، سيوافيك ان شاء الله.

و حيث ان القصاص حق مجعول لولى المقتول فلا مساس له بالحد حتى يحتاج اصل ثبوته الى حكم القاضى ـ كما فى الحدود ـ و بينهما فروق عديدة ـ **منها:** ان الحد قد يسقط بالتوبة دون القصاص. و منها: ان الحد يمكن العفو عنه اذا كان ثبوته بالاقرار دون القصاص، اذ ليس للامام العفو عنه اصلا. و منها: ان الحد لايصح اجرائه الا بميزان القضاء و حكم القاضى دون القصاص، حيث انه لا يحتاج الى القضاء، بل يصح لولى المقتول ان يتولاه. نعم: ذهب بعض الفقهاء الى اعتبار اذن ولى

---

(١) سورة الاسراء آية ٣٢

المسلمين بحيث لو تولاه بدون اذنه يعزّر، و هذا غير احتياج القصاص ـ كالحد ـ الى القضاء؛ و لكن لو قتل شخصا و ادعى انه اقتصّ منه فعليه الاثبات، فان اثبته فهو، و الا فيقتّص منه. و من تلك الفروق: ان الحد لا يثبت بالحلف و ليس على صاحب الحد يمين، بخلاف القصاص الذى يثبت باليمين، كما انه يسقط بها ايضا. و له ايضا خصيصة اخرى، حيث انه يثبت بالقسامة و يسقط بها، و هى نوع خاص من اليمين.

و منها: ان القصاص حق يرثه وارث المال عدا الزوجين دون الحد. نعم: فى بعض اقسام الحدود كحد القذف خصوصية يشبه القصاص من حيث كونه حقا خاصا بيد من جعل له؛ الى غير ذلك من الفروق المبحوث عنها فى الفقه؛ و المراد هنا بيان خروج القصاص عن ضابطة الحد فى الجملة، لا بالجملة، اذ فى كلا طرفى الطرد و العكس موارد نقض و استثناء، حيث ان بعض الحدود ايضا مما يجوز لعامة المسلمين التصدى له عند حفظ النظم و عدم الفساد ـ كحد من ادعى النبوة او سب النبي صلى الله عليه و آله ـ اذ يجوز لمن سمع ذلك ان يتصدى للحد ـ و هو القتل ـ بلا افتقار الى الحكم، بل بلا احتياج الى اذن الوالى، يعنى انه لا يحتاج الى قضاء القاضي و لا و لاية الوالى. نعم: لو قتل شخصا بدعوى انه ادعى النبوة او سب النبي صلى الله عليه و آله مثلاً فعليه البينة و الا فيقتّص منه ظاهرا و ان كان مصيباً واقعا.

الفصل التاسع
فى عدم الميز بين الذكر والانثى فى القصاص

قد يتوهم الميز جهلا او تجاهلا بين الذكر و الانثى فى موارد خاصة؛ منها: القصاص حيث يقال: بان الانثى نصف الذكر، و يجعل ذلك قدحا

فى كتاب «لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه» و طعنا فى دين اكمله الله، و نقدا فى نعمة اتمها سبحانهُ، و شَيْناً فى اسلام قد رضيه الله للناس دينا؛ فيلحد به فى اوساط من الناس يصعب عليهم حل الشبهة و يعتاص عليهم رد ما تشابه منه الى ما هو محكم فى بابه لا يتطرقه الخلل و المغالطة؛ و تحقيقه فيما يلى.

اما اولاً: فلانه «ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله امرا ان يكون لهم الخيرة»، لان الله لا يضلّ و لا يَنْسى، و هو اعلم بمصالح العباد منهم و ارحم بهم منهم؛ كما انه تعالى اقرب الى انفسهم منهم؛ و حيث انه هو الله الجامع لجميع الاسماء الحسنى، فتنحصر الخالقية فيه تعالى بحيث لا خالق سواه؛ و لما كان هو الخالق لا غيره، فينحصر امر وكالة الخلق فيه، فهو وكيل كل شئ بالقول المطلق لا غيره، فلا مجال لغيره ان يطمع فى خلق شئ او يطمح فى امره بعد خلقه، قال عز من قائل: «**ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه و هو على كل شئ وكيل**».(۱) و هذا اتقن برهان على توحيد الخالقية و توحيد الربوبية و توحيد الالوهية و المعبودية، فلا خالق سواه و لا رب عداه فلا معبود سواه. فاقض العجب ممن يتلوقوله تعالى: «**الله خالق كل شئ و هو على كل شئ وكيل**»(۲) ثم لا يلين قلبه الى ذكر الله! فويل لمن لاكها بلا تدبر، و اسفاً على من فى قلبه قفل الذنب و على عينه غطاء الغفلة، و هو فى كِنان مما يدعوه الله اليه.

و اما ثانياً: فلانه لا ميز بين الذكر و الانثى فيما هو المهم من الامور الانسانية اصلا، اذ لم يعهد من الشرع فى شئ من الكمالات السامية و

---

(۱) سورة الانعام آية ۱۰۲.

(۲) سورة الزمر آية ٦۲

معالى الامور كون الذكورة شرطا فى نيل ذلك الكمال العالى، او كون الانوثة مانعة عن نيل ذلك المعنى السامى نعم : قد يترائى ذلك فى بعض الأمور الاجرائية ـ كالولاية و القضاء ـ و اين ذلك من الميز المانع عن تكامل المرئة؟ مع انه جعل لها وظائف اخرى و حقوق عليحدة يمكن لها الرُقّى بها. و الحاصل: انه يلزم الباحث المتعمق الفرق بين العلوم و الاعمال، و كذا الفرق بين المعارف و الامور الاجرائية؛ و السر فى ذلك: هو ان الدين الالهى لتربية الانسان و تهذيبه، و الانسان بما انه انسان لافرق فيه بين الذكر و الانثى، لا ان هناك ذكورة و انوثة و هما متساويان حسبما تراه الثقافة المادية الغربية او الشرقية، بل بمعنى ادق منه، و هو ان مدار التهذيب ـ و هو الانسانية ـ خارج عن طور الذكورة و الانوثة و منزه عن لوثهما و عال عن كل واحد منهما ـ كما بينه بعض(۱) اساطين الحكمة الالهية ـ حيث افاد «ان الذكورة و الانوثة خارجتان عن الانسانية التى هى صورة فعلية خاصة، لانهما من الامور المصنفة، لا من الفصول القريبة او البعيدة، و لانهما مرتبطان بما هو مادة الانسانية و قوتها، لا بما هو صورتها و فعليتها، فلذا تريهما موجودين فى الانواع السابقة على الانسانية كالحيوان بل و النبات» **اقول:** و لعله لذا لا يوجد شئ منهما فى ما يفوق الانسان؛ و بالجملة ان الحياة الطيبة التى وعدها(۲) الله **«من آمن و عمل صالحا»** انما هى تكون للانسان بما هو انسان، سواء خلق جسمه المادى هكذا او ذاك ؛ فآل هذا التحليل، هو انه لا يحوم حوم الانسانية ـ التى هى مهد التربية و التهذيب ـ الذكورة و الانوثة اصلا، لا ان هناك ذكورة و انوثة و هما متساويان، تدبر تجد الفرق!

---

(۱) هو ابن سينا فى الفصل الرابع من المقالة الخامسة من الالهيات الشفاء

(۲) سورة النحل آية ۹۷

و اما ثالثا: فلانه لا ميز بينهما عند تعمد القتل فى شئ من الامور المارّة، لا من حيث كونه ـاى تعمد القتلـ خطيرا هائلا بموقفه الاجتماعى، و لا من حيث النهى التحريمى عنه، و لا من حيث لزوم كفارة الجمع و التوبة، و لا من حيث لزوم التغليظ اذا كان ذلك فى الحرم او فى الشهر الحرام، و لا من حيث العقاب الاخروى و العذاب العظيم و الغضب و اللعن الالهى، و لا من حيث لزوم القصاص، و لا من حيث كون القصاص بيد ولى من قتل مظلوماً، و لا من حيثيات هامة اخر. نعم: قد يتوهم الميز بينهما فى مورد نشير اليه و الى حلّه، و هو انه لو قتلت الانثى ذكرا لقتلت به قصاصا بلا شئ، كما لو قتلت انثى اخرى او قتل الذكر ذكرا، حيث ان القاتل فى هذه الموارد يقتل قصاصا بلا شئ زائد؛ و اما لو قتل الذكر انثى لقتل بها قصاصا بعد اخذ نصف ديته، و هذا يوهم بان قيمة المراة نصف قيمة الرجل بل المراة هى نصف الرجل؛ فمن هنا يغالط فيلحد احيانا و يتزلزل فى الاعتقاد الاسلامى.

والذى يسهل الخطب، هو ان الدية ليست معيارا للكرامة الانسانية، و لا ان الكرامة الانسانية الفائقة على كثير من المخلوقات توزن و تقوّم بها، اذ الانسان قد بلغ منزلة لو اشترك اهل السماء و الارض فى قتله لاكبّهم الله فى النار، و كان قتله بمنزلة قتل جميع الناس، و ان جزاء قتله هو العذاب العظيم، بلا ميز فى شئ من ذلك بين الذكر و الانثى؛ و اين هذا من الدية التى قد قررت فى الشرع لقتل الكلب ايضا؟ حيث ان قاتله يلزم بالدية المقدرة له؛ فالدية لا مساس لها بالكرامة الالهية اصلا، و لذا لا تفاوت فيها، بين قتل أتقى الناس الذى هو اكرمهم عندالله، و بين قتل واحد من اوساط الناس الذى لا فضل له. فتحصل: ان الكرامة لا توزن و لا تعادل بالدية و ان الدية ليست معيارا للقيمة الالهية، بل **«قيمة كل امرئ ما يحسن»** و كرامته بتقواه، فلو كان بين الرجل و المراة تفاوت فى

الدية فلعله لان الرجل غالبا اقوى من المراة فى التوليد الاقتصادى و تأمين المؤون او لغير ذلك مما يعلمه الله تعالى، لا ان المراة نصف الرجل فى القيمة، لوضوح فساده طردا و عكسا.

الفصل العاشر
فى العفو عن القصاص

ان القتل العمدى لكونه ظلما و اعتداء على الغير يكون كغيره من السيئات و التعديات، من حيث امكان الانتقام منه، و من حيث جواز العفو عنه؛ و الدليل على ذلك قسمان: احدهما ما يدل عليه بالعموم، و ثانيهما ما يدل عليه بالخصوص. **اما القسم الاول:** فهو عدة آيات تدل على ان المظلوم و من وقع عليه الاعتداء له الانتصار و الانتقام بمثل ما اعتدى عليه، كما له العفو و الصفح عمن تعدى عليه، كقوله تعالى: «**و جزاء سيئةٍ سيئة مثلها فمن عفىٰ و اصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين**».(۱) و قوله تعالى: «**و ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم و لئن صبرتم لهو خير للصابرين**».(۲)

و قوله تعالى: «**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا ان الله مع المتقين**».(۳) الى غير ذلك من الآيات التى تدل على جواز الانتقام و الانتصار للمظلوم، و لكن بقدر ما تعدى عليه، لا ما يزيد عليه، فانه ايضا ظلم. كما يدل على جواز العفو و

---

(۱) سورة الشورى آية ٤١ و ٤٠

(۲) سورة النحل آية ۱۲٦

(۳) سورة البقرة آية ۱۹٤

الصفح الجميل اليه.

و حيث ان القرآن نور و هدى يحتوى على مراحل من التعليم و التربية لا تكون على حد سواء، بل بعضها ارفع من بعض و بعضها احسن من بعض، و ان كان الكل رفيعا حسنا؛ و يرشدك الى ذلك قوله تعالى: «**ان الله يأمر بالعدل و الاحسان**».(۱) حيث ان الاحسان هو فوق العدل؛ فمن اعتدى على الظالم بمثل ما اعتدى عليه فهو عادل، و اما من عفى و تجاوز عن الاعتداء عليه فهو محسن؛ و لعله يشير اليه قوله تعالى: «**و اتّبعوا احسن ما انزل اليكم**».(۲)

حيث ان العفو كالانتقام مما انزله الله، و لكن العفو احسن منه و قد امروا ـ بالامر الندبى ـ باتباع ما هو احسن، كما امروا يدرُ السيئة بالحسنة لا بسيئة اخرى مثلها، و مدح الذين يدرؤن بالحسنة السيئة، حيث قال تعالى: «**و يدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار**».و اثنى على الذين يدفعون السيئة بالتى هى احسن بان ذلك مقام لا يناله الا الصابرون و منزلة لا يبلغها الا ذو حظ عظيم، حيث قال تعالى: «**و لا تستوى الحسنة و لا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولى حميم و مايلقيها الا الذين صبروا و ما يلقيها الا ذو حظ عظيم**».(۳)

فمن ذلك يظهر: ان الامر بالانتقام و الاعتداء بمثل ما وقع من الظالم ليس تعيينيا بحيث لا يجوز للمظلوم الصفح عنه، و ان الانتقام فى حق الناس ليس كبعض الحدود فى حق الله بحيث لا يجوز الاخذ بالرأفة و الترحم على من يجرى عليه الحد، بل للرأفة و العفو هنا مجال واسع حسبما تقدم.

و اما **القسم الثانى**: فهو ايضا بعض آيات اخر ناظرة الى خصوص

---

(۱)سوره نحل آية ۹۰ (۲) سوره زمر آية ۵۵ (۳) سوره فصلت آية ۳٤

العفو عن القصاص، كما انها دالة على جواز الاقتصاص، منها: قوله تعالى: «**ان النفس بالنفس و العين بالعين و الانف بالانف و الاذن بالاذن و السّن بالسّن و الجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له**».(١) فتدل على انّ وليّ المقتول او من اعتدى عليه، له سلطان مجعول من الله، فله اعماله بالقصاص، كما له الاغماض عنه بالتصدق و الصفح؛ و ان هذا العفو بمنزلة الكفارة التى تكفر ذنبه، حيث انه حسنة تذهب بالذنب، نظير غيره من الحسنات التى يذهبن السيئات. و منها: قوله تعالى: «**كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر و العبد بالعبد و الانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف و اداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم و رحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم**». (٢) فتدل على عدم تعين القصاص، و ان قوله تعالى: «**كتب عليكم القصاص**». ليس على وزان قوله تعالى: «**كتب عليكم الصيام**». حيث لا ترخيص فيه، بل المراد من الكتابة هنا هو التخييرى منها لا التعيينى، فلذا يجوز لمن جعل له السلطنة العفو؛ و هو قد يكون مطلقا و عفوا تاما و ذلك اذا لم يكن مشروطا بالدية، و قد يكون مشروطا بها حين ما رضى القاتل بها لما تقدم من انّ الحكم الاولى فى القتل العمدى هو القصاص، و اما الدّية فمتوقفة على رضى الطرفين؛ كما انه لا تقدير لها هنا، اذ يمكن توافقها على مقدار ازيد من الدية المقدرة فى الخطاء او اقل او مساوٍ لها. و على ايّ تقدير: فقد اوصى الله كل واحد منهما بموعظة حسنة، حيث قال: «**فاتباع بالمعروف و اداء اليه باحسان**» فعلى العافى ان يتبع المعروف و لا يتعداه، و على الجانى ان يؤدّى ما تصالحا عليه باحسان و لا بما طل و لا يبخس و لا يشاكس.

(١) سورة المائدة آية ٤٥

(٢) سورة البقرة آية ١٧٨

ثم افاد تعالى؛ بان ذلك التخيير و عدم تعين القصاص تخفيف منه تعالى و رحمة الهية شملت الامة المرحومة، فلا يجوز الاعتداء بعد العفو، و لا يصح التعدى بعد الصفح لانّه يستتبع عذابا اليما.

اما المقام الثّاني: فى قصاص العضوقطعااوجرحا

ان الجناية العمدية على الغير، قد تكون بقتل النفس، و قد تكون بقطع العضو او جرحه؛ و قد تقدم بسط المقال فيما يرجع الى قتل النفس.

و اما الكلام فيما يرجع الى قطع العضو او جرحه، فيجرى فيه اكثر ما مرّفى قتل النفس، الا ان هنا فرقا لابد من بيانه، و هو ان الحكم الا ولى لقتل النفس هو القصاص لا غير، و اما العفو او التصالح على ما يعادل الدية او يختلف معها فامر آخر زمامه بيد ولى المقتول وحده او مع رضى القاتل. و اما حكم قطع العضو او جرحه فهو القصاص ايضا ان لم يستلزم السراية الى باقى الاعضاء او النفس، و الا تبدّل بالدية ـحسبما قرر فى الفقهـ اذ لا مجال للقصاص الضار و الموجب للظلم على الجانى؛ و لعل هذا الفرق هو الموجب لذهاب عدة من الاصحاب الى لزوم اذن ولّى المسلمين هنا فى الاقتصاص.

ثم الذى يدل على قصاص الطرف قطعا او جرحا بالخصوص عدا الادلة العامة الدالة على جواز الاعتداء بمثل ما اعتدى عليه و صحة العقوبة بمثل ما عوقب به، هو قوله تعالى: **«و العين بالعين و الانف بالانف و الاذن بالاذن و السّنّ بالسّنّ و الجروح قصاص»**.(١) و قد تقدم عدم اختصاص هذاالحكم بالامة السالفة بعد انعقاد الاجماع على ثبوته فى هذه الامة، مع لزوم العمل بحكم سابق لم يثبت نسخه باحد الثقلين الذين ورثهما رسول الله فى امّته كيلا تضل.

---

(١) سورة المائدة آية ٤٥

ثم انه يؤخذ باطلاق هذه الآية الناطقة بان العضو يقتص بمماثله، بلا تفاوت فيه بين الذكر و الانثى حيث انه لم يرد فى قصاص العضو نظير ما ورد فى قصاص النفس من قوله تعالى: «الانثى بالانثى». الموجب لتقييد اطلاق قوله تعالى: «ان النفس بالنفس». نعم: اذا انتهى الامر الى الدية، فهناك فرق و ميز فى الجملة بين الذكر و الانثى تفصيله فى الفقه، و جوابه هو ما مرّفى (الفصل التاسع من المقام الاول) كما انه يؤخذ بما فى ذيل الآية من اطلاق جواز العفو عن القصاص، و انه تصدّق يكفر به ذنب العاصى، بلا ميز بين قتل النفس او قطع العضو او جرحه.

تمّ والحمدلله رب العالمين

عبدالله الجوادى الطبرى الآملى

وجيزة حول اسرار الحج

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذى جعل العرش مطافاً للملائكة الحافين و البيت المعمور فى السماء مثالا له للزائرين و جعل الكعبة فى الأرض مثالا لها للطائفين و العاكفين و صلى الله على جميع الانبياء و المرسلين و الائمة الهداة المهديين الذين هم خير الحاج و المعتمرين.

و بعد، فيقول العبد المفتاق الى ربه الجواد عبدالله الجوادى الطبرى الآملى: هذه وجيزة حول اسرار الحج و ماله من المأثر القيمة فى ضوء مقدمة و صلات و خاتمة:

اما المقدمة

ففى بيان امرين:

١ ـ فى بيان ان الكل عبادة و منها الحج، بطناً وسراً.

٢ ـ ان العبادة بظهرها و بطنها غاية الخلق المحتاج لا الخالق الغنى.

فاما الامر الاول

و هو ان لكل عبادة بطناً و سراً فهو ان العبادة مما بينه الله تعالى فى

كتابه الذى هو تبيان كل شئ و له ـ اى لكتاب الله تعالى ـ ظهر و بطن حيث قال مولينا ابو جعفرعليه السلام فى حديث: **ان لكتاب الله ظاهراً و باطناً الخ**(١) فلجميع ما فى القرآن و منه الحج ظهر يعرفه الناس و بطن، يرى الشاهد منهم ما لا يرونه و ينال العارف منهم ما لا يناله غيره. و ذلك كما ان للسماء ظهراً و بطناً حيث سئل ابن نباتة اميرالمؤمنين عليه السلام **كم بين السماء و الارض قال عليه السلام مدالبصر و دعوة المظلوم**(٢) فدل على ان البصر لايرى الاظاهر السماء و اما باطنها فلا يراه الا البصيرة لان المظلوم المستجير بالله لا يدعو الا الله الذى اوحى فى كل سماء امرها(٣) و وعد الناس بان رزقهم فى السماء(٤) و اوعد الكفار بانه لا تفتح لهم ابواب السماء(٥) اى بواطنها و اسرارها. فتحصل ان لكل عبادة و منها الحج بطناً و سراً.

ثم ان الله تعالى امر الناس ان يأخذوا ما آتاهم الرسول حيث قال: **ما آتاكم الرسول فخذوه**(٦).

ثم قال... **خذوا ما آتيناكم بقوة**(٧) و عن اسحاق بن عمار و يونس **قالا سألنا اباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى خذوا ما آتينا كم بقوة. أقوة فى الابدان اوقوة فى القلب؟ قال عليه السلام فيهما جميعاً** (٨).

---

(١) المحاسن ص ٢٧٠
(٢) الميزان ج١٧ ص٣٩٧
(٣) سورة الفصلت آية ١٢
(٤) سورة الذاريات آية ٢٢
(٥) سورة الاعراف آية ٤٠
(٦) سورة الحشر آية ٧
(٧) سورة البقرة آية ٦٣
(٨) المحاسن ص ٢٦١

و اما القلب فهو القسطاس المستقيم و الميزان الالهی الذی اودعه عبده ليعلم به ماله عندالله تعالی حيث روی مولينا الصادق عن آبائه عليهم السلام انه قال رسول الله صلی الله عليه و آله: من احب ان يعلم ما له عندالله فليعلم ما لله عنده(١) و هذا من غرر كلمات من أوتی جوامع الكلم و قال مولينا الكاظم عليه السلام فی جواب من سئله ان الرجل من عرض الناس يلقانی فيحلف بالله انه يحبنی أفا حلف بالله انه لصادق فقال عليه السلام: **امتحن قلبك فان كنت تحبه فاحلف و الافلا**(٢).

فللقلب ان يشاهد الغيب و ينال ما تدركه الابصار فطوبی لمن كان له قلب او القی السمع و هو شهيد و هو ممن يأخذ كل عبادة و منها الحج بقوة القلب كما يأخذها بقوة البدن فله ان يشاهد باطن العبادة و منها الحج و ينال سرها بسريرته ما لا ينال بالاوهام فضلا عن الابصار.

و الحاصل ان لجميع ماجاء به الوحی الالهی ظاهراً يأخذه الانسان بقالبه و باطناً يأخذه بقلبه و هذا اصل يشهد له الثقلان اللذان تركها رسول الله صلی الله عليه و آله فی امته و شاهده الاولياء و عانقه الا تقيا و باشره الاصفياء و عاشقه الشهداء فطوبی لمن عشق لعبادة و عانقها و باشرها، فللحج ظاهر يأتيه الناس بابدانهم و باطن يناله الخواص منهم بقلوبهم و يرون ما يتمثل به عند ظهور الملكوت حسب ما رواه ابو بصير عن احدهما عليه السلام انه قال: **اذامات العبد المؤمن دخل معه فی قبره ستة صورفيهن صورة هی احسنهن وجهاً و ابهاهن هيئة و اطيبهن ريحاً و انظفهن صورة ـ قال ـ فتقف صورة عن يمينه و اخری عن يساره و اخری بين**

---

(١) المحاسن ص٢٠٤ و٢٥٢

(٢) المحاسن ص٢٦٧

يديه و اخرى خلفه و اخرى عند رجليه و يقف التى هى احسنهن فوق رأسه فان اتى عن يمينه منعته التى عن يمينه ثم كذلك الى ان يؤتى من الجهات الست قالَ فيقول احسنهن صورة من انتم جزاكم الله عنى خيراً فيقول التى عن يمين العبد انا الصلاة و يقول التى عن يساره انا الزكاة و تقول التى بين يديه انا الصيام و تقول التى خلفه انا الحج و العمرة و تقول التى عند رجليه انا بر من وصلت من اخوانك ثم يقلن من انت ـ فانت احسننا وجهاً و أطيبنا ريحاً و ابهانا هيئة فتقول انا الولاية لآل محمد صلوات الله عليه و عليهم(١).

حيث انه يدل على ان للحج صورة باطنية يتمثل بها اذا برق البصر و خسف القمر، و اذا التفت الساق بالساق و الى الله يومئذ المساق، و اذا ارتحل من الملك الى الملكوت و تبدلت الدنيا بالآخرة، و كما ان هناك علماً يبحث عن احكام الحج من الوجوب و الحرمة او الصحة و البطلان كذلك هيهنا علم يطوف حول حكم الحج و يسعى بين اسراره و رموزه و يغوص فى لطائفه و اشاراته و يطير فى سماء معارفه.

و حيث ان الله تعالى قد من على بتأليف كتاب الحج تقريراً لدراسة **سيدنا الاستاذ آية الله العظمى السيد محمد المحقق الداماد قده** و رزقنى زيارة بيته الحرام و شاهدت هناك آيات بينات و او تيت نزراً من اسرار الحج و الهمت نبذاً من حكمه و كان الانسب تكميل مناسك الحج ببيان معارفه و تتميم مباحث الفقه الاصغر بكرائم الفقه الاكبر الذى به يكمل الدين و تتم النعمة، فبادرت بتحرير هذه الوجيزة لتكون مدخلا لتلك المباحث الهامة و تبصرة لنفسى و تذكرة لاخوانى المؤمنين و زاداً لسفرة الحج و راحلة لآمين البيت الحرام و محملاً لكل من يأتيه رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق و نفقة لكل من يشد الرحال اليه.

---

(١) المحاسن ص٢٨٨

و كفى للحج بماله من الاحكام و الحكم فضلا ان ادعية شهر رمضان مشحونة بطلبه من الله بحيث لو قيل بان صيام ذاك الشهر و دعوات لياليه و نجاوى اسحاره و اوراد ايامه مقدمة معدة له و لا دراك ماورد من ان تسبيحة بمكة يعدل خراج العراقين ينفق فى سبيل الله(١) و الساجد بمكة كالمتشحط بدمه فى سبيل الله(٢) و من ختم القرآن بمكة لم يمت حتى يرى رسول الله صلى الله عليه و آله و يرى منزله من الجنة(٣) و ان النظر الى الكعبة حباً لها يهدم الخطايا هدماً(٤) لما كان جزافاً من القول.

و حيث ان الله ولى كل نعمة لما قال تعالى: **وما بكم من نعمة فمن الله**(٥) و هو الذى اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة، فله الحمد تعالى فى تأليف تلك الاحكام و تصنيف هذه الحكم، و له الشكر فى تعريف تلك المناسك و ترو ية هذه المشارب و له الثناء فى تنميق تلك المباحث و تحقيق هذه المعارف و له المجد فى عبقرية ذاك التعليم الموضون و رفرفة هذه التزكية المنضودة المشار اليهما فى كلام محمد بن على الباقر عليهما السلام فى حديث: **ان الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الاخرة المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه و آله**(٦)

حيث اشار عليه السلام الى الجمع بين الفقهين لان الجامع بينهما هو المؤمن الذى قال عليه السلام فيه انه لا ينجسه شى(٧) و هو المؤمن الذى قال فى حقه مولينا الصادق عليه السلام لو كشف الغطاء عن الناس فنظروا الى وصل مابين الله و بين المؤمن خضعت للمؤمن رقابهم و

(١و٢و٣و٤و٥) المحاسن ص٦٨و٦٩

(٦) كافى باب الاخذ بالسنة والمحاسن ص٢٢٣

(٧) المحاسن ١٣٣

تسهلت له امورهم ولانت طاعتهم ولو نظروا الى مردود الاعمال من السماء لقالوا ما يقبل الله من احد عملا(١).

و هو المؤمن الذى قال فى شأنه مولينا الرضا عليه السلام ان الله تعالى خلق المؤمن من نوره ـالى ان قال ـ فانه ينظر بنورالله الذى خلق منه(٢) و هو الموقن الذى قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه و آله انه عبد نور الله قلبه للايمان(٣) كما قال صلى الله عليه و آله كفى باليقين غنى و بالعبادة شغلا (٤) و كذا قال على عليه السلام فى شأن اليقين يا ايهاالناس سلوا الله اليقين... و خير مادام فى القلب اليقين و كان على بن الحسين عليه السلام يطيل القعود بعد المغرب يسأل الله اليقين(٥) و لقد رغب على عليه السلام الناس اليه حيث قال... **كونوا فيما اخبركم الله كمن عاين(٦).**

و هذا الجامع بين الفقهين هو العبد المحبوب الذى قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى شأنه انه قال: ما تحبب الى عبدى بشئ احب الى مما افترضته عليه و انه ليتحبب الى بالنافلة حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و لسانه الذى ينطق به و يده التى يبطش بها و رجله التى يمشى بها اذا دعانى اجبته و اذا سألنى اعطيته ـ الحديث(٧).

و هذا هو قرب النوافل تجاه قرب الفرائض الذى وردفى شأن

---

(١) المحاسن ١٣٢

(٢) المحاسن ١٣١

(٣و٤) المحاسن ص٢٤٧

(٥) المحاسن ص٢٤٨

(٦) المحاسن ص٢٤٩

(٧) المحاسن ص٢٩١ وصحيح البخارى كتاب الرقاق باب٣٨

الانبياء عليهم السلام بهم ينظرالله الى عباده(١).

و الى قرب النوافل اشار من لو لا زفيره اغرقته دموعه ولو لا دموعه احرقته زفرته(٢) حيث قال:

وجاء حديث باتحادی ثابت روايته فى النقل غيرضعيفة
يشير بحب الحق بعد تقرب اليه بنفل او اداء فريضة
و موضع تنبيه الاشارة ظاهر بكنت له سمعاً كنور الظهيرة
تسببت فى التوحيد حتى وجدته وواسطة الاسباب احدى ادلة
و وحدت فى الاسباب حتى فقدتها و رابطه التوحيد اجدى وسيلة
و جردت نفسى عنهما فتوحدت و لم تك يوماً قط غير وحيدة
وغصت بحار الجمع بلخضتها على انفرادى فاستخرجت كل يتيمة
لا سمع افعالى بسمع بصيرة و اشهد اقوالى بعين سميعة(٣)

ثم ان فى محكى مصباح الشريعة و مفتاح الحقيقة انه قال مولينا الصادق عليه السلام: اذا اردت الحج فجرد قلبك لله من قبل عزمك عن كل شاغل و حجاب حاجب و فوض امورك كلها الى خالقك و توكل عليه فى جميع ما يظهر من حركاتك و سكناتك و سلم لقضائه و حكمه و قدره و ودع الدنيا و الراحة و الخلق و اخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين و لا تعتمد على زادك و راحلتك و اصحابك و قوتك و شبابك و مالك مخافة ان يصير عدواً و و بالا، فان من ادعى رضا الله و اعتمد على شئ سواه صيره عليه عدواً و و بالا ليعلم انه ليس له قوة و لا حيلة لك و لا لاحد الا بعصمة الله و توفيقه و استعد استعداد من لايرجو الرجوع و

---

(١) المحاسن ص١٨٥ اسرارالعبادات لقاضى سعيدالقمى ره
(٢) المحاسن ص٩٥من مشارق الدرارى شرح تائية ابن فارض
(٣) من تائية ابن فارض

احسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله و سنن نبيه صلى الله عليه و آله و ما يجب عليك من الادب و الاحتمال و الصبر و الشكر و الشفقة و السخاء و ايثار الزاد على دوام الاوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك و البس كسوة الصدق و الصفاء و الخشوع و احرم عن كل شئ يمنعك عن ذكر الله و يحجبك عن طاعته و لب بمعنى اجابة صافية خالصة زاكية لله عزوجل فى دعوتك له مستمسكاً بعروته الوثقى و طف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت و هرول هرباً من هواك و تبرياً من جميع حولك و قوتك و اخرج من غفلتك و زلاتك بخروجك الى منى و لا تتمن ما لا يحل لك و لا تستحقه و اعترف بالخطايا بعرفات و جدد عهدك بوحدانيته و تقرب الى الله و اتقه بمزدلفة و اصعد بروحك الى الملأ الاعلى بصعودك الى الجبل و اذبح حنجر الهوى و الطمع عنك عند الذبيحة و ارم الشهوات و الخساسة و الدنائة و الذميمة عند رمى الجمار و احلق العيوب الظاهرة و الباطنة بحلق شعرك و ادخل فى امان الله و كنفه و ستره و كلائته من متابعه مرادك بدخولك الحرم و زرالبيت متحققاً لتعظيم صاحبه و معرفة بجلاله و سلطانه و استلم الحجر رضا بقسمته و خضوعاً لعزته و ودع ماسواه بطواف الوداع وصف روحك للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصفا و كن ذامرؤة من الله نقياً عند المروة.

و اعلم بان الله لم يفترض الحج و لم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة الى نفسه بقوله عزوجل: «و لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا».(١) و لا شرع لنبيه سنة فى خلال المناسك على ترتيب ما شرعه الا للاستعداد و الاشارة الموت و القبر و البعث و القيمة

(١) سورة آل عمران آية ٩٧

من اولها الى آخر ها لاولى الالباب و النهى(١).

فهذا الكتاب القيم بما فيه من الاحكام و الحكم عينان نضاختان يشرب منهما من له جنتان لانه ارتقى من حضيض الحيوة الدنيا الى اوج الحيوة الاخرى و منها الى ماورائها لان اهل الله لا يشتاق الى الجنة و ان تشتاق اليه كما انه لا يخاف من النار و ان تخاف منه لانه قسيم الجنة و النار و يسجد له باذنه تعالى رضوان الجنة و خازن النار و لذا لا يعبده تعالى شوقاً الى النعمة و لا خوفاً من النقمة بل يعبده حباً له كما سيوافيك فارتقب البحث عن جنة اللقاء الموعودة لمن حج البيت و زار ربه هناك و ام الكعبة و شاهد ربها هنا للكطوبى له و حسن مآب.

* * *

و اما الامر الثانى و هو العبادة بظهرها و بطنها غاية الخلق المحتاج لا الخالق الغنى المحض كما ان جميع ما فى حوزة الوجود الامكانى من الغيب و الشهادة بعضها غاية للبعض و الله تعالى غاية للكل بالذات و لا غاية له تعالى وراء ذاته المتعالية و هو تعالى الاخر كما هو الاول و هو الباطن كما هو الظاهر.

فبيانه هو ان كل فاعل يفعل فعلا لغرض يناله و غاية يطلبها فهو ناقص و كل ما ليس بناقص فهو لا يفعل فعلا لغرض و غاية.(٢)

و حيث ان الخالق تعالى غنى عن العالمين فليس بناقص فلا يفعل فعلا لغرض ينحوه و غاية يطلبها و الالزم ان يكون بذاته ناقصاً و محتاجاً و يصير بغيره كاملا و مستغنياً و حاشا الغنى المحض عن الفاقة و سبحان الكامل الصرف عن النقص. و لا ميز فى الغرض المنفى و الغاية المسلوبة

---

(١) اسرار العبادات ص٢٣٣

(٢) الفصل الخامس من المقالة السادسة من الهيات الشفاء

عنه تعالى بين ان يكون هو جلب النفع الى نفسه او ايصال الخير الى الغير اذ لو كان ايصال ذلك الخير الى الغير غرضاً له و غاية لذاته يلزم ان يكون ذاته تعالى بدون ذلك الايصال ناقصاً و معه يصير كاملا و هو محال بل هو تعالى جواد محض يهب ما ينبغى كما ينبغى لا لعوض و لا غرض و ان كان فعله تعالى متن الحكمة و ينبوع الخير و معدن البركة.

فمن هنا يتبين الجمع بين قوله تعالى... **ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون**. و قوله تعالى: «**ان تكفروا انتم و من فى الارض جميعاً فان الله لغنى حميد**».(١)

لان معنى الكريمة الاولى هو بيان غاية الخلق اى الهدف السامى للمخلوق و الكمال النهائى له هو ان يصير عبداً له تعالى كما قال مولى الموحدين على بن ابيطالب عليه السلام «**الهى كفى بى فخراً ان اكون لك عبداً**» و معنى الكريمة الثانية هو بيان ان الله تعالى لم يكن محتاجاً الى ان يصير معبوداً بحيث لو لم يعبد لبقى على نقصه وحاجته فاذا صار معبوداً ارتفع نقصه وسد حاجته سبحان الغنى المحض عن الفقر الى شئ اصلا بل هو الغنى الجواد عبد ام لم يعبد.

و هكذا تبين مغزى القول فى بيانه تعالى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف. لان معرفة الله تعالى كعبادته تعالى غاية الخلق لا الخالق اذ الهدف انما هو للمحتاج لا للغنى و الغرض انما ينصور للناقص لا للكامل بالذات لان ذاته هو الهدف لجميع ما سواه.

ثم ان هناك بياناً حكمياً فى ضرورة الغاية لكل فعل و فى تحتم الغرض لكل فيض و فى كون كل فاعل انما هو يفعل لغاية ينحوها حتى يستكمل

(١) سورة ابراهيم آية ٨

بها و يصير كاملا و اما اذا كان الكمال المحض مبدء لفيض و سبباً لامر كيف يفرض له غرض زائد على ذاته بل هو الغرض الذاتى لكل فعل و فيض كما هو المبدء الذاتى لكل اثر و خير حسبما افاده القرآن الحكيم بقوله تعالى هو الاول و الاخر الآية فتبين انه تعالى هو الغاية بالذات فلا غاية له كما انه تعالى هو الفاعل بالذات لما عداه فلا فاعل له و هو تعالى خالق كل شئ و اليه يصير الامور(كما بدء كم تعودون).

فمن ذلك يظهر سر قوله تعالى: «و لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين».(١)

حيث ان الحج عبادة مفروضة من الله على الناس و هم محتاجون الى ان يحجوا و يعتمروا فان كفروا و مردوا فان الله غنى عن العالمين فضلا عنهم وعن عبادتهم. فالحج كغيره من العبادات غاية الخلق لا الخالق و الحاج يتزود بحجه خير المزاد و الله غنى محض لانه نفس الغناء ومحض الكمال فلا يتصور له غاية زائدة على ذاته اذ لا غاية للغاية الذاتية.

* * *

و اما **الصلات** : ففى بيان فضائل الكعبة و سنن الحج و اسرارها و تأثير ها فى تحرير الرقاب من الاستعباد وعتق النفوس من الاستكبار و وضع الآصار و الاغلال من الاعناق و الايدى و الارجل و اخراج الناس من ذل الاديان الى عز الاسلام.

الصلة الاولى فى ان الكعبة مثال للعرش

ان الاصول القرآنية ناهضة اولا بان لجميع الاشياء خزائن عندالله

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٧

تبق و لا تفنى و ان نفدت و بادت تلك الاشياء حيث قال تعالى: **«و ان من شئٌ الاعندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم»**.(١) و قال تعالى: **«ما عندكم ينفدو ما عندالله باق»**.(٢) فلا مجال لنفاد الخزائن التى عندالله لان كل ما عنده فهو مصون عن الزوال و محفوظ عن الفناء.

و ثانياً بان جميع تلك الاشياء الخارجية نازلة من تلك الخزائن الغيبية لا بنحو التجافى المستلزم للنفاد و الزوال بل بنحو التجلى كما قال على عليه السلام الحمد لله المتجلى لخلقه بخلقه. و يدل على ذلك التنزل قوله تعالى: **و ما ننزله الا بقدر معلوم**، حيث ينطق بان وجود تلك الاشياء فى تلك المخازن بنحو اللف الجمع و عند التنزل يصير بنحو النشر و القدر و الهندسة.

فمن هنا يظهر معنى قوله تعالى: **«... قد انزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم و ريشا»**.(٣)

و قوله تعالى: **«و انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج»**.(٤)

و قوله تعالى: **«و فى السماء رزقكم و ما توعدون»**.(٥)

و قوله تعالى: **«و انزلنا الحديد فيه بأس شديد»**.(٦)

حيث ان الانزال فى هذه الموارد ونظائره بمعنى التنزل و التجسم لا التجافى نظير انزال المطر من السماء الى الارض لان كل قطرة منه اذا نزلت الى الارض فقد انتقلت و هجرت مكانها السمائى فكل شئ

---

(١) سورة الحجر آية ٢١
(٢) سورة النحل آية ٩٦
(٣) سورة الاعراف آية ٢٦
(٤) سورة زمر آية ٦٠
(٥) سورة ذاريات آية ٢٢
(٦) سورة حديد آية ٢٥

موجود فی عالم المادة فله اصل محفوظ عندالله يتنزل منه و يكون آية له و مرأة اياه و كذا يكون مرقاة اليه (الا الى الله تصير الامور). (١)

فمن ذلك ما ورد من نزول قواعدالكعبة من الجنة و كذا نزول الحجر الاسود و نزول حجر المقام(٢) حيث ان ذلك كله يدل على ان لاجزاء البيت و اركانه اصلا طيباً عندالله يكون تلك الامور متنزلة من ذلك الاصل الطيب (٣) و يشهد له ما ورد فی سر تربيع الكعبة و بنائها على اربعة اركان من ان ذلك كان بحذاء البيت المعمور و كذا العرش حيث ان له اركاناً و اضلاعاً اربعة فلما سئل الامام الصادق عليه السلام المعصوم عن سر تربيع العرش اجاب عليه السلام **بان الكلمات التی بنی عليها الاسلام اربع وهی التسبيحات الاربع سبحان الله والحمدلله ولا اله الا الله و الله اكبر**(٤).

حيث ان هذا السؤال و الجواب يدل على ان الكعبة قد تنزلت من البيت المعمور المتنزل من العرش على المعنی المتقدم من التنزل المنزه عن التجافی و على ان سر التربيع فی هذه الانظمة الثلاثة اعنی الطبيعة و المثال و العقل هو تربيع الكلمات الدالة على التنزيه و التحميد و التهليل والتكبير.

فمن هنا يلوح معنی ما ورد من ان الكعبه من موضعها الى عنان السماء قبلة (و افی: باب وجوب الاستقبال) لان ظاهره و ان كان هو وجوب الاستقبال الى هذا البعد العمودی تشريفاً و لكن سره يدل على

---

(١) سورة شوری اية ٥٣

(٢) الميزان ج ١ ص ٢٩٤

(٣) وسائل ج ٩ ص ٣٨٦ الى ٣٨٨

(٤) البحار ج ٩٩ ص ٥٧

الارتباط الوجودى بين عوالم الطبيعة و المثال و العقل و الصراط الذى يمكن سلوكه هو التحقق فى المعارف المستفادة من التسبيح و التحميد و التهليل و التكبير(تدبر).

الصلة الثانية: فى ان الكعبة اسست على التوحيد المحض

ان هندسة الكعبة كانت بهداية الله الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى و قال عز من قائل... «**و اذبوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئاً**»(١) يعنى ان تبوئة البيت و تعيين مكانه و هندسة تأسيسه انما هو على التوحيد الصرف الذى لا يشوبه اى شرك اصلا لا الشرك الجلى كالوثنية و لا الخفى كالرياء لان النكرة التالية للنفى تفسير سراية النفى الى كل ما يصدق عليه الشرك حيث قال تعالى: لا تشرك بى شيئاً.

و هذا التوحيد المحض الذى أسس عليه الكعبة لا يتحقق الا فى الاوحدى من المؤمنين اذ الا كثرى منهم ليس مصوناً عن لوث الشرك الجلى كالتواضع للغنى لغناه و التذلل للطاغوت لطغيانه او الشرك الخفى كترك الدنيا للدنيا و الزهد فيها للجاه و المقام و لذا قال تعالى: «**و ما يؤمن اكثرهم بالله الا و هم مشركون**»(٢) اى اكثر المؤمنين مشركون بالمعنى المتقدم و هؤلاء الا كثرون لا يرثون الارض بل يرثها العباد الصالحون الذين يمكنهم الله دينهم الذى ارتضى لهم و يؤمنون به و لا يشركون به شيئاً.

و هذا التوحيد المحض قد تجلى فى كلمات رسول الله صلى الله عليه و

---

(١) الحج آية ٢٧

(٢) يوسف آية ١٠٦

آله الذى اوتى جوامع الكلم حيث قال صلى الله عليه و آله «**لا اله الا الله وحده وحده وحده**». و لعله ناظر الى التوحيد فى مراتبه الثلث من التوحيد الذاتى و الصفاتى و الافعالى فمعه لا مجال للشرك اصلا اذ لا يخلو شئ من المراحل الوجودية عن التوحيد حتى يكون ذلك الخلاء بنفسه شركاً او بملائه الشرك بناء على كونه امرا و جودياً.

و حيث ان التوحيد شجرة طوبى و من ثمارها التقوى يكون مسجد قبا المؤسس على التقوى من فروع ذلك الاصل و من ثمار ذاك البذر. فالكعبة المؤسسة على التوحيد اصل لجميع مايبنى على التقوى كما يكون هدم الكعبة المؤسس على الشرك اصلا لجميع ما يبنى على شفا جرف هارينهار فى دار جهنم. فتحصل ان هندسة الكعبة على التوحيد البحت الذى لا يجتمع مع اى شرك اصلا وهى بهذه الهندسة الالهية صارت موضوعة و متعلقة لغير واحد من الاحكام و منها الحج وهى بهذه الخصيصة يكون مثالا للعرش الذى لا يحوم حوله الا الملائكة الذين هم عباد الرحمن لا يعصون الله ما امر هم و هم بامره يعملون و لا يسبقونه بالقول و يفعلون ما يؤمرون لا يفترون من تسبيحه و لا يسأمون من تقديسه و لا يستحسرون من عبادته و لا يؤثرون التقصير على الجد فى امره و لا يغفلون عن الوله اليه.(۱)

الصلة الثالثة فى ان قواعد الكعبة بنيت ورفعت على الخلوص الصرف

ان عمران الكعبة و بنائها و رفع قواعدها كان بيد ابراهيم عليه السلام خليل الله و اسمعيل ذبيح الله عليه السلام قال تعالى: «**و اذ يرفع**

---

(۱) الصحيفة السجادية دعاء۳

ابراهيم القواعد من البيت و اسمعيل ربنا تقبل منا».(۱)

يعنى ان بناء الكعبة و رفع قواعدها كان عبادة خالصة من ذينك النبيين بحيث لا يريدان من احد جزاء و لا شكورا بل انما يرفعان قواعدها لوجه الله و لم يكن ذلك منهما بدعاء لفظي فحسب بل كان كامناً فى القلب و ظاهراً فى القالب مكنوناً فى المهجة بارزاً فى اللهجة لان من جاء ربه بقلب سليم لا يمس كرامة قلبه طائف من غير الله و من قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى من الصابرين لا يمس طهارة ضميره ما ينافى الخلوص فهذان النبيان عليهما السلام بتمام التوحيد و الخلوص دعوا ربهما و قالا (ربنا تقبل منا) و حيث ان الله تعالى وصفهما بانهما من العباد المخلصين الذين لا يتطرق الشيطنة و الوسوسة نحو ها فهما من المتقين الذين لا يتقبل الله بقبول حسن الامنهم.

فتحصل ان الكعبة مرفوعة القواعد على الخصوص و مقبولة لله تعالى بالتقوى و حيث ان هندستها التوحيد وعمرانها الخلوص و التقوى تشرفت باضافتها الى الله تعالى و صارت بيت الله الذى له ما فى السموات و الارض و رفيعة باذنه تعالى و يذكر فيها اسمه تعالى آناء الليل و اطراف النهار و صارت شجرة طوبى و ثمارها بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه من المساجد و المشاهد و نحوها.

الصلة الرابعة فى ان الكعبة طاهرة لا يمسها الا المطهرون

قد امر النبيان ابراهيم و ابنه اسمعيل عليهما السلام بتطهير الكعبة عن كل قذارة و لوث و تزكيتها عن كل رجس و رجز، قال تعالى: «و

---

(۱) سورة البقرة آية ۱۲۷

عهدنا الى ابراهيم و اسمعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين و الركع السجود».(١) و معه لا مجال لقذارة الوثن ولا للوث الوثنى و لا موقع لرجس الصنم و لالرجز الصنمى اذ العابد و المعبود كلاهما فى النار: «انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم».(٢) و هذا التطهير عهد الهى لا ينال الظالم كما لا يناله الظالم بل انما يناله الخليل و الذبيح و الكليم و المسيح و الحبيب و سائر الانبياء و المرسلين عليهم افضل صلوات المصلين.

و هذا البيت الطاهر بما فيه الحجر الاسود يمين الله الذى كلتايديه يمين(٣) فلا يمسها الايدى الدنسة و كما ان القرآن الكريم فى كتاب مكنون «لا يمسه الا المطهرون».(٤) اى لا يمس ظاهر القرآن و خطوطه المكتوبة الا المطهرون من الحدث و لا يمس باطنه و معارفه العليا الا المطهرون من الذنب هم الائمة من اهل بيت الوحى حيث قال تعالى: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا».(٥) كذلك الكعبة الطاهرة لا يطوف حولها و لا يستقبلها فى شؤنه الحيوية الا الطاهرون اذ الطيب للطيب كما ان الخبيث للخبيث.

و كما ان القرآن الكريم مرآة نقية يرى الناظر صورته الجميلة او القبيحة فيها و لذلك يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يضل به الفاسقين، كذلك الكعبة مرآة صافية يرى الناظر منظره الجميل او القبيح فيها يهدى بها الله من يشاء و يضل بها من يشاء و هم الذين نزل فيهم: و

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥

(٢) سورة الانبياء آية ٩٨

(٣) الفتوحات ج١ ص٦٦٦

(٤) سورة الواقعة آية ٧٨

(٥) سورة الاحزاب آية ٣٣

ما كان صلاتهم عند البيت الامكاء و تصدية(١) و هؤلاء لا يوفقون للطواف حولها و الصلاة نحوها و ما الى ذلك من الشؤن العبادية.

الصلة الخامسة فى ان الكعبة اقدم بيت وضع للناس

ان الارض برحبتها مسجد وطهور و كان الانسان من اقدم الدهور يعبد الله سبحانه فى اى قطر من اقطار الارض الا ان اول موضع اختص للتعبد الشعبي والتخضع الجمعى هو البيت الذى قد اسس على التوحيد بهندسة الوحى و عمارة النبوة و سدانة الامامة و تطهير الخلة، حيث قال تعالى: «**ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً و هدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم**».(٢)

و بهذه السابقة المقدسة و السالفة المباركة قدمت على البيت المقدس و صارت قبلة للعالمين و بذلك اجيب اعتراض اليهود على الاسلام عند نزول قوله تعالى: «**فولّ وجهك شطر المسجد الحرام**».(٣) حيث تمسكوا بقداسة البيت المقدس و قدمته فاجيبوا بان الكعبة المطهرة اول بيت وضع للناس و اقدمه.

و لعله لذا سميت بالبيت العتيق اذا العتيق يطلق على القديم النفيس فلا يطلق على ما لا قدمة له و كذا لا يطلق على القديم الذى لانفاسة و لا قداسة له بل انما يطلق على خصوص القديم الذى مر عليه الدهور و لم يبله و لم يدنسه شئ و لم ينجسه الجاهلية بانجاسها و لم يلبسه

(١) سورة انفال آية ٣٥
(٢) سورة آل عمران آية ٩٦
(٣) سورة البقرة آية ١٥٠-١٤٤

المدلهمات من ثيابها، لا ان مجرد القدمة التاريخية قد اورث النفاسة و صرف السبق الزمانى قد اوجب القداسة على ما يراه المتوسمون، حاشا المعارف الالهية ان يعطى القداسة شيئاً مر عليه الدهور فحسب و ان يهب النفاسة شيئاً بقى طول الدهر فقط، بل كما ان مدار الكرامة فى النظام الانسانى الالهى هو التقوى لا غير، كك محور القداسة فى النظام الخارجى من الازمنة و الامكنة و البيوت و نحوها هو تجلى امر الهى كنزول الوحى فيه و انتشاره منه، و هذا هو الموجب لقداسة الكعبة و هى بانضمامها الى القدمة التاريخية يوجب ان يصير بيتاً عتيقا و له ايضاً معنى آخر سيأتى فى موطنه.

الصلة السادسة فى ان الكعبة مدار العتق ومحور الحرية

كما ان الكعبة لقدمتها و نفاستها صارت عتيقاً كك لانعتاقها عن سلطة اى مالك و تحررها عن قهر اى سلطان صارت عتيقاً حيث انها لم يملكها احد(۱) و لم يسيطر عليها احد سيطرة المالك على المملوك ، فعليه يكون قدمته التاريخية بنفاستها و هكذا تحررها عن سلطة اى مالك موجباً لكونها عتيقاً بكلا الوجهين فتبين من ذلك انه لا يطوف حول هذا البيت العتيق و لا يستقبل نحوه الا العتقاء من سلطة الطغاة المردة و لا يولى وجهه شطره الا الاحرار منسيطرة الاهواء المردية و حيث ان عبدالشهوة اذل من عبدالرق لا يصير الانسان حراً ما لم يدع هذه اللماظة و لا يكون حراً ما لم يضع عنه اصره و الاغلال التى كانت عليه و ما لم يصر حراً لا يصلح لان يطوف حول البيت الحر و يستقبل نحو الكعبة العتيق لان

---

(۱) الوسائل ج۹ ص۳٤۷

الطيب لا يناله الا الطيب كما ان الخبيث لا يحن الانحو الخبيث.

و من ذلك يلوح مغزى قوله تعالى: «وليطوفوا بالبيت العتيق».(١) و قوله تعالى: «ثم محلها الى البيت العتيق».(٢) فمن تحرر من شح نفسه و افلح و صار حراً من عبودية غير الله يصير صالحاً للطواف حول البيت العتيق و الصلاة شطره و كذا الطواف حوله ينهى عن الرقية و الانظلام كما تنهى الصلاة عن الفحشاء و المنكر فالطائف حول البيت الحر لا يستعبد احداً كما لا يصير عبداً لاحد الا الله: لا تكن عبد غيرك و قد جعلك الله حراً.

و هكذا تضيحة الهدى و ابلاغه البيت العتيق يدرس الحرية و يورث التحرر عن كل رقية عدا رقية الله تعالى التى هى الفضيلة الوحيدة للانسان فعليه ان يعبدالله مخلصاً له الدين الواصب.

الصلة السابعة فى ان الكعبة مثابة للناس وامن لهم

قد جعل الله الكعبة مرجعاً و مثابة للناس يرجعون و يثوبون اليهافيما يعرض لهم من الامور الهامة و امناً لهم من اى خطر كان يصيب الذين يعيشون خارج الحرم، قال تعالى: «و اذ جعلنا البيت مثابة للناس و امناً».(٣) و قال تعالى: «اولم يروا انا جعلنا حرماً آمنا و يتخطف الناس من حولهم أفبا لباطل يؤمنون و بنعمة الله يكفرون(٤) ونطاق الكريمة الثانية هو كون الحرم امناً للناس و صوناً لهم عن الاختطاف و الاستلاب و

(١) سورة الحج آية ٢٩

(٢) سورة الحج آية ٣٣

(٣) سورة البقرة آية ١٢٦

(٤) سوره العنكبوت آية ٦٧

القتل و النهب و السبي و ما الى ذلك مما كان يفعله الطغاة الذين لاشعار لهم الاشعار قد افلح اليوم من استعلى ولا يهمهم امر اصلا بل قداهمتهم انفسهم و يظنون بالله ظن الجاهلية و يأكلون و يتمتعون كما تأكل الانعام.

و لكن الاصل فى ذلك كله هو الكعبة التى جعلها الله مثابة للناس و امناً لهم ثم بتشرفها جعل البلد اميناً و الحرم مأموناً و المكة مصونة و قد روى عن النبي صلى الله عليه و آله و الائمة عليهم السلام «انه حرم الحرم لعلة المسجد.(١)

و روى عن مولينا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال: من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن و من دخل البيت مستجيراً به من المذنبين فهو آمن من سخط الله و من دخل الحرم من الوحش و السباع و الطير فهو آمن من ان يهاج او يؤذى حتى يخرج من الحرم(٢) و كان هذا التأمين الالهى اجابة لبانى الكعبة ابراهيم الخليل عليه السلام حيث دعا ربه و قال: «**رب اجعل هذا بلداً آمنا**»(٣) و قال ايضاً «**رب اجعل هذا البلد آمنا**»(٤)

و لعل سر التفاوت فى التعبير هو بلحاظ كون ذينك الدعائين فى زمانين مختلفين احدهما قبل تحقق البلد و بناء مكة و ثانيها بعد بناء مكة و تحقق البلد.

و كيف كان فقد جعل الله البيت حراماً و وصفه به حيث قال فى

(١) وسائل ج٩ص٣٣٦
(٢) وسائل ج٩ص٣٣٩
(٣) سورة البقرة آية١٢٦
(٤) سورة ابراهيم آية٣٥

كتابه: «البيت الحرام»(١) و قال: «و من دخله كان آمنا»(٢) و من ذاك الاصل ما تنعم به قريش حيث انه تعالى اطعمهم من جوع و آمنهم من خوف.

الصلة الثامنة فى ان الكعبة البيت الحرام قيام للناس

ان المراد من القيام المطلوب فى قوله تعالى «قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموالله»(٣) هو المقاومة و الاستقامة لا الانتصاب البدنى و هو واضح و يقابله القعود بمعنى العجز و الاستكانة و الانظلام و لذا جعل الجهاد و القعود متقابلين حيث قال تعالى: «فضل الله المجاهدين باموالهم و انفسهم على القاعدين درجة»(٤) فالمجاهد الذى يجاهد اهوائه كما يجاهد اعدائه فهو قائم و الذى يتصالح مع هواه كما يصالح عدوه فهو قاعد والدين الالهى يتلخص فى قوله تعالى «قل انما اعظكم بواحدة» و هو يفيد الحصر اى لا موعظة الا بخصلة واحدة و هو القيام لله اى المقاومة لاحياء امر الله و الاستقامة فى امتثال حكمه و هذا هو المعبر عنه بالجهاد فالدين الالهى متبلور فى المجاهدة لا غير و الجهاد مع الاهواء والاعداء قيام واعطاء الاعداء باليد و التسليم لهم او الفرار منهم قعود و عجز.

و لعل التعبير عن المجاهدة بالقيام لانه من بين سائر الحالات و الشؤن اقوى الحالة و اشدها دفاعاً و اهيائها دعاً و دفعاً او تحاملا و تهاجاً

(١) سورة المائدة آية ٢
(٢) سورة آل عمران آية ٩١
(٣) سورة سباء آية ٤٥
(٤) سورة النساء آية ٩٧

فالدين قيام وجهاد لا يحوم حوله القعود و العجز كما قال تعالى: **«و لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط»** (١) حيث يدل على ان الهدف السامى للنبوة العامة السارية فى سير الانبياء الذين يسيرون عليها و يدعون اليها انما هو قيام الناس بالقسط (بالكسر) و تحرزهم عن القسط (بالفتح) و اجلى مراتب القيام بالقسط هو التوحيد لان الشرك ظلم عظيم لا عدل فيه اصلا ثم سائر مراتبه فى الاخلاق و الاعمال.

فاذا تبين ان الموعظة الالهية يتلخص فى القيام لله و ان غاية البعثة و الارسال و انزال الوحى هو قيام الناس بالقسط يلزم الغور الصادق فى معتمد هذا القيام و فى عمود هذه المقاومة و عماد هذه الاستقامة.

و الذى و رثناه من سلالة ابراهيم البانى لهذا البيت الحرام هو ان عامل قيام الناس و مقاومتهم تجاه الطغاة اللئام هو قيام الكعبة و حياتها و دوام امرها حيث قال **«مولينا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»** (٢) فحياة الكعبة هو حيوة الدين و بحياة الدين يحيى الناس و بخراب الكعبة و انهدامها و هجرها يموت الدين و بموته يموت الناس و الاصل فى ذلك كله هو قوله تعالى: **«جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس»** (٣)

حيث يدل على ان عمران الكعبة بالطواف حولها و الصلاة شطرها و الحج بمناسكها و جعلها قبلة يستقبل اليها فى الشؤن العبادية و نحوها هو العامل الهام لقيام الناس كما يدل على ان هدم الكعبة و هجرها بترك

---

(١) سورة الحديد آية ٢٥

(٢) وسائل ج٨ ص١٤

(٣) سورة المائدة آية ٩٧

الطواف حولها و الصلوة اليها و سائر ما يعتبر فيه الاستقبال هو الموجب لقعود الناس و عجزهم عن دفع الاهواء و الاعداء «**ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عن بينة**»(١)

فتحصل ان الكعبة للدين الالهى بمنزلة عظم الظهر و فقراته للانسان فاذاقامت و قويت و سلمت فقد امكن القيام و المشى و المقاومة و السرعة الى المغفرة والسبقة الى الخير و ما الى ذلك مما يتوقف على القيام المعتمد على عظم الظهر و سلامة فقراته و اذاعجزت و ضعفت و وهنت فقد تعذر القيام و امتنع الاستقامة و استحال السرعة و السبقة و نحو ذلك مما يتوقف على القيام و ذلك لكسر فقار الظهر و انثلام عماده و صيرورته فقيراً، اى المنكسر فقار ظهره بعد ان امكن ان يصير غنياً عن الغير و قائماً بنفسه اعتماداً على من هو عماد من لا عماد له و محترزاً بحرز من هو حرز لمن لا حرز له هو الله القائم على كل نفس بما كسبت الذى هو بكل شيء محيط وحفيظ و عند هجر بيت الله ينقطع الربط و بانفصامه لا يمكن القيام بالقسط و المقاومة مع القسط(بالفتح) فحينئذٍ يحرم و يمنع خير الدنيا و الاخرة لان الكعبة عامل قيام الناس لدينهم و معاشهم حسب ما افاده مولينا الصادق عليه السلام(٢)

فلذا قال رسول الله صلى الله عليه و آله «**من اراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت**»(٣) اى من اراد ان ينال فى الدنيا حسنة و فى الاخرة حسنة حيث يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و هكذا يناجى ربه «**ويقول ربنا آتنا من لدنك رحمة و هيىء لنا من امرنا رشداً**».

---

(١) سورة الانفال آية ٤٤
(٢) وسائل ج٨ ص٤١
(٣) وسائل ج٨ ص٤٠

فليقصد هذا البيت و ليجعله اماماً يأتم به و قدوة يقتدى بها و مقصداً يطلبه لان فى ضوئها خير الدنيا و الاخرة لان فى قيامها قيام الدين و بقيام الدين ينتفع فى الدارين و من اهم مظاهر الائتمام بالكعبة هو الحج بمناسكه و الطواف حولها باشراطها و الهدى البالغ اياها و نحو ذلك.

و مما تقدم تبين سرما ورد عن النبي صلى الله على و آله من ان: **«ايسر ما يعطى من ينظر الى الكعبة ان يعطيه الله بكل نظرة حسنة و يمحى عنه سيئة و يرفع له درجة»** (١) و **عن مولينا الصادق عليه السلام النظر الى الكعبة عبادة**(٢) و هكذا ما ورد عنه عليه السلام من التبرك بثياب الكعبة بجعلها للمصاحف(٣) و غير ذلك و ان الدخول فيها (اى فى الكعبة) دخول فى رحمة الله و الخروج منها خروج من الذنوب معصوم فيما بقى من عمره مغفور له ما سلف من ذنوبه و ان الداخل فيها يدخل و الله راض عنه و يخرج عطلا من الذنوب.

و هكذا ما ورد عن مولينا على بن ابيطالب عليه السلام... **«و الله الله فى بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا»**(٤) لان ترك بيت الله و هجره بمنزلة سقوط العماد الذى يسقط معه المتكى به فينكب عن الصراط «عن الصراط لنا كبون»(٥) و يهوى و يسقط **«و لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى و من يحلل عليه غضبى فقد هوى»**(٦)

و ما ورد عن مولينا محمد بن على الباقر عليه السلام: **«لا ينبغى لاحد ان يرفع بناء فوق الكعبة»**(٧) فكما ان الاسلام يعلو و لا يعلى عليه

(١و٢و٣) وسائل ج٩ص٣٦٤و٣٦٥وص٣٥٩

(٤) وسائل ج٨ص١٥

(٥) سورة المؤمنون آية٧٦

(٦) سورة طه آية٨٣

(٧) وسائل ج٩ص٣٤٣

كك الاسلام الممثل و هو الكعبة لايعلى عليه بناء و حيث انها قيام للناس جعلت فى وسط الارض ليكون الفرض لاهل الشرق و الغرب سواء(١)

و حيث انه لا شيء احب عندالله من الاسلام و هو متمثل فى الكعبة فلا بقعة فى الارض احب الى الله منها و لذا ورد عن مولينا الصادق عليه السلام **«ان الله اختار من كل شيء شيئاً و اختار من الارض موضع الكعبة»**(٢).

و السر فى ذلك كله هو ان الكعبة مثال للعرش الذى منه تدبير الاشياء كلها و مؤسسة على التوحيد المحض و مبنية و مرفوعة على الخلوص و طاهرة عن لوث الشرك لا يطوف حولها الا الطاهرون و اقدم بيت وضع للناس و ميزان الحرية و مثابة للناس و امن لهم و قيام للناس بالقسط و العدل و لذلك يقوم الدين ما قامت الكعبة و لا جله لم يختص بقوم دون قوم و ليس قبيلة اولى بها من قبيلة بل و لذلك لم يحكم فى شيء من الفضائل المارة بانها اى الكعبة مثابة للمؤمنين او قيام لهم و لم يخاطب المؤمنون بتعظيمها و نحو ذلك بل الخطاب او محور الكلام فى ذلك كله هو الناس بالعموم و الاطلاق من دون اى وصف و قيد كما تقدم مبسوطاً.

و من اهم مظاهر تلك السعة و الدعوة البالغة و النداء العالمى هو الحج حيث قال تعالى: **«و لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا»**(٣) حيث لم يقل يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الحج او اقيموا الحج و نحو ذلك مما ورد فى الصوم و الصلاة، بل اللسان العالمى قد نادى

---

(١) وسائل ج٨ص٨

(٢) وسائل ج٩ص٣٤٨

(٣) سورة ال عمران آية٩٧

بقوله و لله على الناس كما ان الاعلام العالمى منذ من بناء البيت كان متجهاً نحو الناس سواسية حيث قال: و اذن فى الناس بالحج، على ما ستقف عليه.

فتحصل ان الكعبة بنيان الهى للناس الاسود و الابيض و العاكف و الباد و الراجل و الراكب من دون خصوصية لاحد او لقوم او لاقليم فارتقب لما يتلى عليك من آيات الحج و العمرة فى الصلات القادمة و من هنا تبين ضرورة قيام الشعب طراً فى تطهير الكعبة المقدسة عن تولية الطغاة المردة و نجاتها من ايدى الاشرار المستولين على البيت الحرام و المنتعين به نفعاً تجارياً يبيعون الدين بالدنيا و هؤلاء هم السراق كما ورد عن مولينا الصادق عليه السلام: **«اما ان قائمنا لو قد قام لقد اخذهم فقطع ايديهم و طاف بهم و قال هولاء سراق الله»**(١)

و انت ايها المسلم اذا سمعت بان ولاية الكعبة كانت فى خزاعة الى زمن حليل الخزاعى فجعلها حليل من بعده لابنه و كانت تحت قصى بن كلاب و جعل فتح الباب و غلقها لرجل من خزاعة يسمى اباغبشان فباعه ابو غبشان من قصى بن كلاب ببعير و زق خمر و فى ذلك يضرب المثل السائر «اخسر من صفقة ابى غبشان»(٢) و مت على ذلك الماً و اسفاً لما كنت ملوماً. و هنا لك يتبلور قوله تعالى **«وعهدنا الى ابراهيم و اسمعيل ان طهرا بيتى»**(٣) و هذه هى ملة ابراهيم عليه السلام التى لا يرغب عنها الا من سفه نفسه.

و حيث ان رسول الله و الذين آمنوا معه اولى بابراهيم الذى طهر

---

(١) وسائل ج٩ ص٣٥٥

(٢) الميزان ج٣ ص٣٩٩

(٣) سورة البقرة آية ١١٩

بيت الله عن اى رجس و رجز فعلى الامة الاسلامية اليوم ان يطهروا بيته تعالى عن كل لوث و قذارة شرقية كانت او غربية فكما ان العقل ما يعبد به الرحمن و يكسب به الجنان فكل ما لا يكسب به الجنان و لا يعبد به الرحمن بل يكسب به الدنياء الجائفة و يعبد به الطاغوت فهو ليس بعقل بل سفاهة.

و لقد اجاد سيدنا الاستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى قدس سره فى تفسيره القيم عند بيان قوله تعالى «**و من يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه**» حيث قال ره... و من هذه الاية يستفاد معنى ما ورد فى الحديث «**ان العقل ما عبد به الرحمن انتهى**»(١)

و انت اذا شاهدت اليوم ما ابتليت به الكعبة المعظمة من استيلاء الطغاة عليها لاستبان لك معنى قول مولى الموحدين على بن ابيطالب عليه السلام فى كتابه الى مالك ... «**ان هذا الدين كان اسيراً فى ايدى الاشرار يعمل فيه بالهوى و يطلب به الدنيا**»(نهج البلاغه) فعلى الشعوب الاسلامية ان يحققوا ما حققه ابراهيم و يبطلوا ما ابطله و ذلك انما يتجلى بالحج و العمرة على ما يرضاه الله و رسوله و على ما حج و لبى خاتم النبيين حيث قال: «**خذوا عنى مناسككم**»، و هو صلى الله عليه و آله اخذ مناسكه من جبرئيل حسبما تقدم.

الصلة التاسعة فى ان حرمة الكعبة وعزتها لحرمة الحق وعزته

قد تبين فى ثانياً الصلات المارة ان للكعبة حرمة تختص بها و عزة لا توجد فى غير ها من البقاع و الابنية و لكن يلزم الفحص عن منشأ

(١) الميزان ج١ ص٣٠٣

حرمتها و عزتها هل هى بما انها كعبة و بيت خاص فى مكان مخصوص حرام و عزيز او ذلك بما انها مثال للحق و مجلى لظهوره و وعاء للوعى و مهبط للوحى و غير ذلك مما يحيى الحق و يموت الباطل؟ و الحاصل هل حرمتها لذاتها او لظهور الحق منها؟

و ليعلم ان مما قام البرهان العقلى عليه هو لزوم انتهاء ما بالعرض الى ما بالذات دفعاً للتسلسل وصوناً عن الدور و من ذلك ما يشاهد فى القرآن الكريم انه و ان ينطق بان العزة لله و لرسوله و للمؤمنين و لكن يهتف بان عزة غير الله تعالى ينتهى الى عزته حيث يقول العزة لله تعالى و هكذا فى القوة حيث ينطق بقوله تعالى «**خذوا ما اتيناكم بقوة**»(١) و بقوله «**يايحيى خذ الكتاب بقوة**» (٢) و بقوله «**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة**»(٣) و بقوله «**انى عليه لقوى امين**»(٤) و ما الى غير ذلك و لكنه ينادى باعلى صوته «**انّ القوة لله جميعاً**»(٥) و هكذا فى الشفاعة و نحوها من الامور الوجودية حيث انها برمتها تنتهى الى الحق الذى له الاسماء الحسنى بالذات.

و مما يتفرع على هذا الاصل الذى توافق فيه البرهان و القرآن هو لزوم انتهاء ما للكعبة من الحرمة و العزة الى حرمة الحق و عزته بحيث لو دار الامر بين هدم الكعبة و تخريبها و هدم الحق يلزم هدم الكعبة تضحية للحق و فداء له للزوم تضحية ما بالعرض وقاية لما بالذات. و لنشر الى نبذ من ذلك فنقول: ان للحرم احكاماً تحكى عزته و تدل على فضله من

---

(١) سورة البقرة آية ٦٠

(٢) سورة مريم آية ١٣

(٣) سورة الانفال آية ٦٢

(٤) سورة النمل آية ٣٩

(٥) سورة البقرة آية ١٦٠

عدم جواز الدخول فيه بلا احرام و من عدم جواز دخول غير الموحد فيه و من عدم جواز اخذ اللقطة منه على رأى و من عدم جواز الصيدفيه و من عدم جواز اجراء الحدود فيه الامن لم يراع حرمته و ارتكب الفحشاء فيه و من عدم جواز قطع شجره و قلع نبته و غير ذلكمن الا ثار الخاصة الدالة على شرفه نظير ما للمسجد الحرام الذى سواء العاكف فيه و الباد.

و لكن ذلك كله لحرمة الكعبة و عزتها ويشهد له ما ورد عن اميرالمؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام انه سئل الوقوف بالجبل لم لم يكن فى الحرم فقال لان الكعبة بيته والحرم بابه فلما قصدوه و افدين وقفهم بالباب يتضرعون قيل له فالمشعر الحرام لم صار فى الحرم قال لانه لما اذن لهم بالدخول وقفهم بالحجاب الثانى فلما طال تضرعهم بها اذن لهم بتقريب قربانهم فلما قضوا تفثهم تطهروا بها من الذنوب التى كانت حجاباً بينهم وبينه اذن لهم بالزيارة على الطهارة قيل فلم حرم الصيام ايام التشريق قال لان القوم زوار الله فهم فى ضيافته ولا يجمل بمضيف ان يصوم اضيافه قيل فالتعلق باستار الكعبة لاى معنى هو قال هو مثل رجل له عند آخر جناية و ذنب فهو يتعلق بثوبه يتضرع اليه ويخضع له ان يتجا فى له عن ذنبه(١)

فالحرم و كذا مكة و البلد الامين و ان كان له حرمة لا توجد فى غيره من الامكنة و هكذا للشهر الحرام و الهدى و القلائد حرمة خاصة (٢)

الا ان ذلك كله لحرمة الكعبة البيت الحرام نظير ما يقال فى ان الحرم قبلة لمن فى خارجه و المسجد الحرام قبلة لمن فى الحرم و الكعبة قبلة لمن فى المسجد الحرام حيث انه ليس المراد عند التحقيق ان القبلة امور متعددة و

---

(١) وسائل ج٨ص١٥٩و١٦٠

(٢) فى سورة المائدة آية٢و٩٨

كلها قبلة بالذات بل المراد هو ان الكعبة و حدها قبلة و لاغير لا الحرم قبلة و لا المسجد الحرام قبلة لاحد اصلا و كذا الجهة و السمت ليس قبلة لاحد ابداً بل القبلة الوحيدة للاحياء و الاموات هى الكعبة لاغير الا ان صدق الاستقبال يختلف باختلاف الموارد فالاستقبال مختلف حسب اختلاف الموارد لا ان القبلة متعددة و ان كان الحق هو ان البعد الخاص و الحيز المخصوص الذى شغلته الكعبة هو القبلة من تخوم الارض الى عنان السماء لا ان الجرم الخاص و البناء المخصوص قبلة بذاته حتى يلزم فقد القبلة عند هدم الكعبة بالسيل او الزلزلة او غير ذلك.

و كيف كان فحرمة البلدة التى حرمها الله الذى له كل شىء بحرمة الكعبة الا ان حرمة الكعبة و عزتها لا لانها احجار خاصة بل لانها قيام الناس بالقسط الذى هو الهدف السامى لبعثة الانبياء و لا نها قبلة للعباد و مطاف للحجاج و يكون مداراً لبقاء الدين الالهى مابقيت «**لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة**» فمن ارادها بسوء و شاء ان يزيل الدين بهدم الكعبة و يميت العبادة بتخريبها و يمحو الطواف و الزيارة بقلعها و يمحق القيام بالقسط بازالتها و بالجملة فمن يرد فيها بالحاد بظلم يذقه الله بعذاب اليم لا يبقى و لا يذر، الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم فى تضليل و ارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.

و لم يكن ذلك نادرة اتفاقية او صدفة تاريخية او بارقة خاطفة تظهر طول الدهر مرة و ينمحى اخرى بل هى سنة الهية لا تجدها تبديلا و لا تحويلا حسب ما اسسه القرآن الكريم على النهج القاطع العام و الحكم الالهى الدائم انه من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم. و هذا كالتعهد الالهى فى صيانة القرآن الكريم عن التحريف و قال «**انه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم**

حميد»(١) و بين سر تحفظه عن تطرق الباطل وصيانته عن النسخ و التحريف و المحوبانه تعالى قد تكفل لحفظه حيث «**قال انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون**»(٢)

فعلى هذا الاصل الذى اصله القرآن الكريم يكون حرمة الكعبة زادها الله شرفاً لحرمة الحق الذى لا يزهق و لحياة الدين الذى لا يموت و لدوام الوحى الذى لا ينسى عهداً من الله فمن اراد الكعبة بسوء و كان فى أمنيته محو الحق يعذبه الله بعذاب بئيس لا اختلاف فيه و لا تخلف عنه.

و اما من تحصن بالكعبة و التجاء اليها و لاذبها و تمسك باستارها و لكنه لم ينصر الحق و لم يخذل الباطل و لا يغيث مستغيث الحق و لا يلبي منادى الحرية و لا يجيب هتاف الاستقامة و لا يسمع دعاء داعى القسط و ليس له اذن واعية تعى الحق الصراح و لا يد باسطة تبطش الباطل و لا رجل ثابتة تتد فى الارض و لا رأس يعير الله جمجمته و بالجملة لا يعرف امام زمانه و يكون حياته كموتة جاهلية لان الموت على وزان الحياة كما تموتون تبعثون فمن كانت موتته ميتة جاهلية تكشف ان حياته كانت جاهلية، فلا لياذلمثله و لا امان له اصلا بل يسلط الله عليه من لا يرحمه و ان كان بهدم الكعبة و تخريبها.

كما ابتلى به ابن الزبير الذى لم يعرف امام زمانه الحسين بن على عليهما السلام و ابنه على بن الحسين عليه السلام و لم ينصره على الحق الذى قام به و لم يخذل الباطل الذى ركزه بين اثنتين بين السلة و الزلة و لم يسمع هتافه الملكوتى «**هيهات منا الذلة**» و لم يلب ندائه الالهى بانه

(١) سورة فصلت آية ٤٢ و ٤١

(٢) سورة الحجر آية ٩

على الاسلام السلام اذبليت الامة براع مثل يزيد و لم يجب دعوته الربانية بان من كان باذلا فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا و هكذا لم يعن سيد الساجدين حيث يقول انا بن مكة و منى انا بن زمزم و صفا ثم التجىء الى الكعبة و تعلق باستارها فلا يعينه الله بالغيب بل يمهل الظالم ان يهدم الكعبة و يسيطر عليه و يصلبه **«كذلك نولى بعض الظالمين بعضاً»**(١)

لان المقصود هناك لم يكن هو هدم الكعبة بما انها قبلة للمسلمين و مطاف لهم و مهبط للوحى و معدن للوعى بل القصد هناك الى السيطرة على ابن الزبير المتحصن بها و اللاجى اليها.

و من تلك الحادثة يعرف قدر الامام و حرمة الولاية و عزة الخلافة الالهية كما ان بالتحليل العقلى يعرف قدر الحق و بهائه و جماله و جلاله و كبريائه و مشيئته المستولية على كل شىء و سلطانه الذى ملأ كل شىء فانتهت تلك الحرمات التى كانت للحرم و البلد الامين الى الكعبة و من الكعبة الى الامام الذى يتولاه الله الذى هو ولى الصالحين ثم منه الى الحق الولى الذى يخضع له كل شىء فلئن امهل الله الظالم حتى هدم الكعبة فليس ذلك نقضاً لقوله تعالى **«و من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم»**(٢)

فتدبر حتى تجد الميز بين ابرهة و بين ابن الزبير و الحجاج اذ ذاك الغاشم اراد الكعبة بسوء هدماً للقبلة و المطاف اذ كانت حينذاك قبلة للحنفاء و مطافاً لهم كما لغيرهم و هذا الظالم اى الحجاج المسلط على ظالم آخر مثله لم يرد الكعبة بسوء بما انها قبلة و مطاف و لم يشاء ان يمحق

---

(١) سورة الانعام آية ١٢٩

(٢) سورة الحج آية ٢٦

الاسلام و الدين الحنيف و ان لم يكن له دين و كان ممن لا يخاف المعاد و لكن لم يكن قصده حينذاك الا السيطرة على الظالم الذى لم يعرف امام زمانه القائم بالحق والداعى الى القسط المنادى بالحرية الهاتف بالحكومة الاسلامية القائل قوله السديد لا اعطيكم بيدى اعطاء الذليل و لا افر فرار العبيد الباذل مهجته فى الله ليستنقذ عباده من الجهالة و حيرة الضلالة المعتصم بحبل الله المتين الذى لا انفصام له و المنقطع عن غيره قائلا بمقاله العتيق: لو لم يكن لى فى الدنيا ملجأ و لا ماوى لما بايعت يزيد بن معاو ية. و ذلك القائل هو سيدنا و مولينا سيد الشهداء الحسين بن على عليهما السلام.

فتحصل ان الحرمة لله تعالى بالذات و لغيره بالعرض و ان العزة للحق الذى من صارعه صرعه بالذات و لغيره المتحقق به بالعرض و ان القوة لذى القوة المتين بالذات و لغيره بالعرض و ان القدرة للقدير المحض بالذات و لغيره المقتدر به بالعرض فحان ان يحترم المسلمون بحرمة الله و يعتزوا بعزة الحق و يتقووا بقوته و يقتدروا بقدرته و بالجملة فليتخلقوا باخلاقه حتى لا يظلموا و يكونوا انصار الله كما قال عيسى للحواريين من انصارى الى الله و يأخذوا ما اتاهم الله و رسوله بقوة القلوب و قوة الابدان كما اخذ يحيى الزاهد كتاب الله بقوة و استشهد فى سبيله.

و من اهم مجالى هذا الامر و معالى هذه النهضة العالمية هو الحج الذى ندب الناس اليه من اقطار العالم و هو فرار و هجرة الى الله كما تقف عليه.

الصلة العاشرة فى ان الحج من اهم مظاهر الاسلام

ان للاسلام قواعد و مبانى يبتنى عليها و يتكى بها و ينهدم دونها و لا

يبقى له بدونها الا الاسم العارى عن المسمى و من تلك المبانى الحج حيث يقول مولينا محمد بن على عليه السلام: «**بنى الاسلام على خمس الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج و الولاية**»(۱) فمن ترك الحج متعمداً فقد هدم ركناً من اركان دينه الالهى فينهدم معه الاسلام الكامل و لذا قال تعالى فى تركه عامداً... «**ومن كفر فان الله غنى عن العالمين**».

حيث عبر عن تركه العمدى بالكفر فتارك الحج عمداً كافر عملا و ان لم يكن كافراً ايماناً و اعتقاداً.

و حيث ان الحج من مبانى الاسلام فجميع ما ورد فى شأنه لابد و ان يتبلور فى الحج و يكون الحج ممثلا اياه و مجلى لظهوره.

و من اعلى اوصاف الاسلام و اهمها امران: احدهما الكلية، و ثانيها الدوام، يعنى ان الاسلام دين الهى كلى يسع جميع افراد الانسان من الاسود و الابيض والاحمر و غيرهم اذالناس فيه سواسية كاسنان المشط و كذا القبائل و الشعوب فيه شرع سواء بحيث لا يشذ من ذلك احد و لا يغيب منه قوم و لا يعزب منه شعب و هكذا يسع عمود الزمان غابره و قادمه الى يوم القيمة.

فهو كلى جامع للافراد و الشعوب باسرهم و دائم باق فى امتداد الزمان الى انقضائه بطى ما هو عامله و قبض ما هو موضوعه اى السماء و الارض حيث يقول تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب و يقول تعالى و السماوات مطو يات بيمينه و الارض قبضته يوم القيمة.

فلا يبليه الدهر و لا يدرسه الليالى و الايام بل هو كل يوم غض و طرى لا ميز فيه بين السابق من الزمان و اللاحق منه لانه امر الهى مسيطر على الزمان و مهيمن على الحركة و فائق على المادة فيكون مصوناً

---

(۱) جامع احاديث الشيعة ج۱ ص۱۲۷

عن الزوال بل هو باق ما بقى الدهر كما كان موجوداً فيما تقدم من الدهور الغابرة و الايام الخالية منذكان على الارض انسان اذ لابد لكل انسان من دين الهى و لا دين الهى الا الاسلام حيث يقول الله **«ان الدين عندالله الاسلام»**(١)

فالذى يهمنا الآن هو بيان هذين الاصلين اى كلية الاسلام و دوامه اولا و بيان كون الحج من حيث انه من مبانى الاسلام الهامة صالح لتجلى ذينك الاصلين فيه بل هو من اهم مظاهر ذلك ثانياً.

اما الاول فالقرآن ينادى بان الدين عندالله هو الاسلام و ان غيره من الاديان منحولة مردودة **«و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه»**(٢) و انه مطابق للفطرة الالهية **«التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم»**(٣)

و كذا يهتف بان الله تعالى **«نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً»**(٤) و بانه **«ذكر للعالمين»**(٥) و يصرح بانه لا هادى الا الله **«و كفى بربك هادياً و نصيراً»**(٦) **«قل ان هدى الله هو الهدى»**(٧)

بل القرآن فى بادىء امره قد اعلن فى عتائق سوره بهذين الاصلين اى الكلية و الدوام حيث يقول «ان هو الا ذكر للعالمين»(٨) حيث يدل

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩

(٢) سورة آل عمران آية ٨٠

(٣) سورة الروم آية ٣٠

(٤) سورة فرقان آية ١

(٥) سورة القلم آية ٦٨

(٦) سورة الفرقان آية ٣١

(٧) سورة الانعام آيا ٧١

(٨) سورة التكوير آية ٢٧

على ان ماجاء به النبي صلى الله عليه و آله لا شأن الا ذكراً و هدى للعالمين.

و البرهان على ما نطق به القرآن هو ان الموجود المعلول كما يحتاج فى اصل وجوده الى علته التامة التى يجب بها و يمتنع دونها كك فى بقائه و دوامه يفتقر اليها يبقى ببقائها و يدوم بدوامها. فاذا كانت العلة التامة باقية بحالها و مصونة عن التحويل و التبديل و محفوظة عن التغيروا لزوال يكون المعلول باقياً كك الا ان يتحول شأن من شؤن تلك العلة التامة مما يرجع الى العلة القابلة او الفاعلة بحيث لم يبق نصاب العلية التامة على حالها فحينئذٍ يتطرق التغير الى المعلول و يتحول من حال الى حال اخرى مما يقتضيه العلة التامة الاخرى على ما فى موطنه.

و فى ضوء هذا الاصل الحكمى يتبين ضرورة بقاء الاسلام مابقى على الارض انسان و ذلك لان الانسان موجود حى متفكر و مختار و لا بدله من ان يتكامل كغيره من الموجودات الطبيعية التى لابد لها ان يتحول و يتكامل لاحتياجها فى التحقق و البقاء الى الكمال و الا فينعدم و لا كمال الا ما يعطيه الكمال المحض و هو الله الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى فالمكمل هو رب العالمين و لا غير لان التكميل و التربية نوع خلقة حيث انه ايجاد الربط الخاص بين شيئين او مستلزم للخلقة اذ الخالق يقدر و يعلم ان يرب و يكمل مخلوقه لا غيره و هداية الموجود الحى المتفكر المختار و تربيته و تكميله لا يكون الا بهدايته الى العلم و العمل الصالح اى العقيدة و العمل الصالح و هذا هو الدين فالانسان محتاج الى دين يبينه الله و يهديه اليه و ان ابتغى ديناً من عنده او من عنداى انسان آخر فلن يقبل منه اى لا يتكامل به بل ينكب عن الصراط السوى و يهوى الى مكان سحيق.

و هذا الدين الالهى المعبر عنه بالاسلام موجود ممكن فله علة تامة

يجب بها و يمتنع دونها و علة التامه مؤلفة من فطرة خاصة فطرالناس عليها يكون هى العلة القابلة و من هداية الهية يكون هى العلة الفاعلة بل الفاعل هو الله الذى كفى به هادياً و نصيراً كما ان القابل هو الانسان بما له من فطرة مخصوصة مفطور عليها فاذا تحققت هذه العلة التامة المؤلفة من الفطرة القابلة و الربوبية الفاعلة يجب تحقق المعلول بها فما دامت تلك العلة التامة باقية يجب بقائه بها ايضاً.

و حيث ان الانسان نوع تام لا ميز بين اصنافه و افراده الابعوارض خارجية لامساس لها فى التقويم و لا احتياج للانسان اليها فى التقوم و لا دخل لها فى اصل الهداية و ضرورتها و ان كان لها مساس فى فروعها و آدابها و سنتها المنشعبة من ذاك الاصل الثابت فهو اى الانسان له نوعية تامة منحفظ بحاله لا يمسه التغير و لا يطرء عليه التحول النوعى بحيث يصير غير الانسان من الانواع التامة الموجودة فى عرضه و ان يتكامل فى سيره الجوهرى الى نوع آخر فوقه او دونه بمعنى انه انسان صار راقياً او هاوياً(١) مع صدق الانسانية عليه بعد. و الحاصل ان اختلاف الاعراض و العوراض لا يوجب انثلام وحدته النوعية و لا يكثر وحدته الفطرية مادام هو انسان فالانسان بما له فطرة خاصة فطره الله عليها انسان طول الدهر و لا تبديل له كما بينه خالقه الذى اعلم به من نفسه فضلا عن غيره حيث قال... «**فطرت الله التى فطرالناس عليها لا تبديل لخلق الله**»(٢)

فتبين ان العلة القابلة باقية ما بقى على الارض انسان كما كان كك ايضاً فيما مضى من الدهر حيث يقول تعالى: «**شرع لكم من الدين ما**

---

(١) الصحيفة السجادية دعاء١

(٢) سورة الروم آية ٣٠

وصى به نوحاً... الخ»(١) و اما العلة الفاعلة فهو الله الذى لا يمس كرامته التغير اصلا لان ذاته عين الحيوة التى لا موت فيها و النور الذى لاظلام فيه و العلم الذى لا جهل فيه و القدرة التى لا عجزلها لانه الحى الذى لا يموت و لانه نور السموات و الارض فلا انمحاء له و لانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض و لا فى السماء فلا يخفى عليه خافية و لا يضل و لا ينسى و ما كان ربك نسياً و لا نه بكل شىء قدير فلا يعجزه شىء اصلا و لا يمسه فى خلق شىء غى و لا لغوب ابداً فهو العالم بمصالح الانسان و مفاسده و هو القادر على تعليمه اياه و هدايته الى رقيه و تحذيره عن هو يه و بيان درجاته و اعلام دركاته اعاذنا الله من شرور انفسنا و سيئات اعمالنا.

و الحاصل ان الله تعالى لا يسنح له حال دون حال و لا يحجبه شىء عن شىء و لا يحجب عنه شىء فلا الصغر يمنعه عن الاحاطة العلمية به و لا البعد يحجبه عن الشهود و لا الحجاب يمنعه عن الحضور و لا الظلمة تصده و تحجبه عن الظهور بل هو تعالى عالم بالصغير كالكبير و شاهد للبعيد كالقريب و حاضر فى المحجوب كالمشهور و ظاهر فى الظلمة كالنور حيث يقول عز من قائل... **«يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير»**(٢)

يعنى ان صغر الخردلة و حجاب الصخرة و بعد السموات وظلمة الارض لا يمنع اللطيف الخبير عن الشهود التام لانه لطيف و كل لطيف خبير و لانه خبير و كل خبير لطيف لان كل لطيف و مجرد فهو عالم و

(١) سورة الشورى آية ١٣

(٢) سورة لقمان آية ١٦

كل عالم فهو لطيف ومجرد حسبما بينه الحكمة الالهية فى موطنها.

و السر فى ذلك كله انه تعالى هو الاول قبل كل شىء فلا يسبقه شىء اصلا حتى يكون السبق موجباً لغيبة السابق عن المسبوق و هو الاخر بعد كل شىء فلا يلحقه شىء اصلا حتى يكون اللحوق مانعاً عن شهود اللاحق و هو الظاهر فلا ظهور لغيره الا به فلا يظهر عليه شىء ابداً حتى يكون ظهوره الفائق قاهراً على ظهوره تعالى فيكون حجاباً نورياً له تعالى عن الحضور و هو الباطن فلا بطون لغيره بحيث يكون خافياً له تعالى حتى لا يكتنهه بل هو مع كل شىء و داخل فى الاشياء لا بالممازجة و خارج عنها لا بالمزايلة و هو الذى فى السماء اله و فى الارض اله و لذا يعلم عجيج الوحوش فى الفلوات و اختلاف النينان فى البحار الغمرات و معاصى العباد فى الخلوات.

فتبين بذلك انه يمتنع فرض الجهل او السهو فى حقه تعالى بحيث لم يكن عالماً فى هداية الانسان و تبيين احكامه فى امر ماثم صار عالماً به حتى يكون هو الموجب لتغير الدين الالهى و هكذا فى السهو والتذكر فحينئذ لا مجال لتوهم التغير فى الدين الوحيد اى الاسلام من ناحية القابل او الفاعل اصلا و يشهد له قوله تعالى: «**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذى اوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه**».(١)

حيث يدل على ان الدين المشروع للانبياء العظام واحد لا اختلاف فيه و لا تخلف و ان الامم بأسرهم مأمورون باقامة ذلك الدين الوحيد و منهيون عن التفرق و الاختلاف اذ الانبياء اخوة امهاتهم شتى و دينهم واحد. و كل لا حق منهم مصدق لسابقه حتى انتهى الامر الى افضلهم و

(١) سورة الشورى آية ١٣

خاتمهم محمد صلى الله عليه و آله الذى كان مصدقاً لما بين يديه و مهيمناً اى شرفاً و مسيطراً على ما تقدمه.

و اما اختلاف الشرائع و المناسك و المناهج الذى قال تعالى فيه: «و لكل جعلنا شرعة ومنهاجاً»، فمآله و مرجعه الى التخصيص لا النسخ يعنى ان الشرائط الخاصة التي يعترى المجتمع الانسانى تستدعى حكما فرعياً و قانوناً جزئياً يختص بتلك الشرائط و ينقضى امده بانقضائها و هذا ليس من باب النسخ اصلا بحيث يدل على ظهور فساد ما كان سابقاً بل جميع ما ورد من الاختلافات الفرعية فى الشرائع فانما يكون من باب التخصيص الزمانى لا النسخ بمعنى ظهور نقص ما تقدم او عيبه او فساده و نحو ذلك لانه تعالى حق و لا يقول الا الحق حيث قال: «و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل»(١).

الى هنا نجز الكلام فى الامر الاول الباحث عن الاصلين و هما كلية الاسلام و دوامه.

* * *

اما الثاني الباحث عن كون الحج من حيث انه من المبانى الهامة للاسلام صالح لتبلور ذينك الاصلين فيه فبيانه فيما يلى من الجهات:

الجهة الاولى فى ان الحج توحيد ممثل

ان العبادة اية عبادة كانت يعتبر فيها الخلوص «الا لله الدين الخالص»(٢) الا ان تجلى ذاك الخلوص فى بعضها اظهر و طرد الشرك فى

---

(١) سورة الاحزاب آية ٤

(٢) سورة الزمر آية ٣

بعضها اقوى و اجلى و من ذلك الحج حيث ان التوحيد قد تمثل به وصار هو باسره من البدو الى الختم مثالا للتوحيد و طرداً للشرك و قد جعل ترك الحج كفراً حيث قالى تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين»(١) حيث يشعر بان الحج نفسه ايمان و توحيد و ان تركه كفر اى كفر عملى.

و عن مولينا الصادق عليه السلام فى دعاء سفر الحج بعد كلمات الفرج... «بسم الله دخلت بسم الله خرجت و فى سبيل الله الى ان قال: فانما انا عبدك و بك و لك»(٢) و الخبير المتضلع بلسان الدعاء يعرف الميز بين قوله فانما انا عبدك و بك و لك و بين غيره من الادعية و الاوراد اذالمهم هنا ذات الله تعالى و لقائه لا اسم من اسمائه الحسنى فالحج هو سير الى الله و سلوك الى لقائه و تعالى الى قرب من هودان فى علوه وعال فى دنوه و تكامل الى جوار من هو اقرب الينا من حبل الوريد و لا يتقرب العبد من مولاه الا بالتوحيد الواصب الخالص و طرد الشرك الجلى و الخفى.

«و عنه عليه السلام: حج موسى بن عمران و معه سبعون نبياً من بنى اسرائيل... يلبون ويجيبهم الجبال ويقول لبيك عبدك ابن عبدك .

و عنه عليه السلام فى التلبية ان يقول: لبيك اللهم لبيك۔ لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك لبيك۔ لبيك ذا المعارج لبيك۔ لبيك داعياً الى دارالسلام لبيك لبيك غفار الذنوب لبيك۔ لبيك اهل التلبية لبيك لبيك ذاالجلال و الاكرام لبيك۔ لبيك تبدى و المعاد اليك لبيك لبيك تستغنى و يفتقر اليك لبيك۔ لبيك مرهوباً و مرغوباً اليك لبيك۔ لبيك اله

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٧

(٢) وسائل ج٨ ص ٢٧٩

الخلق لبيك. لبيك ذا النعماء و الفضل الحسن الجميل لبيك. لبيك كشاف الكرب العظام لبيك. لبيك عبدك و ابن عبديك لبيك. لبيك يا كريم لبيك. الى ان قال عليه السلام تقول: ذلك فى دبر كل صلاة مكتوبة و نافلة و حين ينهض بعيرك و اذا علوت شرفاً او هبطت و ادياً او لقيت راكبا او استيقظت من منامك و بالاسحار و اكثر ما استطعت و اجهر بها... واعلم انه لابد من التلبيات الاربع التى كن فى اول الكلام و هى الفريضة و هى التوحيد و بها لبي المرسلون و أكثر من ذى المعارج فان رسول الله صلى الله عليه و آله كان يكثر منها و اول من لبي ابراهيم عليه السلام الخ(١)

و عن مولينا ابى جعفر عليه السلام انه سئل لم سميت التلبية تلبية قال عليه السلام اجابة اجاب موسى ربه(٢) وعن مولينا الصادق عليه السلام فى اشعار البدنة الذى هو بمنزلة التلبية فى بعض اقسام الحج انه قال عليه السلام... «ثم قل بسم الله اللهم منك و لك اللهم تقبل منى»(٣) الخ حيث انه ناظر الى ما تقدم من انما يرومه الحج هو لقاء الله و طرد غيره اى غير كان و فى دعاء الاحرام... «اللهم انى اسألك ان تجعلنى ممن استجاب لك و آمن بوعدك و اتبع امرك فانى عبدك و فى قبضتك لا اوقى الا ما وقيت و لا اخذ ما اعطيت».(٤)

و حيث ان التلبية اجابة لله خالصة تخسف بالاخابث و تطرد كل شيطان ما رد و خبيث كما قال الصادق عليه السلام: «هيهنا يخسف بالاخابث»(٥) كما خسف بقارون و كنوزه و حيث ان الحج توحيد

---

(١) وسائل ج٩ص٥٣

(٢) وسائل ج٩ص٤٨

(٣) وسائل ج٨ص١٩٩

(٤) وسائل ج٩ص٢٣

(٥) وسائل ج٩ص٤٩

صراح لا شرك فيه بل يطرد فيه كل ما كان او يكون صنماً او وثناً يظهر سر استحباب دخول المسجد الحرام من باب بنى شيبه و هو انه لما علا على عليه السلام ظهر رسول الله و رمى بـ(هبل) من ظهر الكعبة دفن عند باب بنى شيبه فصار الدخول الى المسجد من ذاك الباب سنة كما بينه مولينا الصادق عليه السلام.(١)

و هذا اى جعل هبل تحت الاقدام و المشى عليه مثال عال و تمثل غال لجعل الشرك نسياً منسياً و اماتته ميتة سوء حيث ان الحق اذا تجلى لا يبقى معه مجال للباطل السابق او اللاحق: «**قل جاء الحق و ما يبدئ الباطل و ما يعيد**»(٢) يعنى ان الحق لا يأتلف مع الباطل فلا موقع له سواء كان عوداً للباطل السالف او بدواً للباطل السانح فلا اعادة للباطل و لا ابتداء له مع الحق اصلا و ظهور التوحيد و تجليه البالغ فى الاحرام و هو التجرد عن غير واحد مما هو زينة الحياة الدنيا لائح لا سترة فيه و تمثل الحشر و المعاد الذى هو العود الى المبدء بالاحرام بين لا خفاء فيه و سيظهر بعض معالى التوحيد عند بيان سائر ما للحج من المناسك و السنن فارتقب.

و الحاصل ان الحج توحيد ممثل و التوحيد هى الفطرة التى فطر الله الناس عليها لا تبديل لها فعليه يكون الحج من اهم مظاهر الاسلام و مجلى للاصلين المتقدمين اى الكلية و الدوام و لذا تداولته الامم و الاقوام و لم تطاوله الاعوام و الايام طول الدهر.

و مما يرشدك الى ان الحج توحيد ممثل هو ان من اركانه الهامة هو الطواف و هو عبادة خاصة يتجلى فيها قوله تعالى: «**اينما تولوا فثم وجه**

---

(١) وسائل ج٩ص٣٢٣

(٢) سورة سباء آية ٤٩

الله». بخلاف الصلاة التی یتحتم فیها قوله تعالی: «فاینما کنتم فولوا وجوهکم شطر المسجد الحرام.»

و بیان ذلك هو ان المعتبر فی الصلاة المکتوبة استقبال الکعبة و التوجه الیها دون غیرها من الجهات و اما المعتبر فی الحج هو السیر حول الکعبة و الطواف علی محورها فی ایة جهة کانت من الجهات الاربع و الی ایة جهة منها فالحاج یری «اینما تولوا فثم وجه الله» و المصلی یری «ولوا وجوهکم شطر المسجد الحرام» و کم بینهما من المیز. و کذا من الواجبات الهامة فی الحج هو السعی بین الصفا و المروة و هو هرولة خاصة من الله و الی الله و فرار منه الیه و هجرة منه الیه و لیاذ منه الیه و عوذ به منه کما عن مولینا ابی جعفر محمد بن علی علیه السلام فی تطبیق قوله تعالی: «ففروا الی الله انی لکم منه نذیر مبین قال علیه السلام حجوا الی الله عزوجل».(۱)

و هذا هو التوحید القراح الذی لا یصحبه شیء عدا من هو الاول و الاخر تدبر قول النبی صلی الله علیه و آله حیث قال بعد حمل جهازه علی راحلته: هذه حجة لا ریاء فیها و لا سمعة ثم قال صلی الله علیه و آله «من تجهز و فی جهازه علم حرام لم یقبل والله منه الحج»(۲) و تأمل فی قوله علیه السلام ان الحجر الاسود یمین الله فی الارض للمیثاق، حتی یتجه کون الحج مثالا للتوحید الجامع المتبلور فی قوله تعالی: «تعالوا الی کلمة سواء بیننا و بینکم ان لا نعبد الا الله و لا نشرك به شیئاً و لا یتخذ بعضنا بعضاً ارباباً» (۳)

---

(۱) وسائل ج۸ص۵

(۲) وسائل ج۸ص۱۰۳

(۳) سورة آل عمران آیة ٦٤

الجهة الثانية فى أن الحج وحى ممثل

قد لاح لك ان الحج توحيد ممثل بحيث لو تدلى التوحيد و تجلى فى مراياه و تنزل فى درجاته لصار حجاً ولو تعالى الحج و صعد اليه تعالى و ترقى فى معارجه لبلغ ذا العرش او صار توحيداً اى عقيدة لا يشوبها شىء و يقيناً لا يعتريه ريب كما قال الصادق عليه السلام «**حتى يلصق بالعرش ما بينه وبين الله حجاب**»(١) و الكلام الان هو ان الحج باسره ـ وحى ممثل و ان مناسكه مما تجلت بالوحى و ان رسول الله صلى الله عليه و آله رآها من جبرئيل و هو اى الملك الامين الطائف حول العرش ارى ابراهيم عليه السلام مناسكه و ان تلك الاعمال الخاصة لم تكن مفروضة على الناس بمجرد التعليم القولى نظير قوله تعالى «**يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**» بل تحققت خارجاً بالتمثل و تنزلت عيناً كك.

و الشاهد على ذلك قوله تعالى: «**وارنا مناسكنا**»(٢) حيث ان هذه الارائة ليست بمعنى التعليم المفهومى الحصولى حتى يدركه الذهن تصوراً و تصديقاً بل بمعنى الاشهاد و الارائة الخارجية كما فى قوله تعالى: «**و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات و الارض وليكون من الموقنين**».(٣)

و يؤيده قول مولينا الصادق عليه السلام امر الله عزوجل ابراهيم عليه السلام ان يحج باسمعيل معه و يسكنه الحرم فحجا... و ما معهما الا جبرئيل فلما بلغا الحرم قال له جبرئيل يا ابراهيم انزلا فاغتسلا قبل

---

(١) وسائل ج٩ص ٤٢٢

(٢) سورة البقرة آية ١٢٨

(٣) سورة الانعام آية ٧٥

ان تدخلا الحرم فنزلا فاغتسلا و اراهما كيف يتهيئان للاحرام ففعلا ثم امرهما فاهلا بالحج و امرهما بالتلبيات الاربع التى لبى بها المرسلون ثم ساربهما الى الصفا و نزلا و قام جبرئيل بينهما واستقبل البيت فكبر الله و كبرا و حمد الله و حمدا و مجدالله و مجدا و اثنى عليه و فعلا مثل ذلك وتقدم جبرئيل و تقدما يثنيان على الله عزوجل و يمجدانه حتى انتهى بهما الى موضع الحجر فاستلم جبرئيل وامرهما ان يستلما و طاف بهما اسبوعاً ثم قام بهما فى موضع مقام ابراهيم عليه السلام فصلى ركعتين و صليا ثم اراهما المناسك و ما يعملان به.(١)

حيث ان ظاهره تمثل جبرئيل لهذين النبيين عليهما السلام و اراتهما المناسك بالعينية الخارجية و لم يكن هذا بدعا خاصاً بهما بل قد تقدمهما آدم عليه السلام و تمثل جبرئيل عليه السلام له ايضاً كما تمثل لافضل الانبياء و خاتمهم صلى الله عليه و آله حيث يقول «**مولينا الصادق عليه السلام ان الله بعث جبرئيل الى آدم فقال... ان الله ارسلنى اليك لا علمك المناسك التى تطهر بها فاخذ بيده فانطلق به الى مكان البيت و انزل عليه غمامة فاظلت مكان البيت وكانت الغمامة بحيال البيت المعمور**» الخ(٢) و يقول عليه السلام «**كنت اطوف مع ابى و كان اذا انتهى الى الحجر مسحه بيده وقبله و اذا انتهى الى الركن اليمانى التزمه فقلت جعلت فداك تمسح الحجر بيدك و تلتزم اليمانى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما اتيت الركن اليمانى الاوجدت جبرئيل عليه السلام قد سبقنى اليه يلتزمه**»(٣) و ستقف على الوحى المتمثل فى مطاوى المباحث القادمة كالماضية و تعثر ايضاً على ما لم نأتهاروماً للاختصار.

(١و٢) وسائل ج٨ص١٦٣-١٦٠

(٣) وسائل ج٩ص٤١٩

فاذا تبين ان الحج هو وحى ممثل و تلقاه مؤسس الكعبة بالمشاهدة و الرؤ ية يلزم ان يكون الناس مأمورين باتيان ما ورثوه منه و بالنظر الى مارآه لعلهم يرون شيئاً مما رآه و يشاهدون نزراً مما شاهده اذا النظر الى ظاهر الكعبة المأمور به مقدمة لرؤ ية ملكوتها فحينئذٍ يتجه معنى قوله تعالى: «و اذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق»(١)

اذ المستفاد من قوله تعالى يأتوك هو مجيئهم عند ابراهيم و لقائهم اياه و نيلهم ما ناله و شهودهم ما شاهده لا مجرد اتيان البيت و شد الرجال الى مكة اذ التعبير القرآن ليس هو مجرد العمل بالمناسك بل التعبير هو قوله تعالى «يأتوك» تدبر - و لا يأتى ابراهيم الا من تهيا و تعبا واعد واستعد للقيام تجاه الطغاة اللئام الذين يقولون: «حرقوه و انصروا آلهتكم»(٢) اذ الكعبة كما تقدم قيام للناس و لا قيام ان يقول القائم لعبدة الاوثان و الاهواء «اف لكم و لما تعبدون من دون الله»(٣) و لا قيام الا ان يقول القائم للذين كفروا و مردوا على النفاق «اننى براء مما تعبدون» (٤) ولا يأتى ابراهيم الا من يقول «وجهت وجهى للذى فطر السموات و الارض حنيفاً»(٥) و بالجملة لايأتيه «الا من اتى الله بقلب سليم»(٦) كما اتاه تعالى ابراهيم به.

و من ذلك كله يتجلى قوله تعالى: «و اذ ان من الله و رسوله الى الناس

(١) سورة الحج آية ٢٨
(٢) سورة الانبياء آية ٦٨
(٣) سورة الانبياء آية ٦٧
(٤) سورة الزخرف آية ٢٦
(٥) سورة الانعام آية ٧٩
(٦) سورة الشعراء آية ٨٩

يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين و رسوله فان تبتم فهو خير لكم و ان توليتم فاعلموا انكم غير معجز الله و بشر الذين كفروا بعذاب اليم»(١)

و هذا هو خاتم النبيين الذى كان هو اولى بابراهيم عليه السلام و رأى ما رآه ـ و ما كذب الفواد ما رآى ـ و بصر بما بصر به ابراهيم ـ و مازاغ البصر و ماطغى ـ و تولى ما تولاه ابراهيم ـ ان وليى الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين ـ و تبرء مما تبرء منه ابراهيم ـ ان الله بريء من المشركين و رسوله ـ و حيث انه صلى الله عليه و آله دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ذبح بما لم يذبح به ابراهيم عليه السلام حيث ذبح من هو من رسول الله و رسول الله صلى الله عليه و آله منه و هو الحسين بن على عليه السلام المذبوح على القفا صوناً للكعبة عن الطغاة اللئام و ايثاراً لمصارع الكرام على طاعة اللئام.

و السر فى ذلك كله هو ان «رسول الله صلى الله عليه و آله قال انا من حسين و حسين منى ثم قال الحسين عليه السلام ايها الناس انى سمعت رسول الله يقول من رأى سلطانا جائراً مستحلا لحرم الله ناكثاً لعهده يعمل فى عباده بالظلم و لم يغير عليه بقول و لا فعل حق على الله ان يدخله مدخله اى معه فى النار» فالحسين الذى كان من رسول الله و رسول اله صلى الله عليه و آله منه قدفدا نفسه و ضحى اهل بيته و اصحابه صوناً للدين الالهى عن الزيغ و التحريف و حفظاً لعهده من النكث و لخلقه من الظلم.

و من ذلك كله يظهر لك البعد السياسى للحج حيث ان التبرء من المشركين و الحياد عنهم و الانزجار منهم و قطع ايديهم و الاعلان الصريح بذلك هو منسك سياسى للحج كما يهتف به قوله تعالى المتقدم.

---

(١) سورة التوبة آية ٣

«و اذ ان من الله و رسوله الى الناس يوم الحج الأكبر ان الله برى من المشركين و رسوله»(١) و يمكن ان نشير اليه اجمالا حيث يحين حينه.

فتحصل ان الحج بما له من السنن الخاصة التى تمثلت للانبياء هو بنفسه و حى ممثل فهو من اهم مظاهر الاسلام و صالح لتحقق الاصلين المارين من الكلية و الدوام و لذاجرى لخاتم الانبياء ما جرى لابراهيم عليه السلام و قبله لادم عليه السلام فليس الحج شرعة خاصة و منسكا مخصوصا يختص بشعب دون شعب او عصر دون عصر بل هو كلى دائم حسبما قرر فى بيان كون الكعبة اول بيت للناس و قياماً للناس و مثابة و امناً للناس و كون الحج مفروضاً على الناس و اذ ان ابراهيم عليه السلام متجها نحو الناس و كون المسجد الحرام سواء العاكف فيه و الباد و كون الحج معياراً لحساب السنين و الاعوام حيث كانوا يرقمونها به كما يشهد له قوله تعالى: **«على أن تأجرنى ثمانى حجج»**(٢) حيث جعل الحج معياراً لعد السنين فعبر عن ثمانى سنين بثمانى حجج لان فى كل سنة حجاً واحداً و اشتهار ها به يوجب عدها به و جعله ميزاناً لها.

و بعد الاحاطة بما ذكرو العثور على مادارج بين الاقوام والملل كهند و فارس و كلدان واليهود من تكريم الكعبة و السفر اليها و زيارتها بنحو من الانحاء و بعد التنبه لما فى التعبير عن مكة به (بكة) الدال على الزحام و التراكم والمجتمع العام يتجه معنى قوله تعالى: **«ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً و هدى للعالمين»**(٣) حيث جعل ذلك امراً عالمياً يشمل جميع الشعوب و الاقطار و الامصار و الاعصار.

---

(١) سورة التوبة آية٣

(٢) سورة القصص آية٢٧

(٣) سورة آل عمران آية٩٦

فعه يتضح الاصلان المتقدمان اى الكلية و الدوام وضوح الرائعة و صلوح الحج لان يتبلور به ذانك الاصلان و الا لم يكن هدى للعالمين بل كان منهاجاً لقوم خاص و هذا خلف و يشهد له قول على عليه السلام **«ألا ترون الله سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم الى الاخرين من هذا العالم باحجار لا تضرو لا تنفع و لا تبصر و لا تسمع فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياماً»**.(١)

الجهة الثالثة فى ان الحج معاد ممثل

قد تبين مما تقدم من الجهتين ان الحج توحيد ممثل و كذا هو وحى ممثل و الكلام هنا هو ان الحج معاد ممثل و ان مناسكه انموذج للقيامة و الحشر الاكبر.

و بيانه بانه كما ان الاولين و الاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم و انهم يأتون الله فرادى كما خلقوا اول مرة و ان كل اناس يدعون بامامهم و ان لكل امرء يومئذ شاناً يغنيه و انه لاولى هناك و لا حميم و انهم من الاجداث الى ربهم ينسلون و انه لا وزرهناك لاحد و الى ربهم المستقر و ان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى و ان كلهم آتيه يوم القيمة فرداً و يفرالمرء من اخيه و امه و ابيه و صاحبته و بنيه و لا خلة و لا بيع و لا شفاعة هناك و بالجملة لا يجزى نفس نفساً و لا يملك نفس لنفس شيئاً و الامر يومئذ لله.

كك الحج تمثل لحشر الناس يوم القيامة فى الساهرة التى لانوم فيها خوفاً و فزعاً و لتجردهم فى المعاد عن الازياء و مظاهر الحياة الدنيا فلا

---

(١) نهج البلاغة خطبه قاصعة ١٩٢

مجال لشعب ان يقولوا نحن احسن اثاثاً و رئياً و لتنزههم عن زهرة الدنيا و كنوزها فلا موقع لان يقول قوم ياليت لنا مثل ما اوتى فلان كما لا مجال لاحدان يخرج فى قوم بزينة و لفرارهم عن غيرالله الى الله حسبما فسرقوله تعالى «ففروا الى الله» بالحج و لتفردهم عن الجمع و كذاركو يتهم آيات بينات كانت خفيت عليهم و هم فى بلدانهم و للبسهم مايشبه الكفن و هو ثوبا الاحرام و يستحب للحاج ان يكفن فيهما كما كفن رسول الله صلى الله عليه و آله فى ثوبى احرامه(١) و لتذللهم لله مشاة بل حفاة حيث ورد «ما عبدالله بشىء افضل من المشى»(٢) و لذا حج الحسن بن على عليه السلام عشرين حجة ما شياً على قدميه(٣) و عن الصادق عليه السلام «جعل السعى بين الصفا و المروة مذلة للجبارين»(٤) و عن مولينا الصادق فى قوله تعالى «ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود» قال عليه السلام «المشهود يوم عرفة و المجموع له الناس يوم القيمة» (٥) و لاعترافهم بالذنوب حيث كشف مولينا الصادق عليه السلام و هو محرم عن ظهره حتى ابداه للشمس و هو يقول لبيك(٦) و كان عليه السلام اذا انتهى الى الملتزم قال لمواليه أميطوا عنى حتى اقر لربى بذنوبى فى هذا المكان(٧) الخ و لا منهم و امان الوحش و الطير و لصيانتهم عن العدوان والجدال و كل ما يوجب الاذى المحرم حيث انه تمثل قوله تعالى: لا ظلم اليوم.

---

(١) وسائل ج٩ص٣٧
(٢و٣) ج٨ص٥٥
(٤) وسائل ج٩ص٥٥
(٥) وسائل ج١٠ص٢٣
(٦) وسائل ج٩ص٥٥
(٧) وسائل ج٩ص٤٢٤

و الحاصل ان الحج بما له من المناسك الخاصة التى لا توجد فى غيره من الاحرام و الوقوف بساهرة العرفات و المشعر مشفوعاً بالضراعة و الابتهال و البيوتة بمنى و التضيحة هناك و الحلق و رمى الجمار والنفر الى مكة والهرولة بين جبلى الصفا و المروة و غير ذلك مما لا يعلم تأويله الا الله يحكى يوم النشور و يمثل يوم الحشر حيث ان الناس هناك مع اختلاف السنتهم و الوانهم يلبون نداء واحداً و يجيبون هتافاً فارداً لا يحكم عليهم الا الواحد القهار الذى تخضع له الرقاب و تعنو له الوجوه و تخشع له الاصوات فلا تسمع الاهمسا.

فاذا تبين ان الحج ممثل للمعاد و مصور اياه و المعاد اى العود الى المبدء اس الاسلام الكلى الدائم فعليه يكون الحج من اهم مظاهر الاسلام و هو اى حج البيت الحرام مظهر تام للاصلين المتقدمين اى الكلية و الدوام و لذاترى الانام يردونه ورود الانعام و يألهون اليه و لوه الحمام و يقفون مواقف الانبياء و يتشبهون بالملائكة الحافين المطيفين بالعرش و يحرزون الا رباح فى متجر العبادة و يتبادرون موعد المغفرة و هو كما قال وليد الكعبة امير الكلام مولى الموحدين على بن ابيطالب عليه السلام: **«علم للاسلام و حرم للعائدين فالبيت الحرام بما له من الحكم الخاص علم للاسلام فرض الله حقه و اوجب حجه و كتب على الناس وفادته»(١) فقال سبحانه: «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين».**

الجهة الرابعة فى ان الحج ممثل للحكومة العليا الاسلامية

قد تبين لك ان الحج ممثل لاصول الدين الاصيلة و جذوره العريقة

---

(١) نهج البلاغه خطبه ١

وحيث ان الاصل الثابت يؤتى اكله كل حين باذن ربه و لا اصل حيث لا ثمر كما لا ثمر بدونه و ان الحج ممثل لثمرة هذه الشجرة الطيبة اى العقائد و المعارف الثلاثة من التوحيد و النبوة و المعاد و ان من اطيب ثمارها هو الحكومة الاسلامية التى لا يتخذ فيها بعضنا بعضاً ارباباً فيلزم البحث حول هذا الامر الهام الذى لولاه لا ندرس الدين و زال الحق وضاع اذلواتبع الحق اهوائهم لفسدت السموات و الارض حيث ان المجتمع الذى لا يحكم فيه الله هو مجتمع الكفر و الطغيان الذى اله هواه و الاهواء مختلفة والامانى شتى فاين يذهبون و اين يتاه بهم و اضلهم الله على علم و لهذا شواهد.

الشاهد الاول على ان الحج ممثل للحكومة الاسلامية هو ان ابراهيم لما رفع مع ابنه اسمعيل قواعد البيت دعا ربه بادعية راقية اجابها الله تعالى و منها قوله: «ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب و الحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم» (١) حيث ان الامة المسلمة اذادعوا من اقطار العالم فى جميع الاعصار الى حج البيت واجابوا ربهم واتوه على كل ضامر و من كل فج عميق فلابد لهم ممن ينظم امورهم و ينضدها و لابدلهم ايضاً من اصول واحكام يجرون فى امورهم السياسية عليها عدا ما لهم من المناسك العبادية فكيف يمكن ان يجتمعوا فى صعيد واحد و لكل منهم آداب و سنن بل كيف يمكن نظم امورهم لو لا الاصل المقبول لهم جميعاً و لو لا الشخص الذى يسلمه الكل السائر فيهم جميعاً بسنة واحدة يتلقونها بالقبول و يسوسهم بقانون فارد يخضعون لديه و هذا هو الحكومة.

و من هنا ترى نصوص باب الحج تنادى بان لهؤلاء الذين اجابوا

---

(١) سورة البقرة ١٢٩

ربهم اماماً واحداً يطيعونه و يسلمون له و حاشا الاسلام الذى يقول «اذا كنتم ثلثة فى سفر فأمروا احدكم» يتركهم سدى و لا يعين الآمر الحاكم على هؤ لاء الجم الغفير الذين يسيحون اقطار الارض و آفاق السماء و يطوون البلاد و يطئون البرارى و الصحارى و يسبحون البحار و يطيرون فى السماء و بالجملة «على كل ضامر يأتين من كل فج عميق» و يدع هؤلاء و اهوائهم و امانيهم ـ كل يجر النار الى قرصه ـ فاين قول على عليه السلام و نظم امركم.

و الحج له خصيصة لا توجد فى غيره لان الجماعة الصغيرة المتحققه بالاثنين فى الصلوات اليومية ـ الاثنان و ما فوقهما جماعة ـ يتكامل بالجماعة الوسطى التى لا تتحقق الا بالسبع او الخمس فى صلاة الجمعة التى اذانودى من يوم الجمعة يسعون الى ذكر الله و يذرون البيع و يجيبون ندائها على بعد ستة اميال و لا يقيمون جمعة اخرى على مسافة ثلثة اميال ثم يتكامل ذلك بالجماعة الكبرى التى لاحد لها فى الحج فهل يمكن ان لا يكون لذلك سياسة خاصة تسوسهم فى معاملاتهم و تضارب آرائهم و فصل خصوماتهم و كيفية معيشتهم و الرابطة التى بينهم بعضاً الى بعض و الارتباط المتصور بينهم و بين غيرهم من الملل الاخرى.

و الشاهد الثانى على ان الحج ممثل للحكومة الاسلامية و ان لها تأثيراً فى بقائه و تكرره هو ما قاله مولينا الصادق عليه السلام «لو عطل الناس الحج لوجب على الامام ان يجبرهم على الحج ان شاؤا و ان ابوا فان هذا البيت وضع للحج و كذا قال عليه السلام ولو تركوا زيارة النبى صلى الله عليه و آله لكان على الوالى ان يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده فان لم يكن لهم اموال انفق عليهم من بيت مال المسلمين».(۱)

---

(۱) وسائل ج۸ ص۱٦ و۱۵

و السر فى قوله عليه السلام ان هذا البيت انما وضع للحج هو ما تبين فى ثنايا البحوث المارة من انه بيت عتيق يدرس الحرية و الانعتاق من كل هوى وردى داخلى او خارجى و انه بيت اسس على التوحيد يدرس نفى الشرك الجلى و الخفى و انه بيت طاهر يدرس الطهارة عن كل رجس و قذارة و انه بيت سواء العاكف فيه والباد فيدرس المساواة بين الابيض و الاسود و يعلمهم انهم سواسية كاسنان المشط و ماله من سائر المآثر القيمة التى توجب على الناس شدالرحال اليه و ان تركوه قصوراً او تقصيراً يجب على والى المسلمين ان يسد خلقهم ان قصروا و ان يجبرهم ان قصروا حتى يأتوه و يطوفوا حوله و لا يتركوه و هذا هو الحكومة الاسلامية التى لها حاكم عال و بيده بيت مال المسلمين.

اضف الى ذلك قوله عليه السلام و لوتركوا زيارة النبى صلى الله عليه و آله الخ حيث يظهر منه ان زيارته(ص) تجديد ميثاق و مبايعة لتحكيم الحكومة الاسلامية.

و **الشاهد الثالث** على ان الحج ممثل للحكومة الاسلامية ما قاله مولينا محمد بن على الباقر عليه السلام انما امر الناس ان يأتوا هذه الاحجار فيطوفوا بهاثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرهم(١) حيث يدل على ان الحج عبارة عن الطواف و السعى والرمى و نحو ذلك مما له مساس بالاحجار التى لا تضر من تركها و لا تنفع من اتاها و عبارة عن لقاء الامام(تمام الحج لقاء الامام) و اتيانه و اعلامه الولاية و عرض النصر و الاطاعة الذى هو لب الحج و مغزى العمرة ولباب الكعبة فلو لا الحكومة و الولاية بمعنى السياسة لما احتيج الى اخبار الولاية و عرض النصرة.

---

(١) وسائل ج١٠ ص٢٥٢

و اياك و ان تتوهم ان المراد من الزيارة المندوب اليها فى الحج هو زيارة القبور فقط و ان كانت تلك ايضا من حقوق الولاية لان المعصوم حياته و مماته سواء اذ كان موته كحياته لله حيث قال: **«ان صلاتى و نسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين»** بل المراد منها او لا هو لقاء الوالى الاسلامى و اعلامه الولاية و عرض النصرة عليه و ثانياً هو الحضور عند قبره و الصلاة عليه و الدعاء و الابتهال و الضراعة الى الله تعالى و لذا قال عليه السلام: **ابدؤا بمكة واختموابنا**(۱)

و من هنا يظهر سر قوله تعالى **«لا اقسم بهذا البلد و انت حل بهذا البلد»**(۲) حيث يستفاد منه ان البلد الامين لا حرمة له لو لا محمد الامين صلى الله عليه و آله و ان الاقسام بمكة انما هو بحلول رسول الله فى ذاك المحل و انه لو لاه لما صارت مقسماً بها كما ان الحلف بالزمان الخاص و هو عصر الرسالة فى قوله تعالى: **«والعصر ان الانسان لفى خسر»** ـانما هو بلحاظ المتزمن المخصوص و هو النبى المبعوث يعنى ان حرمة ذاك المكان و هذا الزمان بحرمة المتمكن والمتزمن اى الحاكم على امور المسلمين باذن الله.

فتبين ان مغزى الحج و روحه لقاء الوالى وعرض النصرة عليه والقيام معه و الرغبة اليه و الرهبة عن مخالفته و نحو ذلك ولو لا الوالى الاسلامى الحاكم الالهى لعادت مكة الى مآلها من سوق عكاظ و صارت الكعبة ماوى للاصنام و محلا للاوثان و لعلى هبل على ظهر الكعبة وليباع مقاليدها ببعيروزق من خمر كمامرـ تدبر.

و **الشاهد الرابع** على ان الحج ممثل للحكومة الاسلامية هو ان الاسلام الذى بعثت به الانبياء انما يتجلى فى التوحيد المحض الذى يطرد

---

(۱) وسائل ج۱۰ص۲٦۰

(۲) سورة البلدآية۲ـ۱

بنفسه اى شرك حيث قال تعالى «ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت»(١) و معنى اجتناب الطاغوت هو جعله فى جانب وحيز عليحدة ثم الاستقرار فى جانب و حيز آخر منفك عنه حتى يصدق الاجتناب و يصدق كونه منحازاً و اما عند الالتقاط و الاختلاط فلا مجال لصدق الاجتناب.

و ليس مفاد هذه الكريمة اثبات امرين بالاستقلال احدهما لزوم عبادة الله و ثانيها طرد الطاغوت بل مفادها التنبه بما فطر الناس عليه و هو التوحيد و عبادة الله التى يطرد بنفسه الطغيان و يدفعه كما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر فى العبادة الفرعية كك التوحيد ينفى الطاغوت فى العبادة الاصلية و من هنا يقال ان لفظة (الا) فى الكلمة الطيبة اعنى لا اله الا الله بمعنى غير لا بمعنى الاستثناء يعنى ان مفادها هو نفى الالهة التى تكون غير الله الذى يخضع له الرقاب و يسجد له من فى السموات و الارض.

و هذا الطرد و النفى ليس مجرد الاعتقاد القلبى او الذكر القالبى بل هو اعلام انزجار و نداء تبرء و هتاف برائة و صيحة خاطفة تجاه الطغاة اللئام فى البعد السياسى و غيره و هذا المعنى انما يتحقق فى الحج حيث انه موضع اعلام و اذان بان الاسلام برئ من الشرك و ان المسلمين تبرؤن من المشركين و ان لاولاية بين اهل الاسلام و اهل الشرك كما يدل عليه قوله تعالى «واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برئ من المشركين و رسوله فان تبتم فهو خير لكم و ان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله»(٢) اذ مفاد هذه الاية كما تقدم سابقاً هو تبلور

(١) سورة النحل آية ٣٦
(٢) سورة التوبة آية ٣

البعد السياسي فى الحج و تجلى الاستقلال الثقافى فيه بحيث لا سيطرة لاحد من الكفار و المشركين على احد من المسلمين و هذا المتاف البارق انما يتحقق فى الساهرة التى اتاها الناس من كل فج عميق ليبلغ الشاهد منهم الغائب فينتشر فى العالم نشر رائحة المسك.

فهل هذا الا تمثل الحكومة الاسلامية باعلى مراتبها فى الحج و هل يمكن طرد صناديد الالحاد و تحطيم صياصيهم الا فى ضوء الحكومة الاسلامية فلو لا حضور السياسة الاسلامية فى ساهرة العرفات و المنى الذين فسربها ـ الحج الاكبر ـ لما امكن اعلام التبرى من عمال الجور و عبدة الطاغوت ولو لاولاية المؤمنين بعضهم مع بعضهم و مبايعتهم لمن هو وليهم المنصوب من الله او الماذون من قبل اولياء الله و صيرورتهم يداً واحدة على من سواهم لما ينشر اعلان العداوة و البغضاء تجاه هؤلاء الجبابرة الذين اهمتهم انفسهم و يأكلون و يتمتعون و يلههم الامل ولو لا الاقتدار المتشكل السائس لما امكن دفع هؤلاء الاكاسرة و القياصرة و لو لا دفعهم لهدمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله فلو لا الحج لاندرست تلك المراكز العبادية رأساً ولو لا تلك المراكز العبادية لفسدت الارض ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض.

و الحاصل ان التجلى التام فى تلبية النداء الالهى انما هو فى الحج الاكبر وهو ايام العرفة والتشريق و البرنامج البالغ حينذاك هو اعلام التبرى و البغضاء قبال الكفار و المشركين و هذا لا ينتشر بدون الحكومة الاسلامية التى يمثلها الحج اتم تمثل و يقررها الكعبة البيت الحرام التى جعلها الله قياماً للناس اتم تقرير و من الواضح ان الناس الذين لا حكومة لهم يكونون فى امر مريج فاين لهم ان يقوموا بالقسط قبال القاسطين و ان يقوموا بالعدل قبال الظالمين و ان يقاتلوا فى سبيل الله صفا كانهم بنيان مرصوص.

و بالجملة ان القيام الشعبي و المقاومة العالمية و الاستقامة الشاملة التي بنيت الكعبة البيت الحرام لأجلها لما ينتشر بدون الحكومة الاسلامية التي هي من اهم مظاهر الاسلام فنجز الوعد بحمده تعالى و تبين انه كيف يكون الحج من اهم مظاهره فاذا لم يكن هناك حكومة اسلامية لما كان للحج لب(١) و للعمرة روح و للعرفات معرفة و للمنى تقرب و لرمي الجمار طرد للشيطان و لايام التشريق نور و للشهر الحرام حرمة و لليال عشر كرامة و للشفع و الوتر عزة و بالجملة لما كان البيت الحرام مثابة للناس و امناً لهم.

و لعله لذلك كله و لما لا يعلم من الاسرار الالهية لم يحج مولينا سيدالشهداء الحسين بن على بن ابيطالب عليهما السلام و لم يقصد التمتع بالعمرة الى الحج بادىء الامر و لم يلب تلبية العمرة العمرة المتمتع بها بل اعتمر عمرة مفردة فقط و ذلك لحرمة البيت و كان من قصده عليه السلام الخروج من مكة لا انه عليه السلام قدلبى بعمرة التمتع و اشتبك حجه بعمرته و صار رهيناً بالحج الا انه صار مصدوداً مثلا ثم بدل حجه التمتع بالعمرة المفردة بل كان اعتماره بادىء الإمر بالعمرة المفردة حسب ما دل عليه النص حيث انه سئل مولينا الصادق عليه السلام عن رجل خرج في اشهر الحج معتمراً ثم خرج الى بلاده قال عليه السلام لا بأس و ان حج من عامه ذلك و افرد الحج فليس عليه دم و ان الحسين بن على عليه السلام خرج يوم التروية الى العراق و كان معتمراً(٢) و تنبه له سيدنا الاستاذ فقيه اهل البيت آية الله العظمى السيد المحقق الداماد قدس الله نفسه الزكية و افاده في الدرس و يؤيد ذلك ما قاله

---

(١) وافى كتاب الحج باب النوادر

(٢) كتاب الحج للمؤلف ج١ص٢٣٣ و وسائل ج١٠ص٢٤٦

سيدالشهداء فى دعاء العرفة مما يرجع الى الحكومة.

و من اراد ان يتضح له اتضاحاً رائعاً انه كيف يكون الحج ممثلا للحكومة فلينظر ما ذا فعله رسول الله فى حجة الوداع و ما قاله للناس و قرره لهم من مهام الامور السياسة و غيرها فارتقب.

الجهة الخامسة فى ان الحج ممثل للخلق العظيم

قد تبين ان الحج توحيد ممثل و كذا انه وحى ممثل و انه معاد ممثل واتضح ايضاً انه ممثل للحكومة الاسلامية و الكلام الآن فيما هو الغرض الاسنى و الهدف السامى من العبادة و هو اليقين الذى يمثله الحج و يحصله اتم تحصل، و اليقين هو الخلق العظيم الذى تخلق به رسول الله صلى الله عليه و آله حيث وصفه الله بقوله... **«انك لعلى خلق عظيم»**(١) كما تخلق به ايضاً مؤسس الكعبة ابراهيم الذى نعته الله بقوله: **«و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات و الارض و ليكون من الموقنين»**(٢)

و بيان ذلك هو ان العبادة و ان كانت غاية الخلقة بالمعنى المتقدم فى المقدمة الا انها بنفسها مقدمة لليقين و مغياة به حيث قال تعالى: **«و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين»** و المراد من الغاية هنا هو الهدف السامى والمنفعة المطلوبة لا الحد و النهاية لان تلك غاية الحركة لا ما هو الاجل منها و اليقين المستفاد من العبادة يصير بعينه مبدء لها بلا عطلة و غفلة اصلا.

و كم فرق بين العبادة الصاعدة الى اليقين و العبادة الصادرة من

---

(١) سورة القلم آية ٤

(٢) سورة الانعام آية ٧٥

اليقين الذى يتحد فيه غاية العقل النظرى و غاية العقل العملى فيصير الشهود هناك بعينه قدرة و العلم بنفسه عملا و المعرفة بذاتها مصدراً و لا يتخلف عنه شيء من عمل صالح و لا يشذ منه شيء من ادب حسن فيصير هو اى اليقين حينئذ بنفسه خلقاً عظيماً اذ لا ميز هناك بين الشهود و العمل اذالخلق العظيم لا يتحقق بدون الشهود كما ان العمل الصالح و الادب الطيب لاينفك عن الشهود بل الشاهد هو بنفسه من الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادة و لا يستحسرون، فالشاهد المتيقن هو العابد فهو المتخلق بخلق عظيم لا يعبد الله خوفاً من ناره و لا شوقاً الى جنته بل حباً له تعالى و هذا هو المقام المكنون الذى لا يمسه الا المطهرون.

فاذا تحصل ان العبادة تورث اليقين و ان الحج عبادة خاصة يلزم البحث عن كيفية كونه مورثاً لليقين الذى هو الخلق العظيم الذى يتحد هناك الخلق و المتخلق فيصير هو ايضاً كما ورد عن «**الصادق عليه السلام انه من تعلم العلم و عمل به و علمه لله دعى فى ملكوت السموات عظيماً**» يعنى ان العالم العامل المعلم اذا كان جميع هذه الشؤون التى اتصف بهاالله يدعى فى باطن السموات عظيما و كم فرق بين من هو عظيم و من له فوز عظيم و اجر عظيم و فضل عظيم و كم فرق بين من هو مندوب الى قوله تعالى «و الله خير و ابقى» و من هو مندوب الى قوله تعالى «**و ما عندالله خير وابقى**» و كم فرق بين من هو صالح و بين من عمله صالح اذا الصالح هو الذى يتولاه الله الذى هو يتولى الصالحين و اما الذى يعمل صالحاً فهو بعد ممن يتولى الله و كم فرق بين من هو خالص و يستخلصه الله لنفسه فهو من المخلصين ـبالفتحـ و من عمله خالص و هو من المخلصين ـبالكسر.

و الحج عبادة خاصة تورث الخلق العظيم بما له من الاسرار و الرموز

القربية نشير الى نبذ منها فيما يلى:

احدها ان الحج بما له من التكرمة الخاصة ليس تكليفا عبادياً يؤمر به كالصلاة و الزكاة بل هو ميثاق و عهد الهى يتشرف به و لذا ليس التعبير عن لزوم الحج بسياق الخطاب الامرى حسبما ورد فى الصلاة و الزكاة نحو اقيموا الصلاة و آتوا الزكاة بل التعبير عن لزومه انما هو بلسان الميثاق الخاص و العهد المخصوص الالهى حيث قال «**ولله على الناس حج البيت**» و مثل هذا العهد باخذ كلمة اللام و اسم الجلالة و تقديمه على المتعلق لم يعهد فى غيره من العبادات.

و ان ورد فى بعض الروايات ان الصوم لى و لكن الحج ايضاً واجد للصوم حيث انه من لم يجد الهدى يصوم ثلثة ايام فى الحج و سبعة اذا رجع الى بلده كما ان جميع ما ورد فى الصلاة يتحقق فى الحج ايضاً لان فيه طوافاً هو بنفسه صلاة و فيه ايضاً صلاة لان الطائف يتخذ من مقام ابراهيم مصلا يصلى فيه و ينا جى هناك ربه و به يقيم عمود دينه و يتقرب بذلك من مولاه فينال جميع المزايا التى للصلاة و هكذا ينال البركات التى للزكاة حيث ان فى الحج انفاقاً مالياً و نثاراً و ايثاراً مزيلا للشح الذى احضرت الانفس الشح و وقاية لها عن التلوث بذاك الشح و البخل و من يوق شح نفسه فاولئك‌هم المفلحون.

و الحاصل ان الحج مؤلف من العبادات الخاصة و شامل لفضائلها الجمه(١) مع ماله من الميز الخاص الذى لا يوجد فى غيره و هو انه عهد خاص بين الله تعالى و العبد و لذا قال «**الصادق عليه السلام و دمن فى القبور لو ان له حجة بالدنيا و مافيها**(٢).

ثانيها ان الحج بما له من التلبية الخاصة اخفاتاً و جهراً طارد لاية

(١و٢) وسائل ج٨ص٧٨و٨١و٨٢

جاهلية كانت او تكون و كاسرلاى صنم جاهلى نحت و لاى وثن جاهلى ينحت و دامع لاى باطل بدء او عاد فاذا هو زاهق و شاف لما فى الصدور من داء الريا و الهوى المتبع و الشح المطاع و اعجاب المرء بنفسه.

و ذلك ان تلبية الحج فى الجاهلية كانت نداء للشرك و هتافاً للوثنية حيث كانوا يلبون لبيك لا شريك لك الا هو لك تملكه و ما ملك، و يثبتون بذلك لله سبحانه و تعالى شريكاً و ان كان ذلك الشريك ايضاً له.

و اما التلبية فى الاسلام فيكون ضراعة الى الواحد المحض و صيحة خاطفة على اى شرك جلى او خفى فمعه لا يبقى لغيره تعالى ظهور حتى يلتجى اليه و لا قدرة له حتى يعتصم بها بل هنا لك الولاية المطلقة لله الحق و يتضح بذلك اتضاحاً رائعاً لمن يشاهد الجهر بهذه التلبية فى البيداء و الصياح بها فى الساهرة و التداوم عليها كلما علا تلعة او هبط و ادياً.

و يشهد له ما يستفاد من نصوص اهل البيت ان من استن بسنة جاهلية او تلوث بقذارة المال الحرام ثم لبى، نودى عند التلبية لا لبيك و لا سعديك(١)

و لذا قال مولينا الكاظم عليه السلام «**انا اهل بيت حج صرورتنا و مهور نسائنا و اكفاننا من طهور اموالنا**»(٢) و ما ذلك الا ان تلبية الحج تلبية لبى بها المرسلون فى الارض حذاء ما يسبحون به فى الطواف حول العرش حسبما تقدم مبسوطاً.

و مما يشير الى ما ذكر من كون الحج صيحة على الجاهلية هو ما يعثر عليه المتتبع فى نصوص هذا العهد الالهى من نقل ما ورد من تلبية

---

(١) وسائل ج٨ص١٠٢

(٢) وسائل ج٩ص٤٧و٤٨و٥٥

ابراهيم الخليل و موسى الكليم و خاتم النبيين عليهم افضل صلوات المصلين اكثر و اوفر(١) مما ورد فى غير هولاء الاطيبين من الانبياء و المرسلين الذين لا نفرق بين احد منهم و لكن الله فضل بعضهم على بعض سيما فى طرد الطغاة و دحض اللئام و دفع الجاهلية الجهلاء الداخلية او الخارجية اذ الخليل عليه السلام طرد الطغاة بقوله اف لكم و لما تعبدون و الكليم عليه السلام ادحض اللئام بقوله «**يا فرعون انى رسول من رب العالمين**»(٢) و خاتم النبيين صلى الله عليه و آله دفع الجاهلية بقوله «**أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون**»(٣)

ثالثها ان الحج بماله من التضحية الخاصة موجب للتقرب المخصوص الذى قلما يوجد فى غيره و ذلك ان النحر او الذبح الذى كان فى الجاهلية لم يكن خالصاً عن رجس الشرك بل كان متلطخاً به كالتلبية و الصلاة حيث انهم كانوا يلبون بقولهم: لا شريك لك الا شريك هو لك ـ و كانت صلاتهم عندالبيت مكاء و تصدية حسبما تقدم و كان دأبهم بعد النحر او الذبح تلطيخ الكعبة بدم الهدى المذبوح و تعليق شىء من لحمه عليها حتى يتقبله الله.

و اما الاسلام فقد جعل الهدى ذاحرمة خاصة لا يصح احلاله حيث قال «**لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد**»(٤) ثم قال فى طرد تلك السنة السيئة و بيان ما للهدى من القرب ـ و لعله لذا اشتهرت الاضحية بالقربان ـ «**لن ينال الله لحومها ولا دمائها و لكن يناله**

---

(١) وسائل ج٩ ص٤٧و٤٨و٥٥

(٢) سورة الأعراف آية ١٠٤

(٣) سورة المائدة آية ٥٠

(٤) سورة المائدة آية ٢

التقوى منكم»(١) حيث نزه الكعبة عن ذاك التلطيخ و التعليق كمانزه الله عن الفاقة الى اللحوم و الدماء دفعاً لمن يقول بعدم لزوم النحر او الذبح لان الله غنى عن العالمين فلم يلزم على الحاج ان يذبح حيواناً فافادبان اصل الهدى لازم و ان الله غنى عنه و ان الذى يناله تعالى ليس هو اللحم او الدم بل الذى يناله هو روح العمل و لب الفعل و هو التقوى و مدار الكلام الان هو فى خصوص هذا التعبير حيث قال تعالى:

«و لكن يناله التقوى منكم»

و الذى ينبغى التنبه له هو انه قد يقال بان هذا العمل الصالح مثلا مما يتقبله الله و قد يقال انه يصعد اليه الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه و قد يقال كما فى المقام يناله التقوى منكم و لا خفاء على الخبير المتدرب ان هذه التعبيرات ليس سواء و لا يكون على و زان واحد لان لفظ القبول يفيد امراً و لفظ الصعود اليه تعالى يفيد امراً آخر فوقه و لفظ النيل يفيد امراً فائقاً لا يصعد اليه شى من ذينك التعبيرين.

و كم فرق بين الصعود الى الله و بين نيله تعالى اذا الثانى يصرح بانه لا حجاب حينئذٍ بين ذاك التقوى النائل و بينه تعالى بخلاف الاول حيث انه لا يصرح بذلك و ان لا ينا فيه و لا وجه لحمل النيل على الصعود بعد ان لا برهان عقلى و لا نقلى على ذلك بل يؤ يد ما ذكر من حمل النيل على مفهومه العالى العارى عن النيل المادى و نحوه مما هو تعالى منزه عنه بعض ما ورد فى انه تعالى قد استتر بغير ستر مستور واحتجب بغير حجاب محجوب ليس بينه تعالى و بين خلقه حجاب غير خلقه اى الخلق مادام متوجهاً الى نفسه فهو حجاب و محجوب عن ربه و الحجاب هنا نفس المحجوب لا ما هو الحائل بينه و بين المحجوب عنه كما ان الربط

---

(١) سورة الحج آية ٣٧

الاشراقى و الفقر الوجودى هو عين المرتبط الفقير لا ما هو الواصل بينه و بين المربوط اليه فالموجود الامكانى هو بذاته حجاب و محجوب فاذا لم يلتفت الى ذاته و لم ير نفسه و لم يحب بقائه الخاص به بل دنى فتدلى و لم ير الامولاه و لم يحب الا الله تعالى ارتفع الحجاب و زال الحساب و تجلى نور السموات و الارض و انطمس النجوم الزاهرة و انمحى الاقمار المنيرة فهنا لك يناله تعالى هذا التقوى الاخص لا التقوى الخاص فضلا عن العام.

و حيث ان التقوى نعت خاص يتحد معه المنعوت به حسبما تقدم ان هذه الملكات الفائقة تتحد النفس المجردة بها و تصير هى اياها فلا ميز وجودى حينئذٍ بين التقوى و النفس المتقية المتحدة به فعليه اذا بلغ التقوى شاواً قاصياً و نال الله تعالى بالمعنى الممكن المعقول منه تبلغ النفس المجردة المتقية ذلك الشأ و القاصى و ينال الله تعالى بالمعنى المعقول منه و لا يمكن ان يناله التقوى و لا يناله المتقى اذ ليس التقوى الا حقيقة وجودية خارجية متحدة مع النفس الكاملة فاين الانفكاك ؟ هنيئاً لحاج نحر هديه لله تعالى نحراً خالصاً لوجهه لا يبتغى بذلك الا الله فينا له تقواه ثم يناله هو بنفسه ايضاً لان تقواه ليس بخارج منه طوبى له و حسن مآب ـ تدبر.

و لعله لهذا التقوى الغالى الموعود به فى النحر سمى يوم النحر بالحج الاكبر(۱) و لاجله قال الصادق عليه السلام «**اذا اشتريت هديك فاستقبل به القبلة و انحره او اذبحه و قل: وجهت وجهى للذى فطرالسموات و الارض حنيفاً مسلماً و ما انا من المشركين ان صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين لا شريك له و بذلك امرت و انا من**

---

(۱) وسائل ج ۱۰ ص ۸۷

المسلمين اللهم منك و بك بسم الله و بالله و الله اكبر اللهم تقبل منى»(١) لان النحر اذا كان بهذا التقوى الذى لا يرى فيه الا الله و لا شأن لهذا الناحر الالله حيث ان صلا ته و نسكه و محياه و مماته اى جميع شؤونه لله رب العالمين فحرى بذلك ان ينال الله و يناله تعالى الناحر المتق ايضاً و هذا هو الهدف السامى اى الخلق العظيم الذى يمثله الحج بما له من الاداب و السنن الراقية.

و اياك و ان تتوهم ان هذه الملكات امور ذهنية او نعوت عرضية او نحو ذلك فاقرء يا حبيبي قوله تعالى «هم درجات»(٢) اى ذواتهم و نفوسهم صارت درجات و ارق من قوله تعالى «لهم درجات»(٣) لان الاول للاوحدى من الا تقياء و الثانى للاوساط منهم فاقرء يا صاحبي قوله تعالى «فاما ان كان من المقربين فروح و ريحان و جنت نعيم»(٤) اى المقرب ذاته روح و نفسه ريحان و قلبه جنت نعيم و ارق من قوله تعالى «جنات تجرى من تحتها الانهار» لان الاول للاوحدى المخلص-بالفتح-و الثانى للمتوسط المخلصين-بالكسر-فاقرء يا صاحبي قوله تعالى: «فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى»(٥) و ارق من قوله تعالى «ادخلوها بسلام آمنين» فاقرء ايها العارف الشاهد قوله تعالى و الله خير و ابق و ارق ايها السالك العابد من قوله تعالى «وما عندالله خير و ابق»(٦)

و اياك و ان تتوهم ان هذا الرق بمعنى التنزه المحض كما فى الملك

---

(١) وسائل ج١٠ ص١٣٧

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٣

(٣) سورة الانفال آية ٤

(٤) سورة الواقعة آية ٨٩

(٥) سورة الفجر آية ٢٩

(٦) الفتوحات المكية ج١ ص٦٨٦

المقرب بل الانسان كون جامع فله التنزه و التشبه معاً و يجمعهما قوله تعالى «**ان المتقين فى جنات و نهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**» (١) فللانسان الاوحدى الشاهد جنتان احديهما جنة اللقاء و هى المشار اليها بقوله تعالى: «**و ادخلى جنتى**» و الاخرى جنة تجرى من تحتها الانهار المصرح بها فى غير واحدة من الايات. اياك و ان تحصر الجنة فى قوله تعالى «**عند مليك مقتدر**» بعد التصريح بقوله تعالى «**ان المتقين فى جنات و نهر**» نعم ليس للاوساط من المؤمنين الاجنات تجرى من تحتها الانهار دون جنة اللقاء.

و حيث ان درجات الجنة عدد الايات القرآنية مع ما بين كل درجة من البون البعيد فعلى المتخلق بخلق عظيم ان يأتسى و يقتدى بمن هو نفسه خلق عظيم و هو رسول الله صلى الله عليه و آله اذ قال رب زدنى علماً فيقول هو ايضاً رب زدنى علما و لا يقف على حدو لا يكتفى به بل عليه ان يقرء و يرقأ و يقتحم العقبة و لا يقتصر على السهلة فاذا كان امامه قوله اذكرونى اذكركم ، لا مجال له ان يكتفى بقوله تعالى: «**اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم**» لما بين ذكر الله و ذكر نعمة الله من الفصل البالغ و اذا كان قدامه قوله تعالى «**عيناً يشرب بها عبادالله يفجرونها تفجيراً**» لايمد عينيه الى قوله تعالى: «**ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافوراً**»

لان تلك العين التى يشرب بها عبادالله تكون خالصة محضة و اما الذى يشرب به الابرار فهو ممزوج بمقدار ما من تلك العين لانفس تلك العين فللابرار شراب ممزوج و للمقربين شراب خالص حسبما يستفاد من آيات آخر ايضاً نحو قوله تعالى: «**و يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ـ عيناً فيها**

---

(١) سورة القمر آية ٥٥

تسمى سلسبيلا»(١) و قوله تعالى: «يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك و في ذلك فليتنافس المتنافسون. و مزاجه من تسنيم. عيناً يشرب بها المقربون»(٢) حيث يدل على ان الابرار يشربون من رحيق ممزوج من تسنيم لا الخالص منه لان الخالص من تسنيم انما هو للمقربين الذين هم فوق الابرار و هم شاهدون كتب الابرار و يشهدون صحائفهم.

و اذا كان امامه قوله تعالى: «و سقيهم ربهم شراباً طهوراً»(٣) لا يكتفى بما اكتفى بهاالمقربون فضلا عن الابرار فاقرء يا صاحبي هذا القول الذى لم يوجد فى القرآن الكريم الا فى موضع واحد لاند له و اقضى العجب من لطفه تعالى لعباده المخلصين و تدبره حتى تجد اموراً نشير اليها:

الاول ان الساقى ههنا هو الله دون غيره من الموارد حيث قيل هناك ـيسقون و قيل ههنا (سقى)

الثانى ان الشراب ههنا لم يجعل وعاء و لم يعين له آنية و لم يقرر له كأس و لم يبين له رحيق حيث لا يسعه وعاء و لا آنية و لا كأس و لا رحيق اذ لا قدر و لا حد و لا نصاب و لا منتهى لشراب يكون ساقيه هو الله تعالى دون غيره من الاشربة حيث قد عين لها اوعية و اوانى و نحوها.

الثالث ان الشراب ههنا لم يجعل له عين يذخر فيها او ينبع منها و ما الى ذلك دون غيره من اشربة الابرار او المقربين حيث عين لها عيون و مخازن خاصة يخزن فيها و ينبع منها.

الرابع ان الشراب هيهنا قد وصف بما لم يوصف به شراب قط و نعت بما لم ينعت به غيره اصلا و هو قوله تعالى «شراباً طهوراً» و قد فسره

---

(١) سورة الدهر آية ١٨ـ١٧

(٢) سورة المطففين آية ٢٨

(٣) سورة الدهر آية ٢١

من شر به و هو مولينا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقوله «**يطهر هم عن كل شيء سوى الله**»(۱) فهنا لك الرقى و ان الى ر بك المنتهى فاذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا.

فلنرجع الى ما كنا فيه و هو ان الحج بما له من التضحية الخاصة موجب لتقرب قلما يوجد فى غيره فهو ممثل للخلق العظيم بالمعنى المتقدم.

رابعها ان الحج بما له من التعرفة الخاصة التى لا توجد فى غير العرفات(۲) موجب لرقى الانسان الى ذروة عالم الامكان و سنامه و هو الخلق العظيم و اجماله ان ليوم العرفة مقاماً و لمكان العرفات مقاماً و لكن نيل ذلك كله انما يتيسر للحاج الذى يدركهما مع ما لغير هما من الازمان والمواقف المعينة فى الحج و يستعد بذلك لدرك ما هو الحرى بهما و هو الدعاء الذى هو مخ العبادة و كهف الاجابة كما ان السحاب كهف المطر و هو الدعاء الذى لا يكون ذريعة الى قضاء حاجة من الحوائج النفسانية بل يكون هو عين الاجابة و لا يطلب فيه الا الله و لا يطلب فيه الا الغناء عن الحاجة لاقضاء حاجة و لا يطلب فيه الا النزاهة عن الطلب و لا يرجى فيه الا كمال الانقطاع اليه تعالى و لا يقصد فيه الاخرق جميع حجب النور حتى يصير الروح معلقاً بعز العرش و يصل الى معدن العظمة فيصير هو بنفسه عظيماً.

و بيانه بان الله تعالى قد بين قر به من عباده بمراتب و درجات بعضها اقرب من بعض حيث قال تعالى «**و اذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**»(۳) لانه تعالى بادر بالجواب من دون ان يقول تعالى لرسوله

---

(۱) مجمع البيان (۲) وسائل ج۸ص۱۱۳

(۳) سورة البقرة آية۱۸٦

صلى الله عليه و آله ـقل ـ ثم افاد فى الكريمة قربة من عباده.

و لقد اجاد سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائى قدس سره فى تفسيره القيم (الميزان) بقوله: احسن بيان لما اشتمل عليه من المضمون و ارق اسلوب واجمله فقد وضع اساسه على التكلم وحده دون الغيبة و نحوها و فيه دلالة على كمال العناية بالامر ثم قوله عبادى آه و لم يقل الناس و ما اشبهه يزيد فى هذه العناية ثم حذف الواسطة فى الجواب حيث قال فانى قريب و لم يقل ـفقل ـ انه قريب ـثم التأكيد بان ثم الا تيان الصفة دون الفعل الدال على القرب ليدل على ثبوت القرب و دوامه ثم الدلالة على تجدد الاجابة و استمرارها حيث اتى بالفعل المضارع الدال عليهما ثم تقييد الجواب اعنى قوله ـ اجيب دعوة الداع ـبقوله اذا دعان ـ و هذا القيد لا يزيد على قوله دعوة الداع المقيد به شيئاً بل هو عينه و فيه دلالة على ان دعوة الداعى مجابة من غير شرط و قيد كقوله تعالى «ادعونى استجب لكم»(١) فهذه سبع نكات فى الآية تنبىء بالاهتمام فى امر استجابة الدعاء و العناية بها مع كون الآية قد كرر فيها على ايجازها ضمير المتكلم سبع مرات و هى الآية الوحيدة فى القرآن على هذا الوصف ـانتهى.(٢)

فهذه هى المرحلة الاولى التى يثبت فيها اصل قربه تعالى من عباده و المرحلة الثانية ما يثبت فيها كونه تعالى اقرب الى الانسان من الذين يحومون حوله حيث قال: «ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون»(٣) و المرحلة الثالثة مايثبت فيها كونه تعالى اقرب الى الانسان من حبل وريده حيث قال «و نحن اقرب اليه من حبل الوريد»(٤) و المرحلة

(١) سورة المؤمن آية ٦

(٢) الميزان ج ٢ ص ٢٩

(٣) سورة الواقعة آية ٨٥

(٤) سورة ق آية ١٦

الرابعة ما يثبت فيها كونه تعالى اقرب الى الانسان من نفسه حيث قال تعالى «و اعلموا ان الله يحول بين المرء و قلبه»(١) و هو تعالى داخل فى الاشياء و منها الانسان لا بالممازجة و خارج عنها لا بالمباينة و المزايلة.

و للحاج ان يرتحل هذه المراحل الى قصواها حسب ما ورثه من دعاء العرفات و المأثور من قتيل العبرات سيدالشهداء فى الكائنات مولينا الحسين بن على عليه السلام حيث قال عليه السلام يومذاك :

«... هو تعالى للدعوات سامع و للكربات دافع و للدرجات رافع و للجبابرة قامع فلا اله غيره و لا شئ يعدله و ليس كمثله شيء.

و قال: لم تخرجنى لرأفتك بى و لطفك لى واحسانك الى فى دولة ائمة الكفر الذين نقضوا عهدك و كذبوا رسلك لكنك اخرجتنى للذى سبق لى من الهدى الذى يسرتنى وفيه انشأتنى و ...»(فى ذلك اشارة الى الحكومة الاسلامية كما تقدم).

الى ان قال عليه السلام: «**الهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فأجمعنى عليك بخدمة توصلنى اليك كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك و متى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك عميت عين لا تراك عليها رقيباً و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً الهى امرت بالرجوع الى الآثار فارجعنى اليك بكسوة الانوار و هداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السر عن النظر اليها و مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شيء قدير**» الخ.

و هذا هودعاء من سقاه ربه شراباً طهوراً فصار طاهر السرعن النظر

(١) سورة الأنفال آية ٢٤

الى غير الساقى و مصون الضمير عن حب الشراب و ان كان طهوراً لان قلبه صار متيماً بحب الساقى فلا موقع لحب غيره فيه و هذا الدعاء هو الحرى بان يكون مخ جميع العبادات اذهو عبادة صرف لا مجال فيها لظهور غير المعبود و لا مطلوب فيها الا المعبود و لا مقصود فيها الا معرفة المعبود بالمعبود لا بغيره من آيات الآفاق او الانفس.

فهناك يتحد الدليل و المدلول لانه تعالى دل على ذاته بذاته دون غير مانهجه عليه السلام لان ما عدا ذلك اما استدلال عليه تعالى بآيات الآفاق و فى ذلك ينحاز كل واحد من المستدل و الدليل و المدلول بحياله و اما استدلال عليه تعالى بآيات الانفس و فى ذلك و ان يتحد المستدل و الدليل و لكن ينحاز كل منهما عن المدلول و معلوم ان الدليل اذا لم يكن عين المدلول لا يمكن ان يدل عليه حق الدلالة بخلاف ما اذا كان عينه كما فى هذا الدعاء البالغ حيث انه عليه السلام استدل بالله على الله و عرفه من ذاته الظاهر و حكم بانه لا ظهور لغيره تعالى حتى يكون هو المظهر له.

و مثل هذا الدعاء السامى تجده فى ادعية على بن الحسين فى اسحار ليالى رمضان من قوله عليه السلام: «**بك عرفتك و انت دللتنى عليك**» و من قوله: «**ان الراحل اليك قريب المسافة و انك لا تحتجب عن خلقك الا ان تحجبهم الاعمال دونك**» الخ. كما تقف على مثله فى دعاء الصباح المأثور من على بن ابيطالب عليهما السلام: «**يا من دل على ذاته بذاته**».

فتحصل ان الحج من حيث اشتماله على الادعية الخاصه المحفوفة بالبركات الزمانية و المكانية و غيرها ممثل للخلق العظيم.

خامسها ان الحج بما له من التذكرة الخاصة التى قلما توجد فى غيره موجب لشهود الحاج ما لا يشاهده غيره و ذلك ان الحج و ان كان بنفسه ذكراً لله تعالى الا ان المندوب اليه فى بعض حالا ته هو الذكر الموجب

لنسيان غير الله وعدم التباهى به حيث قال تعالى: «**فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ـ ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ـ اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ـ واذكروا الله فى ايام معدودات**...(١)

حيث ان نطاق هذه الآيات هو طرد(٢) السنة الجاهلية بذكر الآباء و الفخر بهم و ذكر القبائل و التباهى بها و التكاثر بذلك و اثبات ذكر الله ذكراً شديداً حيث ان الذين آمنوا اشد حباً لله فذكر هم لله ايضا اشد من ذكر هؤلاء آبائهم.

و الذى ينبغى التنبه له هو ان ذكر الله سار فى الحج و داخل فى مناسكه لا بالممازجة و خارج عنها لا بالمباينة و هو لبها و روحها و كما ان نسيان الله و نسيان آياته يوجب العمى ههنا و سيظهر ذاك العمى يوم القيمة حيث قال تعالى: «... **كذلك اتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى**» (٣) اذ يدل على ان نسيان الله قد اورث العمى كك ذكر الله يوجب البصيرة ههنا فالحاج الذاكر لله تعالى يبصر ما لا يبصره غيره.

و لعله لذا جعل الحاج نفسه حرماً لا يجوز احلاله و هو نفسه شعار من شعائر الله و هو نفسه نور ما لم يقترف ذنباً فانظر بدء الحج و ختمه و اقض العجب.

اما بدئه فقال تعالى: «**ياايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**» (٤) حيث ان الحاج الذى قد ام البيت الحرام و قصده حرم لا يجوز احلاله.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٠

(٢) وسائل ج ١٠ ص ٢١٩ الى ٢٢١

(٣) سورة طه آية ١٢٦

(٤) سورة المائدة آية ٢

و اما ختمه فعن مولينا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام «**انه قال الحاج لايزال عليه نور الحج ما لم يلم بذنب**»(١) فتحصل ان الحج نور و بصيرة و لذا ورد ان تارك الحج يحشر اعمى و هو فى الدنيا اعمى و فى الاخرة اعمى و اضل سبيلا(٢) و حيث ان الحج نور و شهود فهو ممثل للخلق العظيم و لا يتخلق الانسان بخلق عظيم الا ان يصغر مادون الخالق فى نفسه فمن تخلق بخلق عظيم و صار هو بنفسه عظيماً لا يتعاظم عنده شىء اصلا اذهو مظهر الاسم العظيم و افضل من تخلق به هو خاتم الانبياء المنعوت بقوله تعالى «**انك لعلى خلق عظيم**»، و هو صلى الله عليه و آله مظهر لاعظم الاسماء اذ ليس المراد من الاسم الاعظم هو اللفظ الذى يتكلم به و لا المفهوم الذهنى الذى يتصوره النفس بل هو مقام خارجى تناله النفس المتكاملة و عين واقعية تتحقق بها النفس المتعالية.

و لعل السر فى كونه صلى الله عليه و آله مظهراً لاعظم الاسماء هو كونه صلى الله عليه و آله خير من حج و لبى بجميع ما للحج و التلبية من الاسرار و هو صلى الله عليه و آله قال «**ان الله يحب معالى الامور و اشرافها و يكره سفافها**» و حيث ان الثقة بالله ثمن كل غال و سلم كل عال و هو صلى الله عليه و آله كان وثوقاً بربه متكلا عليه و قد يسره الله تعالى لليسرى فلذا تخلق بذاك الخلق العظيم لانه صلى الله عليه و آله كان واجداً لما يشترى به ذاك الغالى و لما يتدرج به الى ذلك العالى و كان حجه صلى الله عليه و آله موازياً لمعراجه حيث قال مولينا الصادق صلى الله عليه و آله فى بيان علة احرام رسول الله صلى الله عليه و آله من مسجد الشجرة انه لما اسرى به الى السماء و صار بحذاء الشجرة نودى يا

---

(١) وسائل ج٨ص٦٨وص٣٢٩-٣٢٧

(٢) وسائل ج٨ص١٧و١٨

محمد قال صلى الله عليه و آله لبيك(۱)

و الحاصل ان الحج بما له من السنن و الاسرار الجامعة يكون من اهم مظاهر الاسلام و كفى بجامعيته ما رواه زرارة عن مولينا الصادق عليه السلام حيث قال: «**جعلنى الله فداك اسألك فى الحج منذاربعين عاماً فتفتينى فقال يا زرارة بيت حج اليه قبل آدم بالفى عام تريد ان تفنى مسائله فى اربعين عاماً**»(۲)

و كذا ما قاله مولينا الباقر عليه السلام انه اتى آدم هذا البيت الف آتية على قدميه منها سبعمأة حجة و ثلاثمأة عمرة(۳) و ما ورد ان صاحب هذا الامر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس و يعرفهم و يرونه و لا يعرفونه(٤) و ما ورد عن مولينا على بن موسى الرضا عليه السلام انه قال انما امر الناس بالحج لعلة الوفادة الى الله عزوجل و طلب الزيادة و الخروج من كل ما اقترف العبد تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل الى ان قال عليه السلام و قضاء حوائج اهل الاطراف فى المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه مع ما فيه من التفقه و نقل اخبار الائمة عليه السلام الى كل صقع و ناحية كما قال تعالى: «**فلولا نفرمن كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين و لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون و ليشهدوا منافع لهم**»(٥)

و ما ورد عن مولينا الصادق عليه السلام فى علة لزوم الحج على العباد... فجعل فيه الاجتماع من الشرق و الغرب ليتعارفوا و...

---

(۱) وسائل ج۸ص٤ ۲۲و۲۲٥

(۲) وسائل ج۸ص۷

(۳) وسائل ج۸ص٩٤

(٤) وسائل ج۸ص٩٦

(٥) وسائل ج۸ص٨و٩

لتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه و آله و تعرف اخباره و يذكر و لا ينسى (١)

و ما ورد منه عليه السلام بعد ما قيل له ان ناساً من هؤلاء القصاص يقولون اذا حج الرجل حجة ثم تصدق و وصل كان خيراً له فقال كذبوا لو فعل هذا الناس لعطل هذا البيت ان الله عزوجل جعل هذا البيت قياماً للناس(٢) و قال عليه السلام «**جعلها الله لدينهم و معائشهم**»(٣) الاصل فى ذلك هو قوام الدين و قيامه و لا جدوى لحج لا قيام فيه للدين و لذا قال رسول الله صلى الله عليه و آله «**يأتى على الناس زمان يكون فيه حج الملوك نزهة و حج الاغنياء تجارة و حج المساكين مسألة**» (٤)

و ما ورد فى الحج من تبين الحق وسعة الرحمة ما لا يتبين فى غيره و ما لا يتسع فيما عداه حيث قال تعالى «**فيه آيات بينات**» (٥) اذ كل ما سوى الله آية له الا ان اسرار الحج آيات بينات له و هناك يشاهد الضيف مضيفه والمضيف يرى نفسه اضيافه بحيث تكون آياته هنا لك بينات.

و اما فى سعة الرحمة فقد ورد عن مولينا ابى جعفر عليه السلام انه قال فى رجل خرج حاجاً حجة الاسلام فمات فى الطريق «**ان مات فى الحرم فقد اجزأت عنه حجة الاسلام**» (٦) فانظر سعة الرحمة و ادب الضايفة .و قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى حجة الوداع لما وقف بعرفة و

---

(١) وسائل ج٨ص٨و٩

(٢) وسائل ج٨ص١٤

(٣ و٤) وسائل ج٨ص٤١

(٥) سورة آل عمران آية٩٧

(٦) وسائل ج٨ص٤٧

همت الشمس ان تغيب: «يا بلال قل للناس فلينصتوا فلما انصتوا قال ان ربكم تطول عليكم فى هذا اليوم وغفر لمحسنكم وشفع محسنكم فى مسيئكم فافيضوا مغفوراً لكم»(۱)

و لعله لهذه المزايا الخاصة للحج قال مولينا الصادق لعيسى بن ابى منصور: «يا عيسى انى احب ان يراك الله فيما بين الحج الى الحج و انت تتهيا للحج»(۲) و قال عليه السلام «ليحذر احدكم ان يعوق اخاه عن الحج فتصيبه فى دنياه مع ما يدّخر له فى الاخرة»(۳) اذ ليس لاحد ان ينأى عن خير كالحج و ينهى عنه بل يلزم ان يرغب بنفسه فيه و يرغب غيره فيه.

و لنكتف فى فضله بنقل ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله لمن قال له يا رسول الله انى خرجت اريد الحج ففاتنى و انا رجل مميل (اى كثير المال) فمرنى ان اصنع فى مالى ما ابلغ به مثل اجر الحاج فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه و آله «فقال انظر الى ابى قبيس فلو ان ابا قبيس لك ذهبة حمراء انفقته فى سبيل الله ما بلغت به ما يبلغ الحاج ثم قال ان الحاج اذا اخذ فى جهازه لم يرفع شيئاً و لم يضعه الاكتب الله له عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات فاذا ركب بعيره لم يرفع خفا ولم يضعه الا كتب الله له مثل ذلك فاذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه فاذا سعى بين الصفا و المروة خرج من ذنوبه فاذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه فاذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه فاذا رمى الجمار خرج من ذنوبه فعد رسول الله كذا و كذا موقفاً اذا وقفها الحاج خرج من ذنوبه ثم قال انى لك ان تبلغ ما يبلغ الحاج قال ابوعبدالله عليه السلام و لا يكتب

---

(۱) وسائل ج۸ص۶۵

(۲و۳) وسائل ج۸ص۱۰۶

عليه الذنوب اربعة اشهر ويكتب له الحسنات الا ان يأتي بكبيرة» (۱)

و لعل المراد من مثل قوله صلى الله عليه و آله فاذا طاف خرج من ذنوبه فاذا سعى... خرج من ذنوبه هو بيان اختلاف تلك الاعمال فى مغفرة الذنوب الخاصة حيث ان كل واحد منها وجب لغفران ذنب خاص او ان الذنوب لما تراكمت و صارت ريناً على صاحبها و حجابا على من اقترفها يكون كل واحد من تلك المناسك موجباً لترقيق قشر من تلك الحجب ورفع غطاء من تلك الاغطية و تسطيح كنان من تلك الاكنة فى القلوب حتى يأتى الحاج ربه بقلب سليم لا كنان فيه و لا صداء عليه و لا حجاب دونه رزقنا الله و اياكم.

خاتمة فى وداع الكعبة وفى بعض مآثر حجة الوداع

كما ان الله تعالى هو الاول الذى لا اول له و الاخر الذى لا آخر له لان اوليته بذاته و كذا آخريته حيث قال تعالى «هو الاول و الاخر» (۲) و كذلك يكون تعالى مبدء صدور الاشياء و مرجع عودها ـ انا لله و انا الى الله راجعون.

كذلك يلزم ان يكون ابتداء كل امر بالتوجه اليه تعالى و ختام كل امر جميل بالثناء عليه تعالى حتى لا يفتتح بامر بدون الاعتصام به و الاتكال عليه و التوجه اليه و لا يختتم بدون حمده و شكره لان الموحد كما يعرف الله تعالى بانه الاول و الاخر و يعرف ان بدء جميع الموجودات منه تعالى و ختمه اليه تعالى كذلك لا يدخل فى امر و لا يخرج منه الا بالتوجه اليه

(۱) وسائل ج۸ ص۷۹
(۲) سورة الحديد آية ۳

تعالى كما ادب الله نبيه صلى الله عليه و آله حيث قال تعالى **«قل رب ادخلنى مدخل صدق و اخرجنى مخرج صدق و اجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً»**(١)

و مقتضى توحده ان يكون محياه و مماته لله رب العالمين فلا يدخل فى الدنيا و لا يخرج منها الا صادقاً و لا يدخل فى البرزخ و لا يخرج منه الا صادقاً و لا يدخل فى المعاد الذى لا خروج منه و لا يبقى و لا يدوم فيه الا صادقاً لان **«الّذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم»**(٢) و لهم لسان صدق و كذا يكونون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

و من اهم تلك الشؤون هو الحج فله بدء يبتدء منه الحاج صادقاً و له ختم يختتم اليه الحاج صادقاً فلذا ودع مولينا على بن موسى الرضا عليهما السلام البيت الحرام بان خر ساجداً ثم قام فاستقبل الكعبة فقال **«اللهم انى انقلب على لا اله الا انت»**(٣) يعنى على التوحيد الشحض و طرد اى شرك كان و هذا هو الحاج الذى لا يزال عليه نور الحج (٤) .

و من ادب الوداع ان يدعو كما عن مولينا الصادق عليه السلام: **«اللهم أقلبنى مفلحاً منجحاً مستجاباً بافضل ما يرجع به احد من وفدك من المغفرة و البركة و الرضوان و العافية مما يسعنى ان اطلب»**(٥) الخ و ان يكون آخر عهده بالبيت ان يضع يده على الباب و يقول: **«المسكين على بابك فتصدق عليه بالجنة»**(٦)

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٠

(٢) سورة يونس آية ٢

(٣) وسائل ج ١٠ ص ٢٣٢

(٤) وافى باب فضل الحج

(٥) وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٢٣١

(٦) وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٢٣٣

و ليكن آخر عهدنا فی هذه الوجيزه الباحثة عن نظام الحج و نبذ من اسراره هو ما يتصدق الله علينا بجنة الحكمة و هی خطبة خاتم النبيين صلی الله عليه و آله الذی اوتی جوامع الكلم و الذی ما كلم العباد بكنه عقله قط(١) حيث لم يكن من يعادله حتی يكلمه بكنه عقله الامن هو نفسه ـو انفسنا و انفسكم ـ (٢) و كيف لا يكون كلامه صلی الله عليه و آله الجنة بعد ما قال صلی الله عليه و آله انا مدينة الحكمة و هی الجنة و انت يا علی بابها.

و كما انه صلی الله عليه و آله قد صلی و قال صلی الله عليه و آله صلوا كما رأيتمونی اصلی و حج و قال صلی الله عليه و آله خذوا عنی مناسككم كذلك ادب الناس و علمهم نظام الحج و اسراره فی خطبته المباركة فی حجة الوداع و لنشر الی نزرمن شذراتها فيما يلی، الجامع لما تقدم فی الصلات المارة و الجهات الماضية.

احدها تهذيب النفس بالتوحيد الخالص و تزكيتها بتولی اولياء الله و تطهيرها عن النفاق و الخلاف حيث قال صلی الله عليه و آله حثاً علی الوعی: نصر(٣) الله عبداً سمع مقالتی فوعاها و بلغها من لم يبلغها رب حامل فقه ليس بفقيه و رب حامل فقه الی من هو افقه منه: ثلاث لا يغل عليهن قلب امرء مسلم ـاخلاص العمل لله و النصيحة لائمة المسلمين و اللزوم لجماعاتهم... ـ فالحاج يعبدالله مخلصاً له الدين و ينصح لائمته و يلازم المجتمع الاسلامی كما قال علی عليه السلام: «**وليس رجل احرص علی جماعة امة محمد صلی الله عليه و آله و الفيتها منی ابتغی بذلك**

---

(١) كافی كتاب العقل والجهل

(٢) آل عمران آيه ٦١

(٣) وفی نسخة نضرالله عبداً ـ ای جعل وجهه من الوجوه الناضرة يوم القيمة.

حسن الثواب و كرم المآب»(١)

ثانيها تأمين الناس على الدماء و الاموال حيث قال صلى الله عليه و آله: «**ان الله حرم عليكم دمائكم و اموالكم... و لا تعثوا فى الارض مفسدين فمن كانت عنده امانة فليؤدها**». فالحاج امين لا عراض الناس و اسرارهم لان قلوب الاحرار خزائن الاسرار.

ثالثها تسوية الناس بآحادهم و قبائلهم حيث قال صلى الله عليه و آله: «**الناس فى الاسلام سواء: لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بتقوى الله...**» فالحاج يستوى و يساوى و لا يرى لنفسه فضلا على غيره و لا لقومه تقدماً على قوم آخر و يرى الاحاد و الشعوب سواسية.

رابعها تطهير المجتمع الاسلامى عن السنن الجاهلية الجهلاء فى الاموال و الدماء و البغضاء و الشحناء. حيث قال صلى الله عليه و آله: «**كل دم كان فى الجاهلية موضوع تحت قدمى... و كل رباء كان فى الجاهلية موضوع تحت قدمى و اول رباء اضعه ربا العباس بن عبدالمطلب... فالحاج لا يجرمنه شنآن قوم ان يعتدى و لا يجره حب الدنيا الى ان يأذن بحرب من الله و يقول انما البيع مثل الربا لانه يعلم ان الله تعالى يمحق الربا و يربى الصدقات**».

خامسها تكريم النساء كالرجال و تعديل الحقوق التى لهن عليهم و لهم عليهن حيث قال صلى الله عليه و آله: «**اوصيكم بالنساء خيراً... و لكم عليهن حق و لهن عليكم حق و كسوتهن و رزقهن بالمعروف**» فالحاج يرى قوله تعالى: «**و جعل بينكم مودة و رحمة**»(٢) و يشاهد قوله تعالى:

---

(١) نهج البلاغة كتاب ٧٨

(٢) سورة الروم آية ٢٠

«هن لباس لكم وانتم لباس لهن»(١) و يراعى قوله تعالى **«و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف»**(٢)

سادسها تحبيب العمال و تفقد الخدمة حيث قال صلى الله عليه و آله: **«اوصيكم بمن ملكت ايمانكم فأطعموهم مما تأكلون و البسوهم مما تلبسون»** فالحاج يتحبب الى من يخدمه و لا يستعلى عليه بل يجتمع معه على مائدة و يلبسه ما يتلبس به و لا يتزىء و لا يتفوه بقوله انا احسن منك اثاثا و رئياً.

سابعها تنسيق المجتمع الاسلامى على نسق العدل و الامانة حيث قال صلى الله عليه و آله **«ان المسلم اخ المسلم لا يغشه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحل له دمه ولا شيء من ماله الا بطيب نفسه»** فالحاج مع اى مسلم آخر اخ له فى الدين ابوه النور و امه الرحمة و هو طيب لا يحن الا نحو الطيب.

ثامنها تكليف المجتمع الاسلامى برسالة التبليغ و الاهتمام بالمسؤلية حيث قال صلى الله عليه و آله انكم مسؤلون فليبلغ الشاهد منكم الغائب: فالحاج فقيه يحمل الفقه الى اى مسلم آخر لم يوفق الحضور فى المواقف و لم يدرك الحرمين و مجامعها.

تاسعها تعليم الناس باهم فرائض الاسلام و هو الاعتصام بالثقلين الذين تركهما رسول الله صلى الله عليه و آله فى امته حيث قال صلى الله عليه و آله: **«انى خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله و عترتى اهل بيتى»** فالحاج يعتصم بحبل الله و من اعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم.

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٨

عاشرها تولية اميرالمؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام و جعله ولياً للمسلمين حيث قال صلى الله عليه و آله: «**من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاده**» و بذلك يكمل الدين و يتم النعمة.

الى هنا انتهى ما جرى على اليراع و لقد اوتيت جوامع هذه الكلم فى سفر الحج و لم يتيسر لى تنسيقها مرة بعد اخرى بل كنت اكتب كل ما نفث فى الروع سفراً كان او حضراً حرماً كان او حلافان و فى بشىء من اسرار الحج فلله المنة و الا فليعذرنى الكرام و لكنه جرعة من ماء زمزم الذى كان رسول الله صلى الله عليه و آله يستهديه و هو صلى الله عليه و آله بالمدينة و لعله يصير شرابا طهوراً لمن اتى الله و لباه بقلب سليم دعويهم فيها سبحانك اللهم و تحيتهم فيها سلام و آخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين.

عبدالله الجوادى الآملى

۲۷ربيع المولود۱۴۰۳-۲۰/۱۰/۶۱

موقف ابن سينا تجاه النبوة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله

و بعد فيقول المفتاق الى الله، عبدالله الجوادى الطبرى الآملى هذه وجيزة حول «موقف ابن سينا تجاه النبوة» حررتها بمناسبة الذكرى الالفية لهذا الحكيم المتأله الفذ اللبيب الاروع(١)

فاعلم: ان البحث عن معنى النبوة، و عن انقسامها الى قسمين، و عن بيان ما هو المراد منهاهنا، و عن اثباتها، و كذا البحث عن خصائصها و لوازمها: من الوحى و الاعجاز و العصمة و الانذار بالغيب و ما الى ذلك من المسائل الخاصة ففيما يلى من الفصول القادمة.

الفصل الاول
فى معنى النبوة واقسامها و بيان المراد منها فى هذا الموقف

ان النبوة* موهبة الهية ينالها الانسان الكامل فى عقليه النظرى و

(١) القصيدة العينية لابن سينا

العملى ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن الله، و يهديهم فى الدنيا الى نظام العدل، و فى الاخرة الى النعيم الابدى.

و هى ـ اى النبوة ـ على قسمين: احديهما النبوة الخاصة التى يتصف بها شخص معين فى الخارج كنبوة خاتم الانبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه و آله.

و الاخرى: هى النبوة العامة التى لا اختصاص لها بشخص معين دون غيره؛ و هذا القسم هو المراد منها فى هذا الموقف، اذ النبوة الخاصة لكونها امراً شخصياً فى الخارج مما لا يمكن البحث الفلسفى حولها؛ و لا مجال لاقامة البرهان عليها نفياً و لا اثباتاً، اذ المعتبر فى مقدمات البرهان هو ان تكون كلية دائمةً(١) كما يعتبر ان تكون اوليه ذاتية، و من هنا يحكم بان الشخص الخارجى حيث انه يتغير و يزول لا يقام عليه البرهان. فتحصل: ان النبوة ما هى و ان المبحوث عنه هنا ما هو(٢)

الفصل الثانى
فى اثبات النبوة العامة وضرورتها

ان البحث حول النبوة و ضرورتها بلحاظ نظام الكل مسئلة فلسفية حيث انها بحث عن وجود شىء لا يتخصص بتخصص طبيعى و لا رياضى كما فى موطنه(٣) و الكلام هنا متمحض فى النبوة. و اما الشريعة التى هى من آثارها و فروعها المترتبة عليها فلا بحث عنها هنا،

---

(١) الفصل الاول فى المقالة الثانية من برهان الشفاء

(٢) المبدء والمعاد لصدر المتألهين ص٤٨٨

(٣) الفصل الاول من المرحلة الاولى من الاسفار

فمنه ينقدح ان بعض الاصول و القواعد التى قررها فى الشفاء(١) و الاشارات و غير هما لا ثبات الشريعة و بيان ما يَسنّه النبي و يشرعه الشارع خارج عن مصّب المقال. و لما كان القياس مؤلفاً من مقدمتين فقط، فلو تقرر هناك مقدمات فوق اثنتين، فمأل ذلك: اما الى القياس المركب من الاقيسة التى بعضها تلو بعض، و اما الى بيان مطلوب آخر لا مساس له بما هو مدار الكلام (٢)

ثم ان الذى يستدل به لضرورة النبوة هو: ان الانسان مدنى بالطبع، و كل مدنى بالطبع يحتاج الى قانون، فالانسان يحتاج الى قانون؛ و كل قانون يحتاج الى مقنن، و المحتاج الى المحتاج الى شيء يحتاج الى ذلك الشيء، فالانسان محتاج الى مقنن. و سيأتى بيان ذلك المقنن.

اما كون الانسان مدنياً بالطبع ـ اى طبعه مجبولا على الاجتماع (٣) و التعاون فى الجملة ـ فلانه يحتاج فى غذائه و لباسه و مسكنه و سائر شؤونه الضرورية الى الفلاحة و الصنعة و نحوهما؛ بخلاف غيره من الحيوانات، حيث ان ساهرة الطبيعة موائد مطروحة لها، و جبالها و كهوفها و اوديتها مأوى لها؛ كما ان ما معها من الجلود و الاشعار و الاصواف و الاوبار و الرياش البسة لها؛ فلذا يمكن لكل واحد منها الحياد عن غيره و الانفراد بنفسه يرتع و يلعب.

و اما الانسان فلو اراد ان يعيش عيشاً انسانياً يصحبه الرقّى و الابداع و اراد ان ينجو عن البهيمية و السبعية، فلابد من ان يجتمع مع غيره ليتصدى كل واحد منهم عملا خاصاً من الصنعة و نحوها؛ و هذا

---

(١) الفصل الثانى من المقالة العاشرة من الهيات الشفاء

(٢) المصدر السابق

(٣) الفصل الرابع فى النمط التاسع

هو الاصل المعنيّ به كون الانسان مدنياً بالطبع، والا بقى منبتاً وحده لا ظهراً أبقى و لا ارضاً قطع؛ فالمراد من التمدن هنا هو هذا الاجتماع الخاص (١) لا التمدن المخصوص المعهود ـ اى التعاون على البر والتقوى ـ لان الانسان ليس مجبولا طبعه على المدنيّة بهذا المعنى المتعالى.

و اما ان كل مدنى بالطبع يحتاج الى قانون، فلان الاجتماع المذكور لابد فيه من معاوضة و معارضة فى الاعمال، حتى يصير عمل كل واحد منهم عوضاً عما يناله من الغير و معرضاً لان يبذل بحذائه شيء، اذ لو لا المعاوضة لما اقدم احد على عمل للغير و لا رضى احد باعطاء ما له غيره؛ و من المعلوم: ان المعاوضة تحتاج الى ضابط خاص هو القانون الضامن للقسط، المصون عن حيث الافراط و جور التفريط، المانع عن الاستيفاء عند الاخذ و التطفيف عند الاعطاء.

و اما احتياج القانون الى مقنن، و كذا احتياج الجامعة الانسانية الى ذلك المقنن، فواضح لا مِرْيَة فيه؛ اذا القانون عبارة عن عدة احكام منضودة كافلة لسعادة المعيشة، فهو امر علمى و وضعى خاص، فلا توجد بنفسه فى الخارج، بل لابد له من عالم به و اياه، حتى ينضبط و يتقرر فى نفسه فتناله الجامعة الانسانية بعد ذلك علماً و عملا **«ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة»**

فتحصل: ان الانسان لكونه مدنياً بالطبع يحتاج الى من يضع له قانوناً يعيش هو فى ضوئه.

ثم انه لابد ان يكون ذلك المقنّن انساناً يحاورهم و يخاطبهم (٢)، و يجيب اسئلتهم و يسمع جوابهم، ويحلّ ما اعتاص عليهم، و يكون اسوة

(١) المصدر السابق
(٢) الفصل الاخر من كتاب النجاة

لهم؛ اذ لو لا ذلك ـ بان كان مثلا ملكاً سماو ياً ـ لا نقطع الارتباط و سُدّ اللقاء و الاحتجاج و الائتساء. كما انه لا يمكن ان يكون ذلك الواضع هو فرداً او افراداً من اوساط الناس لهم ما لغير هم من العقول والافكار و الملكات، و الا لا انقاد له الناس و لا تقبله الجامعة الانسانية، بعد ان كان «**حكم الامثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحداً**»

بل لابد ان يكون ذلك الواضع انساناً متألّها(١) اوحدياً، له من العقل و الملكة الخلقية ما ليس لغيره ـ حسب ما يأتى فى الفصل القادم ـ لان الاوساط من الناس لا ينزهون من الزهو و الهوى، فيرون ما لهم حقاً و ان كان باطلا، و ما عليهم باطلا و ان كان حقاً؛ حيث انهم يحومون حوم انفسهم، لانهم «**اما ظالمون لا نفسهم و اما مقتصدون**»(٢) بخلاف ذلك الانسان الاوحدى الذى يحوم حوم ربه، لانه «**سابق بالخيرات باذن ربه**»(٣) فلا يسع هولاء ان يضعوا القانون المنزه عن ان يشوبه الحيف و الجور، اذ النزاع و المناقشة قد رسخ فى طباعهم؛ و من المعلوم: انّ الموجب للنقاش و الحوار المذموم «**و هو الطبع المجبول عليه اكثر الناس**» لا يمكن ان يصير رافعاً للنزاع و عاملا للانسجام والوحدة؛ فلا مجال لتصدى من هو من اوساط الناس لذلك اصلا.

فتحصل: ان المجتمع الانسانى يحتاج الى الانسان الاوحدى المتاله الصالح لبيان القانون.

ثم ان وجود مثله خير و صلاح بالقياس الى النظام الكلى و النضد العالمى، و لا اشكال فى ان وجوده ممكن ذاتاً و وقوعاً؛ كما لا ريب فى ان كل ما هو خير للنظام و ممكن كك يكون معلوماً للمبادىء الأوّل، سيما

---

(١) الفصل الثانى من المقالة العاشرة من الهيات الشفاء

(٢) سورة فاطر آية ٣٢

(٣) المصدر السابق

مبدأ المبادى، و هو الله تعالى رب العالمين؛ و كل ما هو معلوم له تعالى بالعناية يجب تحققه(١) و يمتنع عدم صدوره، حيث ان الاصلح بنظام الكل واجب و ان لم يكن ما هو الاصلح بالقياس الى الفرد او الافراد الخاصة كك (٢)؛ و المراد من وجوب التحقق هنا: هو انه يجب صدوره من الله تعالى، لا انه يجب عليه تعالى، اذ لا يجب عليه شىء و لا يحكم عليه شىء «ولا يسئل عما يفعل وهم يسألون».

و لما كان ذلك خيراً او اصلح بالقياس الى نظام الكل، و هو مطابق للحكمة و مقدر فى العناية الاولى، فهو موجود فى جميع الاعصار؛ و هذا هو (النبوة العامة) التى لا تنحصر فى عصر ولا فى شخص، بل يتحقق و يستمر ما بقى الدهر؛ و يمكن ان يكون معنى بقائها هو بقاء ما جاء به، و هو الدين الكامل التآم الذى جاء به افضل الشارعين من حيث دوام اصل النبوة. و قد تقدم: ان للنبوة شريعة(٣) تترتب عليها، و هى مما يقررها النبى بوحى من الله: من العبادات، و الاحكام، والتبشير، والانذار، و نحوها مما هو خارج عن البحث.

تنبيه

ان البرهان المتقدم انما يدل على ضرورة النبوة للجامعة الانسانية بما لها حياة انسانية، اذ الانسان موجود دائمى لا ينعدم اصلا، بل ينتقل من دار الى اخرى؛ و حيث ان له معاداً يرجع اليه و هدفاً نهائياً ينتهى هو اليه، و ذلك ـ اى المعاد ـ امر ضرورى لا ريب فيه، فلابد له من طريق

---

(١) الفصل الثانى من المقالة العاشرة من الهيات الشفاء

(٢) الفصل الرابع من النمط التاسع من شرح الاشارات

(٣) المصدر السابق

يصل اليه؛ اذ الهدف بدون الطريق ممتنع فيكون وجود السبيل اليه ضرورياً لا ريب فيه ايضاً؛ وحيث ان السبيل لابد لها من الهادى الذى يسير هو بنفسه على متن تلك السبيل و يدعو الناس اليها على بصيرة، فيكون الانسان الاوحدى المتاله الهادى الى سبيل الهدف الحق ايضاً ضرورياً لا ريب فيه، ولذا استدل فى الاشارات لضرورة النبوة بعد البحث عن عدة مقامات و درجات للانسان السالك الى الله(١) كما افاده المحقق الطوسى(ره) هنا حيث قال(٢): لما ذكر (ابن سينا) فى الفصل المتقدم ان الزهد و العبادة انما يصدران من غير العارف لاكتساب الاجر و الثواب فى الاخرة، اراد ان يشير الى اثبات الاجر والثواب المذكورين، فاثبت النبوة و الشريعة و ما يتعلق بها على طريقة الحكماء، لانه متفرع عليهما.

فتحقق: ان مدار الاستدلال هو تأمين الحياة الحقيقية للجامعة الانسانية، لا التعيش الاجتماعى اىّ تعيش كان، و الا امكن ان يكفيه نوع من السياسة غير الدينية ايضاً؛ كما اشار اليه الشارح المحقق فى ذيل الفصل(٣) المبحوث عنه بقوله: ثم اعلم ان جميع ما ذكره الشيخ من امور النبوة و الشريعة ليست مما لا يمكن ان يعيش الانسان الا به، انما هى امور لا يكمل النظام المؤدى الى صلاح حال العموم فى المعاش و المعاد الا بها، و الانسان يكفيه ان يعيش فى نوع من السياسة يحفظ اجتماعهم الضرورى و ان كان ذلك النوع منوطاً بتغلب او ما يجرى مجريه، و الدليل على ذلك تعيش سكان اطراف العمارة بالسياسات الضرورية.

---

(١) الفصل الثالث فى النمط التاسع من شرح الاشارات

(٢) الفصل الرابع من النمط التاسع

(٣) المصدر السابق

فتبين: ان ما افاده المحقق الطوسى (ره) شرح و بيان للبرهان، لا انه نقد و تزييف له؛ و مما يؤيده ان ابن سينا نفسه قد قرر فى (علم النفس من الشفاء)(١٨) كون الانسان مدنياً و نحوه من الاصول و المقدمات لبيان لزوم نوع من الثقافة و الادب الخاص و اللغة و الفن و الصنعة و نحو ذلك فى الجامعة الانسانية، لا لبيان ضرورة النبوة؛ اذ المراد من تلك المقدمات هنا لك هو بيان الحياة الاجتماعية للانسان، لا الحياة الحقيقية الابدية التى لا يتحقق الا بالامور المعنوية، فراجع. و مما يرشد الى ان نظر المحقق الطوسى(ره) ليس هو النقد و التزييف للبرهان بل بيان حوزة دلالته و عرصة حجيته، هو استدلاله بمثله فى (التجريد)(١٩) لضرورة النبوة؛ و هكذا تلامذته فى العلوم العقلية، كالعلامة(٢٠) و الكاتبى(٢١)(ره)

فتحصل مما تقدم: ان النبوة موجودة ضرورة كما قال فى (الشفاء)(٢٢): فواجب اذن ان يوجد نبى و واجب ان يكون انساناً

و لا مجال حينئذٍ لشبهة البراهمة او غيرهم، كما بحث عن ذلك مستوفى فى (نقد المحصل ص٣٥٨)

* * *

---

(١٨) الفصل الاول من المقالة الخامسة من كتاب النفس من الشفاء

(١٩) المقصد الرابع من كتاب التجريد مع اسلوب كلامى و كذا فى الباب الرابع من قواعد العقائد

(٢٠) المقصد الرابع من كتاب التجريد

(٢١) المقالة الخامسة من ايضاح المقاصد من حكمة عين القواعد

(٢٢) الفصل الثانى من المقالة العاشرة من الهيات الشفاء

الفصل الثالث
فى بيان خصائص النبوة ولوازمها

بعد ما تبين لزوم النبوة و ضرورة تحققها بالهلية البسيطة، يلزم البحث حول خصائصها و الكمالات المعتبرة فيمن ينال تلك الموهبة الالهية، و هذا هو البحث عنها بالهلية الركبة. و اصول تلك الخصائص: هى الوحى و الاعجاز و العصمة و الانذار بالغيب؛ و الدليل على اثبات تلك الخصائص للنبوة امران: احدهما ان النفس الناطقة ما لم تتصف بتلك الاوصاف لا تنال موهبة النبوة تكو يناً و لا تمس كرامتها خارجاً؛ و ثانيهما ان النفس الناطقة التى تدعى النبوة من الله تعالى ما لم تتصف بتلك الصفات التى تختص به ولا توجد فى غيره، لا يقبل منها و لا يخضع عندها و لا يسلم لديها، اذ لا ميز حينئذٍ بينها و بين غيرها من النفوس الناطقة اللواتى لا وساط الناس؛ و مأل تلك الخصائص هو كمال قوتيه: النظرية و العملية.

فأما بلحاظ القوة النظرية ـ اى القوة التى بها يتأثر الانسان من فوق ـ فبان يبلغ عقله (اى عقل مدعى النبوة) مرتبة العقل المستفاد من العقل الفعال فى النفوس، باخراجها من القوة الى الفعل، و كان له فى نيل المطلوبات العلمية قوة الحدس بحيث **«يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار»** اى كاد ان يتعلم العلوم و ينالها بلا معلم. و كما ان للحدس طرف نقصان و ضعف بحيث ينتهى الى حد كانه لا وجود له اصلا، كك يتناهى فى طرف الكمال و القوة الى حد كانه ظفر بكل المطلوبات او اكثرها دفعة او قريباً من دفعة بلا حركة فكرية اصلا؛ فيرتسم فى نفس من بلغ هذا الحد النهائى العلوم التى فى العقل الفعال بلا تدرج ارتساماً

بلا تقليد، بل مشتملا على الحدود الوسطى؛ اذالتقليد فى الامور التى انما يعرف باسبابها ليس يقيناً عقليا. و هذا ـ كما صرح به فى الشفاء ـ ضرب من النبوة، بل اعلى قوى النبوة؛ و الاولى ان يسمى هذه القوة (قدسية) و هى على مراتب القوى الانسانية(٢٣).

فاذا بلغ عقله النظرى هذا الحد من التلقى تشايعه و يحاكيه قوته التخيليّة و الحس المشترك (٢٤)، فحينئذٍ يتلقى المعارف الالهية و المحتوى العقلى بعقله المستفاد، و يرى الملك الامين الحامل لذلك الوحى الالهى، و يسمع كلامه المنضود الذى نزل به بتخيله و حسه المشترك ؛ و هذه الخصيصة هى المعجزة العلمية التى يكون الخواص لها اطوع(٢٥) من المعجزة الفعلية التى يكون العوام لها اطوع، حيث انه بلغ حداً يعجز عن بلوغ مثله غيره، و رأى فواده ما لا يراه أفئدة غيره، و شاهد بصره و بصيرته ما لا يشاهده ابصار غيره و لا بصائرهم، و أتى بعلم لا يقدر على الا تيان بمثله غيره، و يدعو الى امر لا يدعو اليه غيره. و يتلو هذا الاعجاز معجزة اخرى، و هو الانذار بالغيب و الاعذار به، حيث انه يدرك و يعلم ما يقع فى المستقبل؛ هذا هو القول الاجمالى حول كمال قوته النظرية(٢٦)

و اما بلحاظ القوة العملية ـ اى القوة التى بها يؤثر الانسان فيما دونه(٢٧)ـ فبان يبلغ عقله العملى شأواً قاصياً يكون عالم الطبيعة الخارجية بمنزلة البدن له، و يكون هو بمنزلة النفس لها؛ فكما ان النفس

---

(٢٣) الفصل السادس من المقالة الخامسة من علم النفس من الشفاء

(٢٤) الفصل العشرون من النمط العاشر من الاشارات

(٢٥) الفصل الرابع من النمط التاسع من الاشارات

(٢٦) رسالة الفعل والانفعال لابن سينا

(٢٧) الفصل الاول من المقالة الخامسة من كتاب النفس من الشفاء

تُدَبّر البدن و تديره، كك يكون قوته العملية قاهرة على الطبيعة و مسيطرة عليها هيمنة النفس على البدن(٢٨)؛ كل ذلك باذن الله تعالى «**فيبرىء الاكمه و الابرص و يحيى الموتى باذن الله**» و يقلب العصا «**حية تسعى**» باذن الله.

و هذه الخصيصة هى المعجزة الفعلية التى يكون العوام لها اطوع، كما ان الخواص للمعجزات العلمية اطوع.

و من تلك الخصائص، العصمة و هى ايضاً انها تتحق عند كمال القوتين ـ النظرية و العملية ـ اذ العصمة على قسمين: احدهما يرجع الى العلم، و الاخر يرجع الى العمل. اما القسم الاول ـ اى العصمة فيما يرجع الى العلم ـ فبان يكون النبى معصوماً فى جميع شؤونه العلمية و ابعاده الادراكية؛ وقد تبين (عند تشريح كمال قوته النظرية) انه يتلقى الوحى من لدن حكيم عليم بعقله المستفاد، و يتمثل له تلك المعارف المتلقاة فى حسه المشترك ؛ و حيث انه لا يداخله الوهم و لا يلعب به سائر القوى المقهورة، فلا يرى الا الحق و لا يعقل الا الحق؛ كما انه لا يتمثل له الا الحق، لانه بلغ حداً يدور به مدار الحق حيثما دار «**فلا يكذب فؤاده ما رأى و لا يزيغ بصره ولا يطغى**»(٢٩) لانه ينال المعارف من لدن حكيم عليم و لا مجال للخطاء هناك ، اذ لا واسطة بين العارف و منشأ عرفانه، و لذا يعبر عنه (بالعلم اللدنى) لانه من لدنه، و الا لم يكن لدنيا؛ و ليس المراد من العلم اللدنى علماً خاصاً له موضوع مخصوص و محمول خاص و هكذا، بل العلم بلحاظ استفادته من لدن معلم الهى يسمى لدنيا، كما انه بلحاظ استفادته من الجداول المنشعبة عنه يكون غير لدنى.

---

(٢٨) الفصل السادس والعشرون من النمط العاشر

(٢٩) سورة والنجم آية ١١ و١٧

فاذاً تم نصاب العصمة العلمية فى هذه المرحلة ـاى مرحلة التلقى و الاخذـ تصل النوبة الى العصمة فى المرحلة الثانية (وهى مرحلة الحفظ والضبط) بحيث يكون النبى معصوماً عن السهو ايضاً.

و الدليل عليه هو مامر: من ان القانون الكافل لسعادة الانسان هو الوحى الالهى لاغيره، فاذا لم يكن ذلك الوحى المتلقى من لدن معلم الهى (و هو العقل الفعال) مصوناً عن الزوال و معصوماً عن السهو لما كان له جدوى. اضف الى ذلك: ان العقل المستفاد لدوام حضوره و شدة شهوده تجاه العقل الفعال لا مجال لنسيانه او سهوه و خطائه، فلا ينسى ما اقرئه ذلك العقل الفعال باذنه تعالى؛ فنعم ما قال ابن سينا «... الانبياء عليه السلام لا يؤتون من جهة غلطاً و لا سهواً»(٣٠)

و النكرة فى سياق النفى يفيد العموم فيما يرجع الى هاتين المرحلتين ـاى مرحلة تلقى المعارف الالهية حيث لا يتطرق اليها الغلط اصلا، و مرحلة حفظ تلك المعارف و صيانتها عن الزوال حيث لا يتطرق اليها السهو اصلاـ و حاصل ذلك: صيانة الوحى و عصمته عن تطرق الباطل حدوثاً و بقاء.

و من هنا يتضح: لزوم العصمة فى المرحلة الثالثةـ اى مرحلة الابلاغ و البيانـ بحيث لا يبلغ الاعين ما اوحى اليه و لا يملى «و لا ينطق عن الهوى»(٣١) اصلا، بل لا ينطق الا عين ما اوحى اليه ايضاً؛ فلا يسهو و ينسى فى البيان، كما انه لا يسهو و لا ينسى فى الحفظ و الضبط. هذا هو المقال حول القسم الاول ـاى العصمة العلميةـ.

و اما القسم الثانى ـاى العصمة العمليةـ فبان يكون النبى معصوماً

---

(٣٠) الفصل الثامن من المقالة الاولى من الهيات الشفاء

(٣١) سورة والنجم آية ٣ و ٤

فى جميع شؤونه العملية و ابعاده الفعلية، بحيث يفعل ما ينبغى ان يفعل و يترك ما ينبغى ان يترك ، حتى يكون جذبه و دفعه اى حبه و بغضه فى الله؛ و تفصيله فى موطنه المعد لتحليل معنى التولى و التبرى و بيان المراد منهما.

فتحصل مما تقدم: ان للنبوة خصائص لابد من تحققها معها، و هى الوحى و الاعجاز و الانذار بالغيب و العصمة؛ فالنبى انسان اوحدى متأله يوحى اليه و يعلم الغيب و يقدر على ما يعجز عنه غيره و لا يغلط و لا يسهو و لا ينسى و لا يعصى الله، و هو بامره يعمل كل ذلك بتوفيق من الله تعالى و اذن منه؛ و هو تعالى «**اعلم حيث يجعل رسالته**» قال فى (الشفاء)(٣٢)... و واجب ان تكون له (اى للنبىّ) خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه امراً لا يوجد لهم، فيتميز به منهم، فيكون له المعجزات.

الفصل الرابع
فى بيان ما ورثه الحكماء المتأخرون وما تأثروا به من موقف ابن سينا تجاه النبوة

ان المتتبع لآثار ابن سينا القيّمة ـ كالشفاء و الاشارات و التنبيهات و النجاة و كذا بعض رسائله المعمولة فى علم النفس ـ اذا فحص و تتبع كتب من تأخر عنه من تلاميذه او غيرهم يجد كثيراً منها قد ورث و تأثر بما افاده ابن سينا، سيما فى خصائص النبوة من الوحى و الاعجاز و نحوهما؛ و اليك ما فى (التحصيل) و (حكمة الاشراق) و (التلويحات) و

(٣٢) الفصل الثانى من المقالة العاشرة

(المطارحات) و (شرح الاشارات) و (المباحث المشرقية) و هكذا فى كتب المحقق الداماد، و صدرالمتألهين، و غير ها من الكتب القيمة للحكماء المتألهين، مع اختلافهم فى المبانى و الاسس الاستدلالية.

و لقد اشار الى تلك الخصائص الحكيم السبزوارى فى (منظومته) حيث قال: -على وزان المبدء و المعاد لصدر المتألهين-

اصول الاعجاز او الكرامة خصائص ان تقوى العلاّمة
كما خمود الحدس يبلغ انتها يصعد فى شدته غايتها
فيها يكاد زيتها يضىء وصل و فيه لاتهدى من احببت نزل
أعيى اطباء النفوس ذا السقم ذاك بلا لوح قرى اعلى القلم الى ان

قال:

و اول اصل الاصـــــول و لذا فالذكر اعلى المعجزات اخذا

انتهى. و هذا بحذاء ما قال فى (الاشارات) عند بيان قوى النفس: اوليها قوة استعداية و هى (المشكاة) و يتلوها ما هو المتهيأ للاكتساب اما بالفكرة و هى (الشجرة الزيتونة) او بالحدس فهى (زيت) يسمى عقلا بالملكة و هى الزجاجة، والبالغة منها قوة قدسية «**يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار**» الخ. و قال الطوسى (ره) لما كانت الاشارة المترتبة فى التمثيل المورد فى التنزيل لنور الله تعالى و هو قوله عزوجل «**الله نور السموات**» الآية، مطابقة لهذه المراتب؛ و قد قيل فى الخبر «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**» فقد فسر الشيخ تلك الاشارات بهذه المراتب، انتهى.

ختام فى بيان ماورثه ابن سينا من الكتاب والسنة وما تأثر به من هذا الثقلين فى لزوم الوحى وضرورة النبوة وخصائصها

ان العقل الانسانى -حسبما يستفاد من القرآن الكريم- و ان كان

نعمة الهية، ولكنه وحده غير كاف لتأمين السعادة الانسانية؛ لان الانسان موجود له عوالم ومراحل ينتقل من بعضها الى آخر، فعقله القاصر عما ورائه ليس بكافل لهدايته الى ما فيه سعادة معاشه و معاده، فلذا ينادى القرآن الكريم بضرورة النبوة. و ان السنة الالهية لا تترك الانسان سدى، و لا تنفك عنه و لا هو ينفك عن تلك السنة الالهية التي «تعطى كل شئ خلقه ثم تهديه» كما قال -عز من قائل- «**لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب و المشركين منفكين حتى تأتيهم البينة**» اى لا انفكاك بين الانسانية و بين البينة -اى الرسالة الالهية- اصلا؛ و هذا اعنى عدم الانفكاك من مقتضى السنة الالهية؛ و نظير ذلك بان يقال: لا يكون الشجر و غيره من انواع النبات منفكاً عن نزول المطر و ارسال الماء اليها، بمعنى ان السنة الالهية لا تترك النبات عطشاناً و سدى حتى ترسل اليه المطر و تنزل عليه الماء؛ و مثل هذا التعبير يفيد تحتم ذلك الامر النافع و ضرورته، كما ان قوله تعالى: «**رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و كان الله عزيزاً حكيماً**»(٣٣) يدل على ان العقل الانسانى وحده ليس كافياً للهداية و تمامية الحجة، و الا لما احتيج الى الرسول، و تم نصاب الاحتجاج بمجرد العقل الذى آتاه الله؛ و يدل على انه لو لا الرسول لكان للناس على الله حجة نحو قوله تعالى: «**ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا ارسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل ان نذل و نخزى**»(٣٤) حيث انه يدل على ان التعذيب الدنيوى انما يحسن من الحكيم المتعالى اذا كان بعد ارسال الرسول و بيان الهداية و اتمام الحجة؛ كما ان الاية المتقدمة انما تدل على ان الحجة

---

(٣٣) سورة النساء آية ١٦٥

(٣٤) سورة طه آية ١٣٤

مطلقا سواء كانت بلحاظ التعذيب الدنيوى او الاخروى انما يتم بعد الرسالة لا قبلها، مع ان العقل الانسانى موجود على اى حال.

فتحصل: ان لسان القرآن هو ضرورة النبوة و عدم كفاية العقل وحده؛ و اما مصداقها بتحققها فى شخص خاص ـاى النبوة الخاصةـ فهو كما مر مما لا يمكن اقامة البرهان الفلسفى عليه، و لقد قال ـعز من قائلـ «و اذا جائتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته»(٣٥) حيث انها تدل على ان النبوة الخاصة هبة خاصة لمن يعلم الله صلاحه لها.

ثم ان المهم فى مسئلة ضرورة النبوة فى لسان القرآن، هو ان المعاد الذى هو ايضاً ضرورى لا ريب فيه، انما هو يلازم النبوة و لا ينفك عنه اصلا، اذ المعاد ـاى الهدف النهائى للانسانـ يستلزم الطريق اليه لا محاله، اذ لا مقصد بدون السبيل؛ فاذا كان الطريق اليه ضرورياً يكون الهادى الى تلك الطريق ـاى النبيـ ضرورياً، لان العقل وحده غير كاف للهداية اليها، كما مر

و اما المنكرون للنبوة فانما ينكرونها لاجل انكارهم المعاد ـاى الهدف النهائى للانسانـ بحيث يقولون بانه لا هدف فلا طريق فلا هادى اليه؛ و لقد نقل القرآن الكريم مقالهم الزائف فى قوله تعالى «و قالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت و نحيا وما يهلكنا الا الدهر وما له بذلك من علم ان هم الا يظنون»(٣٦) و فى قوله تعالى: «ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم»(٣٧) و تمام التحقيق فى تفسير ذلك خارج عن موضوع هذه

---

(٣٥) سورة انعام آية ١٢٤

(٣٦) سورة الخاشعة آية ٢٤

(٣٧) سورة والنجم آية ٢٩ و ٣٠

الرسالة. هذا مجمل القول فيما اشار اليه القرآن الكريم.

و اما بيان ما عن العترة الطاهرة التالية للقرآن الكريم فى ضرورة النبوة العامة، فهو ما رواه الكلينى (ره) فى (باب الاضطرار الى الحجة من الكافى) عن هشام بن الحكم، عن ابى عبدالله عليه السلام «**انه قال للزنديق الذى سئله من اين اثبت الانبياء و الرسل؟ قال: انا لمّا اثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجزان يشاهده خلقه و لا يلامسوه فيباشرهم و يباشرونه و يحاجهم و يحاجوه، ثبت ان له سفراء فى خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده و يدلونهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقائهم و فى تركه فنائهم، فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه و المعبرون عنه جل و عز، و هم الانبياء عليهم السلام و صفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها، غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب فى شىء من احوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك فى كل دهر و زمان مما اتت به الرسل و الانبياء من الدلائل و البراهين، لكيلا تخلو ارض الله من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته.**

و لقد شرحه شراح الكافى، منهم صدر الحكماء المتألهين، و بيّنه هو على مقدمات عقلية بعضها على محاذات كتب ابن سينا حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة، و دلالة هذا الحديث الشريف على ضرورة النبوة و على دوامها و على خصائصها واضحة، و المراد من العلم هنا هو المعجزة العلمية و العملية بلا اختصاص له بالعلم بالله و آياته.

ربنا تقبل منّا انك انت السميع العليم واجعله ذخراً لنا ولجميع المؤمنين بحق محمّد وآله الطاهرين. تم والحمدلله رب العالمين بيدالمحتاج الى ربه الجواد عبدالله الجوادى الطبرى الآملى.

الفهرست

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وصلى الله على محمد نبي الله وعلى آله آل الله

لقد قامت مؤسسة الانتشارات التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية بقم المشرفة بنشاطات واسعة في مجال نشر المعرفة واحياء التراث الاسلامي ونستطيع ان نسجل هنا مايلى:

ا: الكتب التى أنجز طبعها ونشرت وهي:

الكتاب	ألمؤلف
الآداب الطبيّة	للسيد جعفر مرتضى العاملي
الاختصاص	للشيخ المفيد
الأمالي	للشيخ المفيد
التوحيد	للشيخ الصدوق
الحدائق الناضرة ٩ـ١٥	للبحراني
الحياة السياسية للامام الرضا (ع)	للسيد جعفر مرتضى العاملي
الخصال مع فهرس الاعلام	للشيخ الصدوق
الدليل الى موضوعات الصحيفة السجادية	
الرسائل العشر	للشيخ الطوسى
شرح مئة كلمة	لابن ميثم البحرانى ولعبد الوهاب وللوطواط
العدل الالهي	للمفكر الاسلامي الكبير الشهيد مرتضى المطهري
كتاب الخمس والأنفال	لسماحة آية الله المنتظري
مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان ١ـ٣	للمحقق المقدس الأردبيلى
المحجة البيضاء ج ١ـ٨	للفيض الكاشاني

الكتاب	ألمؤلف
معاني الأخبار	للشيخ الصدوق
معجم الثقات	للتجليل التبريزى
المعجم المفهرس لألفاظ وسائل الشيعه ١-٩	للسيد حسن طبيبي
المنتخب من سياق تاريخ نيشابور	لابى اسحاق ابراهيم بن محمد بن الازهر الصريفينى
منتقى الجمان في أحاديث الصحاح والحسان ج١	للشيخ حسن ابن الشهيد الثانى
من لا يحضره الفقيه	للشيخ الصدوق
موقع ولايت الفقيه	للسيد جعفر مرتضى العاملي
الميزان في تفسير القرآن	للعلامة الطباطبائي
نهاية الافكار ج٣و٤	للشيخ آقا ضياء الدين العراقي
نهاية الحكمة	للعلامة الطباطباتي

ب: الكتب التى تحت الطبع هي:

ايضاح الفوائد	لفخر المحققين
تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة	للسيد شرف الدين علي الحسينى الاسترآبادى
تحف العقول	لابن شعبة الحرانى
تحرير الوسيله	للامام الخمينى
التعزير- انواعه وملحقاته	للصافي الگلپايگاني
تهذيب الاصول تقريراً لبحث سيدنا الامام الخمينى	للسبحانى التبريزى
الحاشية فى المنطق	لملاّ عبدالله
الحدائق الناضرة المجلدات ١٦-٢٤ و١-٨	للبحراني
الحكم الزاهرة عن النبي وعترته الطاهرة	للصابري
شرح تبصرة المتعلمين ج٧	للعراقي
شرح نهج البلاغه	لابن ميثم البحراني
فوائد الاصول تقريراً لبحث الحجة النائينى	للكاظمى الخراساني
قاموس الرجال ج١	للتسترى

ألكتاب	ألمؤلف
كشف المراد	للعلاّمة الحلّي
مجمع الفايدة والبرهان فى شرح إرشاد الأذهان ج٤و٥	للمقدس الأردبيلى
معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة عليهم السلام	للعلم الهدى محمد ابن الفيض الكاشانى
المعجم المفهرس لألفاظ وسائل الشيعة ج ١٠	للطبيبى
المعجم المفهرس لألفاظ نهج لبلاغه	
منتقى الجمان ج ٢	للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني
نهاية الأفكار ج ١ و ٢	لضياء الدين العراقى

ج: الكتب التى في طريقها الى المطبعة هي:

أحاديث العترة من طرق أهل السنة	مهدى الروحانى، محمد واعظ زاده على الاحدى، جعفر مرتضى
إصباح الشيعة بمصباح الشريعة	للصهرشتي
الأمالي	للشيخ الطوسى
التبيان في تفسير القرآن	للشيخ الطوسى
التدو ين	للرافعي
تهذيب الأحكام	للشيخ الطوسي
الدروس الشّرعية	للشهيد الأوّل
الذخيرة في علم الكلام	للسيد المرتضى علم الهدى
الرجال	للنجاشي
الرسائل	للشيخ الانصارى
الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية	للشهيد الثانى
السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي	لابن إدريس الحلّي
شرح المنظومة	للسبزوارى
عدة الاصول	للشيخ الطوسي
فقه الرضا	



بها ۲۷۰ ریال